اللغة العربية
تاريطها ومستوياتها وتأثيرها
تأليف: كيسي فرستيغ
ترجمة: محمد الشرقاوي
اللغة العربية
(تاريخها ومستوياتها وتأثيرها)

تأليف: كيس فرستن
ترجمة: محمد الشرقاوي

2003
المشروع القومي للترجمة

إشراف: جابر عصفور

- العدد: 442
- اللغة العربية
- كيس فرستيج
- محمد الشرقاوي
- الطبعة الأولى 2003

ترجمة لكتاب

The Arabic Language
Kees Versteegh

Earthscan Publications Ltd

المصدر عن: 1991

حقوق الترجمة والنشر باللغة العربية محفوظة للمجلس الأعلى للثقافة

شارع الجبلية بالأورا - الجزيرة - القاهرة 24224 فاكس 2768-84

El Gabalaya St. Opera House, El Gezira, Cairo

Tel: 7352396 Fax: 7358084 E-Mail: asfour@onebox.com
تهدف إصدارات المشروع القومي للترجمة إلى تقديم مختلف الاتجاهات والمذاهب الفكرية للقارئ العربي وتعريفه بها، والأفكار التي تتضمنها هي اجتهادات أصحابها في ثقافاتهم ولا تعب بالضرورة عن رأي المجلس الأعلى للثقافة.
مقدمة

بالرغم من أن النحو العربي قد نال قسطًا وافرًا من الدراسة والتحليل، وبالرغم من أن قواعد اللهجات العربية قد بدأت تحصل على قدر من اهتمام الباحثين – لاسيما غير العرب منهم – إلا أن تاريخ العربية لم يلت من العرب أي اهتمام باستثناء محاولات متفرقة قام بها الصادق بن عفان ود. أحمد مختار عمر ود. إبراهيم أنيس، كما لم يلت موضوع تاريخ تطور العربية من الباحثين غير العرب إلا اهتمامًا محدودًا.

لقد كانت هناك بعض المحاولات الأولية في بداية القرن العشرين وقبلها في نهايات القرن التاسع عشر لتعامل مع موضوع ما إذا كانت العربية الفصحى لغة حديث عصر ما قبل الفتوحات الإسلامية، وعلامات الإعراب. وكان رئد كفؤارز، ونواصله وجيروفير في النصف الأول من القرن العشرين، لا يهمون إلا بتلك الحقيقة من التاريخ العربي. وظهرت في تلك الفترة محاولات كان الأستاذ حاجي راين راندا لرصد الفروع اللهجاتية العربية ما قبل الفتوحات، وما يزال كتابه "اللهجات العربية القديمة" عمدة في هذا المجال حتى يومنا، وبتبعه غير بعيد في هذا المجال الأستاذ إبراهيم أنيس في الخمسينيات والباشر الستينيات.

وفي عام 1950 ظهر كتاب "العربية" للأستاذ فل، الذي كان أول محاولة لرصد التحولات التي طرأت على اللغة العربية بسبب انتقالها من موطنها الأصلي إلى الأنظار المفتوحة، وقد أثار هذا الكتاب جدلاً وتقدماً كبيراً حيي صدوره تزعمه الأستاذان فير وبيبتيلا. ومهمة يكون من أمر فقد كان هذا الكتاب بداية لحركة دراسة تاريخ العربية وأنماطها. وانضمت بعد ذلك الدراسات - سواء كانت مقالات أو كتب - على تحليل اللهجات العربية الحديثة وتقديم بعض التعديلات التاريخية لسلوك بعض العناصر اللهجاتية.
وفي السبعينيات انتشرت حركة البحث في تاريخ العربية نسبًا لظهور كتاب
اللغة العربية في مصر للاستاذ أحمد مختار عام 1970، وال وغيرها من المقالات
المتعلقة بعناصر مساعدة في دراسة تاريخ العربية ككتاب اللغات الأصلية والبحث في
تأثير الهجرات العربية المتأخرة في تعريب الأصوات لغة الأقلات السامية
واليهودية في الإمبراطورية العربية والإسلامية في العصور المبكرة كتبه الاستاذ "ديم
في 1972 و1976، والاستاذ "باحوا" في 1979، وصبيح ويشاي,Wley في
1980 وغيرهم، ولكن تلك المقالات - مع أهميتها وقوتها العلمية - لم تنتج نظرية
متكاملة عن تاريخ تطور العربية.

إلا أن انتشار نظرية التهجين اللغوي في الثمانينيات وأزدهارها وكمالها النظري
قد شجع الاستاذ فرستونغ على كتابة تاريخ مبكرة من مراحل العربية، هي
مرحلة الانتقال من الجزيرة العربية للأصوات المفتوحة والتحولات التاريخية التي شطرت
على العربية تبعًا لهذا التغيير، وكان كتابه "التهجين اللغوي واللغة العربية" الذي
صدر عام 1984 علامة في هذا المجال أن انتشر جدلاً واسعًا. ورغم فرستونغ أن عوامل
اجتماعية تاريخية معينة قد دفعت غير العرب إلى تبسيط العربية وتجريدها من قولـ
كثيرة حين تعلمها، وهذا التهجين هو الذي واد الفروع الأساسية بين عربية الجاهلية
التي زعم هو أنها كانت شبيهة بفصحي القرآن، وبين اللهجات المتكاملة في الأصلاء
بعد ذلك.

وبالرغم من أن الكثير من علماء العربية قد نقدوا تلك النظرية من أمثال فرجسون
عام 1989 وهاملز عام 1995 وغيرهم، إلا أن أحدًا لم يقدم فكرة بديلة تتحاشى
المشاكل النظرية والتاريخية التي وقع فيها الاستاذ فرستونغ، وبالرغم من أنه قد عدل
في نظريته الكثير، إلا أنه لم يصح فكرته الجديدة في إطار كتاب أو مقال بعد
والكتاب الذي بين أيدينا مقدمة حسنة لتعريف القارئ العربي بنظريات تطور
العربية وتاريخ البحث فيها، كما أنه يحاول أن يلقى نظرة عامة وكلية - ولو أنها
بسيطة - على مجالات بحث العربية في الوقت الحالي وأساليب دراسة لهجاتها،
وسوف يلاحظ القارئ أن النظريات والأبحاث والإسهامات الكبيرة في دراسة تاريخ

6
العربية والجوانب الاجتماعية واللهجاتية لم تقدم من بحثين عربي بل كانت لباحثين أوربيين في غالبيتهم، ولذا أدرت أن أقدم هذا الكتاب للباحث العربي الذي ينوي التخصص في مجال اللغة العربية وتاريخها لأنه يثير علامات استفهام كثيرة قد توجي بآفكار بحثية يقوم بها بحثون عربي تسهم فيها فهم تاريخ لغتهم وتطورها.

هناك ملاحظة أخرى أود أن أشير إليها: إن كتاب اللغة العربية الذي بين أيدينا يحمل موضوعين أساسيين في علم اللغة الحديث وهما دراسة اللغة العربية بنظريات تعلم اللغة الثانوية وبنظريات علم اللغة النفسى، وقد أهمل الكاتب هذين التوجهين لغرض العربية فيما، إذ لم ينشر أبحاث كثيرة في النوبرات المتخصصة تكون العربية موضوعها.

محمد الشرقاوي
الفصل الأول

تطور دراسة اللغة العربية

في عام 632 م (م) توفي (محمد صلى الله عليه وسلم) نبي الإسلام في المدينة.

وقد أسهم القرن التالي على ذلك الحدث في وضع اللغة العربية والدين الإسلامي في دائرة اهتمام العالم الذي لم يكن لذلك التحول يسري شيئًا مما كان يدور بداخل الجزيرة العربية. ومنذ أول مواجهة بين العالم الإسلامي وأوروبا، أصبح العرب وأصبحت لفهم جزءًا من التجربة الأوروبية. كانت العلاقة بين العالمين في بداية الأمر علاقة من طرف واحد، فقد اهتم الناس بالعرفة اليونانية والمعرفة عن اليونان وهي معرفة وصلتهم من خلال الحضارة العربية، بينما لم يبد البيزنطيون أنفسهم أي اهتمام بأي عنصر ثقافي عربي، فبالرغم من أن القوة العسكرية للعرب كانت لها هبته إلا أن الثقافة العربية واللغة العربية لم تحظ بالقدر من الاهتمام الجاد، بالنسبة للبيزنطيين لم يكن التأثر اليوناني بحاجة إضافة أو إسهام من سكان الصحراوي الذين انحصرت شهرتهم في قدرتهم على مناهضة الجيوش البيزنطية ومنازعتها السيطرة على شرق المتوسط.

بعد فتح الأندلس عام 711 م (م) بدأ تصور التهديد العربي للقيم الثقافية الأوروبية يتغير، فمن خلال العرب بدأ غرب أوروبا يتعرف على قسم من ثراءه كان قد فقده في معركة سقوط الإمبراطورية الرومانية. وأصبح الطب العربي والفلسفة الغربية معتمدين على الوساطة العربية للسلاسة القائمة في شبه الجزيرة الأيبيري في التعرف على الفلسفة اليونانية والكتب الطبية القديمة، وبداية من القرن الحادي عشر الميلادي وبعد سقوط طليطلة في 1085 م أصبحت تلك الكتب القديمة متاحة في ترجمات لاتينية عن أصول عربية، ولم تكن اللغة العربية نفسها محل اهتمام ودراسة بشكل
موسع، لأن معظم الباحثين اعتمدوا على ترجمات قامت بها فئة قليلة من الترجمين اليهود غالباً، الذين تعلموا العربية في صقلية أو في الأندلس الإسلامية.

وفي القرن الثاني عشر الميلادي أثناء الحرب الصليبية، أصبح الباحثون الغربيون في موقع صلة مباشرة بالحضارة الإسلامية واللغة العربية، ونمت عن تلك الصلة مباشرة رد فعل متناقض، فمن ناحية اعتبار الإسلام الدين العدو الذي هدد أوروبا وحبس مفاتيح المدينة القدس، ومن ناحية أخرى كان المسلمون حمولة الحضارة اليونانية وسدة تراث الغربي. وفي أيديهم المصادر الأساسية الوحيدة المتاحة، وذلك فيبينا كان الصليبيون يحاولون انتزاع بيت المقدس من يد المسلمين ومعاوية أوروبا من الإسلام، سافر الباحثون من كل أوروبا إلى الأندلس الإسلامية للتعلم في جامعات قروطبة وغرناطة الشهيرة، وقد كان لدراسة اللغة العربية حينئذ وظيفته، فبالنسبة لدارسي الطب في جامعة باريس، الذين جلسو بخشوع تحت أقدام الأطباء الغربي وسموا أنفسهم ترجمات كتب الطب العربية لللاتينية أهم مراجع الدراسة ومصادرها. واهتم البعض الآخر بترجمة ما كانوا يعتقدون أنه كان رسالة دينية خاطئة مشوهة، وكانت بفتيتهم في ذلك تقنيح حجج المحدثين بل وتحويلهم إلى الدين المسيحي، ولذلك ظهرت أول ترجمة للكoran عام 1142 أشرف عليها قس يسمى بيتر الموثر الذي توفى عام 1157، وكان هدف الترجمة فضيحة أخطاء المسلمين الذين كانوا Agarenes غالبًا ما يسمون العرب.

وظلت إسبانيا الإسلامية البوابة الأساسية للإسلام والمكان الوحيد الذي كان الناس يستطيعون أن يتعلموا فيه التعليم اللغوي الضروري لأنهم كتاب المسلمين المقدس والتراث اليوناني، ولذلك من الدينيين أن تكون إسبانيا هي مهد أول أدوات Ld. أكاديمية اللغة، ونجد في إسبانيا أول معجم مزودة اللغة: فظهر معجم sarium Latino-arabicum Vocabulista in arabico.

ولكن نهاية حقبة غزو الملوك القشتاليين الكاثوليكي إسبانيا غمرت كل ذلك، فبعد سقوط غربطة عام 1492 أصبح وجود المسلمين في شبه الجزيرة الأيبيرية غير مرغوب.
فيه، وفي عام 1502 أصبح على المسلمين أن يختاروا بين التحول عن دينهم أو الهجرة من الأرض. وبعد ذلك بقرن طردها القوية الباشوية من المسلمين إلى شمال إفريقيا، وبدذلك انقطعت الصلة المباشرة الوحيدة بين أوروبا والإسلام. وقد شهدت هذه الفترة ظهور أعمال بدر ونال الكلاسيك الذي نشر مغاجما إسبانيا عربيا كبيرا عام 1550 تحت اسم Vocabulista aravigo en letra castellana، كما نشر كتابا للنحو العربي مشغولا بدليل للمحاديث فيما يخص مسائل الاعتراف، ويرى لمساعدة القساوسة الذين يتعاملون مع العرب الذين تجعلا عن الإسلام حديثا، وكان ذلك أول تحمل للغة العربية على أساس إطار يوناني لاsorry .

وبعد سقوط القسطنطينية عام 1453 انتشر الاهتمام بالكتب المكتوبة باللغة اليونانية لدرجة أن الباحثين بدأوا يبحثون في مصادرية النصوص اليونانية المتنوطة من النصوص العربية في الكتب اليونانية. وما انتشرت المعرفة باللغة اليونانية والنقوش اليونانية القديمة أصبح التوجه العام راميا إلى العودة للنقوص مباشرة دون القدامى aratzanes، استخدم النصوص العربية وانتهى الصراع الذي استجذ بين الـ الجدد يفزوا الحديث على القديم، وأصبحت كتابات ابن سيما من رموز neoterici والـ الماضي، وبناء على ذلك تغيير توجه أوروبا للإسلام نفسه.

في بداية الأمر رفض بعض الباحثين التخلص عن معارفهم العربية، يقول الطبيب الهولندي لوبيتيتوس فريسيوس في كتابه في الدفاع عن أمير الطب ابن سيما أمام الأطباء الألمان: إن دراسة العربية ضرورية لأن يد علم الطب، وتفق مع معارضيه الذين يعانون بكفاءة العلم اليوناني على أن اللغة العربية لغة قوية ومختلفة بالمقارنة باللغة اليونانية، ولكنه يصر على أن نوعية اللغة ليست مهمة في عملية نقل العلم. ويضيف أن العرب قد تجعلا كل الكتب اليونانية الأساسية في الطب والفيزياء وأضافوا عليها شروحاتهم القوية، يعتبر مثل فريسيوس هذا دليلاً على أنه في هذا الوقت كان بعض الباحثين الأوروبيين مازالون يعتقدون أن اللغة العربية مسألة أساسية في دراسة الطب. ولكن عندما انتشرت النصوص اليونانية في أوروبا لم يعد أحد يهتم بالكتب العربية، والأسوا من ذلك أن المقارنة بين النصوص اليونانية الأصلية والنصوص العربية، المأخوذة من ترجمات سريانية والتي عرفت في الغرب من خلال الترجمات
اليونانية لم تتطرق لصالح النصوص العربية. وبدأ الناس بتطور لغة العربية على أنها
عدو للتراث اليوناني وليست حاميته ولذلك أصبحت دراسة العربية غير ضرورية.

عندما تغير توجه غرب أوروبا نحو العربية، نمت دراسة اللغة العربية في
الجامعات الغربية منحى مختلفًا، فعلى طول حقبة الحروب الصليبية، وبالرغم من
احترام الصليبيين لعرفة العرب وحكمتهم، اعتبر معظم الأوروبيين الإسلام العدو
الأساسي للمسيحية وأوروبا. وذا كان الدافع العلمي لدراسة اللغة العربية قد زال فقد
أصبح الهدف الأساسي لدراسة العربية هو التبشير الذي اعتمدته أوروبا الجديدة،
ولذلك فنرى بحث كان ينوى الانحساس في جدل مع العدو كان يحس بضرورة وجود
كتب تعليم اللغة العربية ليستطيع من خلالها فهم النصوص الأصلية العربية وعلى
رأيه القرآن الكريم. على ذلك، نجد أن نيكولاوس كلياناروس (1482–1542) قد
كتب في رسالته التي نشرت عام 1561 عن السؤال المهم هو أن من الصعب إقناع
المسلمين بخطتهم باللغة اللاتينية، ومن المجيب أنه هو قد درس العربية والطب العربي
في غرناطة، ولكنه يقول إن الهدف الأساسي من دراسة اللغة العربية يجب أن يكون
الرد على المسلمين بلغتهم. وفي هذا المقام بحسن نية أن نضيف علماء آخر هنا وهو
رغبته في إعادة الإصلاح بالسيسيان الشرقية، فقد ساعدته
الكنيسة على إقامة علاقات مع السيسيان لتعضو اللغة العربية، ومن
أجل ذلك حضر الكثير من السيسيان الشؤوين إلى كل من روما وباريس للاستماع إلى
تحقيق الهدف، وفي غضون ذلك جلب المارونيون معهم من الشرق معلومات عن الإسلام
واللغة العربية.

وبالنسبة للباحثين الذين كان هدفهم الأساسي لغويًا وتاريخيًا كعالما
الهولندي إرينيوس (1582–1724)، فقد اتبعوا وجهات النظر السائدة لدى
معاصريهم وخاصة في اعتبار الإسلام ديناً فاسداً، ومع ذلك فإن إرينيوس من خلال
كتابه الذي وضعه والنصوص العربية التي حققتها قد وضع أسس دراسة العربية.
بل ربما يكون اهتمامه باللغة اهتماماً حقيقياً، وربما لا يعود الأمر كونه يسوق بعض
النصوص الدينية لبيرر دراسته للغة العربية واهتمامه بها وقد أدى اهتمامه خاصاً
بكتابات المسيحيين العرب، بل وكان مقتنعًا أن دراسة ترجمات الإنجيل إلى اللغة
العربية قد تساهم إسهامًا حسناً في دراسات الكتاب المقدس، ولا كان الباحثون يدركون الشبه الكبير بين العربية والعبرية القديمة فقد ظن أن دراسة المجمع العربي ستساعدهم في فهم عبرية الكتاب المقدس، وأصبح من الطبيعي الجمع بين اللغتين في منهج دراسي واحد، في الحقيقة فإن الشبه الكبير بين اللغتين وخاصة في النواحي المعجمية جعل الباحثين يتفقون إليه مبكرا جدا ويحاولون دراسته، لم يساعد عدم الاهتمام باللغات الأخرى في العالم العربي على دراسة الشبه بين اللغتين بشكل متكرر من خلال باحثي عربي وإن كان بعض الجغرافيين قد أشاروا إلى التشابه إشارات عابرة، أما بالنسبة لتحويلا لغة العربية فقد كرسوا مساحة كبيرة للعلاقة بين اللغتين، أو بين اللغات الثلاثة أو تنظرنا إلى الآرامية، ولا كان يهدد العالم الإسلامي يعيشون في مجتمع لغوي ثلاثي (لغتهم الأم هي العربية، وكتابهم المقدس مكتوب بالعربية، وشرح الكتاب المقدس مكتوب بالأرامية)، فقد كانوا في موقع يسمح لهم بإدراك التشابه بين اللغات الثلاثة والمقارنة بينها، فقد كتب يهودا بن قريش رسالة شديد فيها على أهمية العربية والأرامية في دراسة التوراة العبرية، ومع ذلك فإن إسهامات التحويلات العبريين في مجال اللغويات المقارنة ظلت محدودة بمجالي التحويلات المحليين ولم تسهم في تطور الدراسات السامية في أوروبا.

لم يكن الباحثون العاملون على اللغة العبرية في غرب أوروبا في القرن السادس عشر غير واعين بالعلاقات بين العبرية وباقى اللغات السامية، وفي علاقات أوضح من العلاقات بين اللغات الهندو - أوروبية وأطلق العلماء على تلك اللغات مصطلح "لغات الشرقية" وهو مصطلح ضم بجانب العربية والعبرية والإرامية اللغة الإثيوبيه وغات ليست لها علاقة باللغات السامية كالآрабية والفارسية. ولكن ذلك الوعي الغامض لم يسبب وجود شبه لغوي لم يسهم في تطور دراسة مقارنة بشكل علمي، ولكن الأثر العملي الوحيد لذلك الوعي كان في جعل دراسة العربية مادة معينة في مناهج دراسة التوراة العبرية. وقد كان التصور العام هو أن العبرية هي لغة الجنة وإذا كانت هي أول لغة وضعت للإنسان. أما اللغات الأخرى فقد كانت خلفا لها ولذلك تعتبر عنها بشكل غير ثام.
وجدت فكرة وجود علاقات بين اللغات التي تسمى الآن اللغات السامية دعماً من التوأمة في قصة أبي نوح: نوح وجد وابنه. وهذا تقسيم استخدمته الكتاب العرب والعبرون على حد المساواه، أما أبي نح، فقد انتشرت في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، أما أبي نح، فهم أصل المتحدثين باللغات الإفريقية، وأما أبي نح، فهم أصل من تحدث بعده من اللغات في أوروبا وأسيا. لم يكن هذا التصنيف الأساسي يجعل في طبيسه أي هرمية أو تقابل بين اللغات، فقد كانت المسافة بينها جينية كلاسافية بين الأقارب، ولكن علماء اللغة الأوروبيين في القرنين السابع عشر والثامن عشر كانوا مهتمين بالتراكيب العالمية للغات كافة في شكل تراتبي. وأثرت أفكار بورت روينر (1660) حول العلاقة بين النحو والمنطق على توجهات دراسة اللغة العربية واللغات السامية. انظر هذا التأثير مثلًا في كتاب سيلفستر دي ساينس عن النحو العربي (1809). وقد أثر هذا التوجه العالمي على تحديد دراسة العربية والعبرية في العصور التاريخية القديمة ولم يستمد في تطور مفهوم اللغات السامية، وهو مصطلح ظهر أول ما ظهر عام 1781 على يد شولزر.

العاملان اللذان دفعت دراسة اللغة العربية للأمام، إنّهما استخدام اللغة العربية للرد على العرب واستخدامها كلغة مساعدة لدراسة عبرية التوأمة، وقد أسهم العاملان ذاتهما في ضمان استمرار دراسة العربية حتى بعد انتهاء السطوة الطبية العربية. ويمكن أن نضيف أن الاهتمامات التجارية قد تكون عاملًا أساسيًا في البحث عن معرفة أكبر باللغات الشرقية، فقد أصبحت دراسة اللغة العربية، والتركية والفارسية بشكل أقل، مهمة في التجارة، وتم تكليمن تلك اللغات وخاصة بالنسبة للجمهورية الهولندية وفرنسا وألمانيا، بدأ بعض المستشريين عملهم في مجال انطلاقا من مهامهم الدبلوماسية في سفارتهم تلهمهم في تلك البقاع الشرقي؛ فقد زار جورجيوس (1569-1677) خليفة إسبانيوس في كرسي اللغة العربية بجامعة ليدن - المغرب وتركيا العثمانية وسوريا قبل تسمية مهتموظفة الأستاذية. وقد ألف أول قاموس عربي حقيقى في الغرب وهو قاموس عربي-لاتين في Laxicon arabico-Latinum أوروبا لمدة قرنين.
ظل اللاهوت وعلوم لغة الكتاب المقدس عامليين مهمين في دراسة العربية في القرنين السادس عشر والسابع عشر. وكما بيننا سلفًا معظم دارسي اللغة العربية كانوا متبحرين في العبودية أيضًا، وظل تصوير الإسلام على أنه خطر على أوروبا المسيحية موجودا في القرن الثامن عشر حتى بدأ فلسفات عصر التنوير توجهها جديدًا نحو الشرق. ولم كان المصدر الأساسي لفلسفة الغرب في تلك الحقبة هو كتب الرحلات.

فقط استشفوا أن هناك الكثير مما يمكن تعلمه من ثقافات الشرق، فقد أعجب الفلاسفة بالإمبراطورية الفارسية بسبب تطويقها للأفكار وتسامحها مع الأديان كافة، وتسرب ترجمة العام ليعود على دراسة اللغات الشرقية وأدابها أيضًا، وبالرغم من أن الأفكار المسجدة في الأفكار العرفيات لم تتفق على الصفح أحياها في كتابات العصر، إلا أن الاهتمام في مجمله كان حقيقيًا ولم تكن هناك أي دواعي غير الأهمية الفعلية وراء الدراسة.

في القرن التاسع عشر حدث تطور كبير في مجال الدراسات اللغوية فيما يخص الساميين عندما حدث ثورة النسق التاريخي المشار في علوم اللغة في أوروبا. وقد بدأت هذه الثورة في حقل اللغات الهندي - أوروبية عندما قارن فرانز بويب بين أنظمة التصريف الفنائي في السنسكريتية والفارسية والفرزدية والإيجسية عام 1861، ولكن سرعان ما انتشرت الفكرة لباقي المجموعات اللغوية، ففضل هذا النسق اللفظي الجديد استطاع اللغويون أن يضعوا تصنيفًا علميًا لمجموعة لغوية كاملة. واعتماد النسق الجديد على فكرة الشجرة كما اعتمد المفكرون في اللغوي قبل ذلك ولكن التوضيح في النسق الجديد كان قائمًا على مقارنة علمية منظمة ونادرة لنظر في العلاقات الحقيقية بين فروع الشجرة. وفي مجال اللغات السامية، وسع اكتشاف نصوص من الآشورية القديمة في منتصف القرن التاسع عشر وجود نصوص من الآرامية القديمة ونقوش من العربية الجنوبية القديمة، العمق التاريخي للمقارنة، بل ومكن العلماء من إعادة بناء اللغة السامية الأم على قمة الشجرة كما أعاد العلماء في مجال اللغات الهندي أوروبية بناء اللغة الهندو أوروبية الأم، ومع كارل بروكلمان نتائج النسق الجديد في مجال اللغات Grundriss der vergleichenden Grammatik der semitischen

السامية المقارنة في عمله وسوف نرى في الفصل الثاني كيف أن هذه النظريات الجديدة قد شكلت أفكارنا فيما يتعلق بتصنيف اللغة العربية بين اللغات السامية.
وقد أثر التطور في علوم اللغة العربية على اللغة العربية بشكل آخر، فقبل القرن التاسع عشر كان معظم الباحثين اللغويين مهتمين باللغة الفصحى دون غيرها، بينما كانت اللهجات أصواتاً خاطئة من الحديث لأدب لها أن تتحكي. وعندما اكتشف العلماء في القرن التاسع عشر أن اللهجات الريفية تحتوي على أشكال تراكب أقدم من تلك الموجودة في الفصحى، وذالك يمكن أن تستخدم في تقسيم أصل أشكال التراكب في الفصحى، بذل العلماء جهوداً كبيرة في تسجيل اللهجات المختلفة للفصحى الواحدة. واستمراراً للنزعة الرومانسية التي كانت موجودة أيامها تصور العلماء أن طريقه كلام الريفيين أكثر ذلك من الطريق المعتقل لغوية معاصرة. ولكن الطريق العلمي الجديده كانت ترتب إلى تقسيم للفصحى من خلال اللهجات الموجودة فلا ولذلك ظهرت مجموعة كبيرة من المشاريع العلمية كان هدفها تسجيل أكبر عدد ممكن من اللهجات، وكانت نتيجة ذلك هي نشر الأطلال اللغوي الكبيرة لكل من فرنسا وألمانيا وسويسرا، وتلاها نشر أطلال لهولندا وبريطانيا.

وفي مجال اللهجات العربية أحس الباحثون بفعل هذا التطور الجديد، فيما قبل تلك الحقبات درس العلماء اللغات العربية والتركية والعربية والفارسية لأسباب بعضها عملي، وعرف بعض العلماء الشرق الأوسط معرفة كبيرة من خلال التجربة، فقد زاروا بلاد المنطقة كممثلين لحكوماتهم أو دبلوماسيين أو مندوبي لشركات كبيرة. وفي تلك الزيارات دخلت المخاطرات دائرة اهتمامهم، ومن المفروض أن يكون هؤلاء الباحثون قد تعرضوا أيضاً على لغة الكلام، وبالرغم من أن كل منشوراتهم كانت مترابطة حول الفصحى، إلا أنهم لا شك كانوا يعرفون أن للعربية لهجات مستخدمة كلهما شأطم يومي، اختفى في القرن الثامن عشر بظيفة الباحث اللغوي القديمة ولم يكن الدارس ليترك دراسته ليتكلم مع أبناء اللغة العربية لغة حديثهم اليومي، ولكن بحلول نهاية القرن التاسع عشر وعندما بدأ عدد الباحثين الذين يدرسون العالم العربي يزداد اكتشافه أن العاميات تختلف عن اللغة التي تعلوها من الكتب اختلافاً كبيراً. بدأ على ذلك بدأ هؤلاء العلماء يدرسون اللهجات العربية بنفس الأسواق العلمية التي استخدمها علماء اللغات الأوروبية لدراسة اللهجات هناك، وفي عام 1820 - على سبيل المثال -
أنشئ كرسي لتدريس اللهجات العربية بمدرسة اللغات الشرقية بباريس. وظل الاهتمام باللهجات سمة دائمة في الدراسات العربية بالرغم من أن هذا الاهتمام لم يؤد إلى تغيير جذري مباشر في مناهج تعليم اللغة العربية في معظم الجامعات وهي المناهج التي كانت تتركز حول الفصحي التقليدي.

حاولت في هذه المقدمة أن أتبع تطور دراسة اللغة العربية، وركزت على العلاقة بين تدريس اللغة العربية وباقي اللغات السامية كالعربية. ولكن منذ نهاية الحرب العالمية الأولى بدأت دراسة العربية تتفرع عن دراسة باقي اللغات السامية. فقد أصبحت هناك تزعم للنظر للعربية كلغة إسلامية وكذلك يفضل دراستها ضمن باقي اللغات الإسلامية كالتركية والفارسية. ولكن اللغة العربية تبقى مهمة جدا في مجال المقارنة بين اللغات السامية. ولكن المقارنات لم تعد تظهر داخل حقل اللغة العربية، ربما يكون السبب في ذلك هو تحول الاهتمام من الدراسة التاريخية للغة العربية إلى دراسة اللغة في أشكالها المعاصرة، وخاصة فيما يتعلق بمسائل علاقة اللغة بالعلوم السياسية الاجتماعية والإسلام.

يتوازي هذا النزوع مع نزوع آخر لتدريس اللغة العربية، فتحت عقود قليلة مضت كان تدريس اللغة العربية يقوم على فكرة أنها لغة ميتة، وكتاب الأقسام التي تقدم قصصًا في اللهجات العربية قليلة. أما الآن فكل الأقسام تقريبًا في أوروبا والولايات المتحدة تتم إلى أن يعرف الطلاب قسطًا حسب ما يكون الفصحي المعاصرة. يتوقع منه أن يتعلم لهجة عربية واحدة على الأقل، كما يتوقع منه أن يقضي وقتا في العالم العربي وليتقن الحديث باللهجات العربية. وهذه نزعة أخرى فصلت اللغة العربية عن باقي اللغات السامية الأخرى.

أحد النتائج الإيجابية لهذا الحقل الجديد هو انتشار حب التعاون بين الباحثين العرب وغير العرب في اللغة العربية، ففي نهاية القرن التاسع عشر وفي القرن العشرين بدأ بعض اللغويين العرب في تحرير اللغة العربية مما أسهم في قيود التحو التقليدي وأدخلوا الطريق اللغوي الحديث في مجال دراسة اللغة العربية. وقد أدت تلك النزعة أيضًا إلى ازدهار دراسة اللهجات العربية. بالرغم من عدم شعبية دراسة اللهجات في العالم العربي، إلا أن الباحثين العرب بدأوا ينضرون كتب قواعد اللهجات.
العربية، وأخذوا يحللون المجالات الاجتماعية اللغوية المتعلقة بها، وبينما ظل اهتمام الجامعات التقليدية في العالم العربي منصبًا على دراسة الفصحى الترابية إلا أن هناك عددًا كبيرًا من أقسام اللغويات تعمل في إطار لغوي حديث.

ولما تغير توجه علم اللغة العام في القرن العشرين وتحول بعيدًا عن النسق المقارن، لم تتبع اللغات السامية هذه التوجه الجديدة وظل الباحثون يدرسونها في إطار مقارن تاريخي، ولذلك فقدت مكانتها المحورية في الدراسات اللغوية وأصبحت أقرب إلى الدراسات الشرقية القديمة، يبدو أن نفس الشيء يحدث في أقسام اللغة العربية في أوروبا بالرغم من أن بعض الباحثين الأفراد يحاولون أن يوطدون صلاتهم بحقول علم اللغة العام، أما في الولايات المتحدة، حيث لم يكن الدرس اللغوي القديم محل اهتمام كبير فقط، فإن المجال أكثر انتشارًا على تطبيقات علم اللغة العام، وبدأت الكتب التي تدرس اللغة العربية من خلال آطر لغوية حديثة تنتشر بكثره.
الفصل الثاني

اللغة العربية بين اللغات السامية

1- تصنيف اللغات السامية

تتدرج اللغة العربية لمجموعة من اللغات تسمى اللغات السامية. تنتمي نفس المجموعة بعض لغات الشرق في منطقة الشرق الأوسط، بعض من أفراد تلك المجموعة اللغوية لم تعد-life حاليًا. أقدم اللغات السامية الوثيقة هي اللغة الأكادية، وهي لغة كانت مستخدمة في منطقة العراق في الفترة ما بين 2500 إلى 100 قبل الميلاد. ومن بداية الألفية الثانية قبل الميلاد انتسبت تلك اللغة إلى اليابانية والآشورية، ولكن اللغة اليابانية الحديثة ظلت مستخدمة في شكلها الكتابي فقط حتى بداية فترة تدوين التاريخ.

تعرف العديد من اللغات السامية في منطقة سوريا وفلسطين: فهناك اللغة العيلية، وهي لغة تتألف من إلى 1000 نطق موجود في مدينة عيلية، وهي مدينة تل مرديت الحالية. وتتبع 10 كيلومترًا جنوب حلب، تاريخ تكسير تلك التقوية فيما بين 1500 و 250 قبل الميلاد، وهناك أيضًا اللغة الأوروبية والتي كانت مستخدمة في القرن الرابع عشر والخمس عشر قبل الميلاد في أورغواي، وهي مدينة تسمى الآن برس شميت على بعد عشرة كيلومترات شمال اللاندفيرة.

بينما لا يمكن تحديد نوع العلاقة بين العيلية والأوروبية وباقي اللغات السامية بدنية، يتفق العلماء تمامًا حول باقي لغات المنطقة وتصنفونها تحت اسم اللغات السامية الشمالية الغربية. وفي أثناء التصفي الأول من الألفية الثانية قبل الميلاد لم يبد من تلك المجموعة اللغوية أي أثر مادي سوى أسماء الأعلام الموجودة في الأرشيفات الأكادية - كارشيفر مارى - مثلًا. تمثل تلك الأسماء نمطًا لغويًا نسبيًا الأهمية الأمريكية، وفي
نهاية الألفية الثانية قبل الميلاد بدأت مجموعتان لغويتان في الظهور وهما: الأرامية والكنعانية، وهما أسماء يضمان تحتهما مجموعة من اللغات هي العبرية والفينيقية ومجموعة صغيرة من اللغات لا تعرف عنها شيئًا يذكر، وأقدم مرحلة من مراحل العبرية هي عبرية التوراة (1200-1000 قبل الميلاد) والرايات، وهي تشير إلى أن اللغة نجمها رسائل البحر التي يرجع تاريخها إلى القرنين الثاني والأول قبل الميلاد، وما نسمى عبرية الرايات والفينيقية الحديثة، أما اللغة الفينيقية فقد كانت لغة المدن الفينيقية كمسيلة وتاير مستعمراً كفركلج، وهي مدن ظلت ذات سيادة من القرن العاشر قبل الميلاد حتى القرن الثاني الميلادي.

تنتمي الأرامية القديمة إلى الألفية الأولى قبل الميلاد. وقد كانت لغة الحديث في سوريا من بداية القرن العاشر قبل الميلاد، على الأقل. وبدايةً من القرن السابع حتى القرن الرابع قبل الميلاد أصبحت الأرامية لغة مشتركة في الإمبراطوريتين الفارسية والبابلية، وكانت معلومة طويلة أجزاء من التوراة، وتطورت الأرامية في شرق وغرب. أما الأرامية الغربية فقد كانت لغة الحديث في فلسطين منذ فترة مبكرة في حقبة التاريخ الم思います، وظلل لغة مكتوبة كلهة أشبهة في تلك العهد حتى القرن الخامس الميلادي، كما كانت اللغة الرسمية في الملوكين السوريا، والدمرية، ومنزلعه بعض أنماط الأرامية الحديثة، بما في جيب لغوية محدودة في سوريا، وأهم مثل الأرامية الشرقية هي اللغة السريانية، وهي لغة الكتابات الدينية المسيحية، واللغة المانية، وهي لغة الكثير من الكتابات الفردانية بين القرنين الثالث والثامن الميلادي، وهي أيضاً لغة التلمود البابلي بين القرنين الثالث والثامن عشر الميلادي. أما اللغة السريانية فقد كانت لغة المسيحيين السوريا حتى القرن الثامن الميلادي، ومنزلعه حية في بعض الجيوب اللغوية القليلة في سوريا.

في جنوب شبه الجزيرة العربية وفي إثيوبيا كان هناك عدد من اللغات السامية: كانت اللغة العربية الجنوبية لغة النقوش السومية والفينيقية التي يرجع تاريخها إلى القرنين الثامن قبل الميلاد والسادس الميلادي، ومن المحتمل أن تكون لهجات العربية الجنوبية الحديثة كالعربية حديثة تلك اللغات العربية الجنوبية القديمة، أما في إثيوبيا، فقد تقدم
الألفاظ السامية الإثيوبية الكلاسيكية التي كانت لغة إمبراطورية أكسوم في القرن الأول الميلادي، تنتمي إلى هذه المجموعة للفظ كثيرة متكاملة في إثيوبيا، كلغة "تيجرا"، و"تيجيتن"، وال闻言ية التي هي لغة إثيوبيا الرسمية.

رأينا في الفصل السابق كيف تطورت الأفكار الحالية حول العلاقة بين اللغات السامية في القرن التاسع عشر في ظل التنسيق التاريخي الذي كان في هذا الفصل سوف ننهض بموقع اللغة العربية في هذا التصنيف وتأثر التنسيق عليها، في البداية تم فصل خمس لغات وتركز عليها جميعاً على أنها لغات متساوية، وهذه اللغات هي الأكدية والعربية والأرامية والعربية والإثيوبية، ولكن عندما بدأ تأثير البحث التاريخي في دراسة الشعوب السامية يزداد، بدأ النظر لعلاقتها لا على أنها متساوية بل من منظور تاريخي، وتحت تأثير الإنجازات العلمية في مجال اللغات الهنود - أوروبية بدأ الباحثون يحاولون بناء شجرة للغات السامية يكون فرضها عكس العلاقات الجينية بينها، تشير العلاقة الأسرية إلى أن كل اللغات السامية قد تكون نشأت من أصل واحد وهو السامية الأم.

كان التصور العام في مجال اللغات الهندو - أوروبية أنك تستطيع أن تعيد بناء اللغة الهندو - أوروبية الأم عن طريق المقارنة بين تركيبات اللغات الهندو أوروبية المتاحة، بنفس الطريقة أصبح هناك تصريح أنك تستطيع أن تعيد بناء لغة سامية أو من خلال المقارنة بين الأكادية والعربية والأرامية والعربية والإثيوبية، وأن العلاقة بين تلك اللغة الأم وباقى اللغات السامية يجب أن تكون مثل العلاقة بين الهندو أوروبية الأم وباقي اللغات التي تركيت منها، ولكن محاولة البحث عن مجموعة من التراكيب الأم أدت إلى نتائج متناقضة تماماً: فبعكس اللغات الهندو أوروبية التي كانت منتشرة في مساحات شاسعة من الأرض حيث كانت اللغات متصلة بعضها عن بعضها الآخر، كانت اللغات السامية محصورة في منطقة جغرافية محدودة بسوريا وفلسطين والعراق والصخور العربية، وقد أدى ذلك إلى اتصال دائم بين متكلمي تلك اللغات، ولذلك كان الاقتراح اللغوي مسألة اعتبارية بين تلك اللغات، والاقتراح اللغوي عادة ما يطبق العملية التاريخية للتغيير اللغوي ويصعب من إعادة بناء التفاعلات بين اللغات محل الدراسة.
التشابهات بين اللغات السامية أكثر وضوحًا من التشابهات بين اللغات الهندوروبية، وكذلك تشتهر في عدد من السمات التي تميزها عن كل اللغات الأخرى، لا يمكن أن نعتمد على أي سمة من تلك السمات التي تعتبر مميزة للغة السامية في حد ذاتها كعامل قاطع على عضوية اللغة ما في مجموعة الساميات. ولكن تلك السمات في مجموعها تمتثل قائمة كافية للتميز والتعريف. من بين تلك السمات ما يلي: وجود الأصوات الصحيحة المفخمة والطويلة، العلاقة الخاصة بين الأصوات الصحيحة وأصوات الطويلة، وجود نظام فعلي بتصاريف في شكل سوابق وواضح، فضلاً عن تواز معجم كبير.

بما أن السمات المشتركة بين مجموعة من اللغات يتم التعامل معها من منطلق التصنيف الطبيعولوجي دون أي تصور عن العلاقة الجينية بينها فإن تصنيف اللغات تصنيفا تحتوي لها في حالة تصنيف كهذه فإن مسألة الاختلاف اللغوي أو التطور المستقل للذين تؤدي إلى نتائج مشابهة تكون مسألة مفتوحة. أما العلاقة الجينية بين اللغات قلبيً في اتخاذ تأكيد من أصل مشترك، وهو اللغة التي يعتقد أن تكون ذا لغة مجموعة محددة منها. وما أنه يعتقد في هذا الإطار أن اللغة الأم لغة حقية من الناحية التاريخية، فمن المتفق أن تكون لغة شعب تاريخي حقيقي، وكذلك نجد أن علماء الساميات الذين يعملون في حقل الدراسات اللغوية الجينية قد بدروا ببحث عن وطن للساميين، ولكن الجدل لا يتجزأ بشأن هذا الوطن، فالفحوصات من الباحثين حدد مكان هذا الوطن يشبه الجزيرة العربية، بينما حدد آخرون بسوريا أو شمال إفريقيا، من المتفق تجبيبًا لذلك أن تكون الهجرات التالية من هذا الوطن هي التي آلت بكل شعب إلى موقعه المعروف. كما حدث في الهجرات الآرامية في الفترة ما بين 1900 و1400 قبل الميلاد، وكان الفتح العربي لشمال إفريقيا والشام في القرن السابع الميلادي أحد هذه الهجرات السامية وأخرى، توجا تلك النظرية التي تقول إن الأحداث التاريخية أدت إلى التوزيع الحالي للغات السامية، بأن الشعوب الموجودة في السجلات التاريخية كانت علا تتكلم اللغات التي نعرف بها، وتوجها أيضًا أنه بمجرد الوصول لمكان المهاجر والاستقرار فيه بدأت تلك اللغات في التطور بمعزل عن باقي اللغات السامية. ويتجه هذا التطور من أحد أمرين: إما تأثير
اللغات المحلية المتклонة في بلاد المهجر أو من العوامل الداخلية الكامنة. وظن الباحثون أن تلك العوامل هي المسؤولة عن التجديد في كل لغة عن الأخرى وعن الاختلافات بين اللغات بعضها عن البعض الآخر.

ومن الممكن بتطبيق الحال أيضا أن ننظر للتوزيع الحالي للغات السامية ليس على أنه نتيجة لهجرات فجائية لشعوب كاملة، بل على أنه تأثيل تدريجي صادم من مراكز مختلفة باتجاه أطراف منطقة المجموعة اللغوية. يستطيع تأثيل كهذا أن ينقل تجديدات لغوية في شكل موجات يكون تاثيرها الأكبر على المناطق المركزية، بينما تحتفظ الأشكال القديمة بفرصة أكبر للبقاء في مناطق الأطراف، يقول جاربيني (1984): إن منطقة بعيدها هي التي لعبت الدور الأكبر في توزيع التجديدات اللغوية في منطقة السهل السوري، وليس منطقة الساحل أو فلسطين، وهي المنطقة التي يعتبرها مؤسس اللغات السامية. السمة الأساسية المميزة للمنطقة السورية التي يقترح المؤلف أن تكون التجديدات ظهرت فيها هي الأنتصاف بين المستعمرات الحضرية على تخوم الصحراة وبدو الصحراة، في بعض الأحيان استقر البدو الرجل وشكلوا جزءاً من الشعب الحضري، ولكن في حالات أخرى كثيرة فصلت جماعات من المستوطنين نفسها وأصبحت مجموعات بدوانة يعيشون في الصحراة، ويظن جاربيني أن هذا التبادل المستمر كان المسؤول عن أنماط التجديد اللغوي التي قامت من المنطقة السورية وانتشرت لباقي الأطراف. وتعمد نوعية التجديدات التي انتشرت من سوريا إلى الجزيرة العربية على الفترة التي خرجت فيها مجموعة معينة من المستوطنين من سوريا إلى الصحراة.

اقتبس جاربيني أمثلة من الأكادية والعربية تبين كيف أن تلكما اللغتين لم تكنا ممتثلتين في سلسلة الهجرات التي خرجت من المنطقة السورية ولم تتشكلوا في التجديدات الحديثة نسباً في تلك المنطقة. أما السمات المشتركة بين العربية والأرامية والأموية فترجع إلى الفترة التي كان أجداد العرب يعيشون فيها في المنطقة السورية، تعني تلك النظرية أن اللغة العربية هي الشكل البدوي للغات التي كانت قائمة في المنطقة السورية في الألفية الأولى قبل الميلاد، وهي اللغات التي يسميها جاربيني
باللغات الأمورية، وينظر جربين إلى العربية الجنوبية والإثيوبيجة على أنها نتيجة لهجرات مبكرة من نفس المصدر. بناءً على تلك النظرية، فاللغات المشتركة بين اللغة العربية واللغة الجنوبية، والتي ليست موجودة في المنطقة السورية، تنتج عن عوامل دمج متاركة. فالبدو العرب يعتقد أن يكونوا قد أثروا على الهجرات / اللغات الحضرية في الجنوب، وحدث العكس من خلال قوافل التجارة التي جعلت اللغات الجنوبية معروفة في الشمال. ليس اللغات العربية الجنوبية الحديثة كالشهرية والسومطرية مستمدة من العربية الجنوبية القديمة بشكل مباشر، بل من المحتمل أن تكون تلك اللغات صادرة من أنماط غنية لم يصل إليها تأثير البدو العرب الأثيوبيين بسبب أنها كانت لغة مناطق نائية في جنوب شبه الجزيرة العربية، على ذلك، فإن بناء تلك اللغات في بعض مناطق أخرى قدماً من العربية الجنوبية الموجودة في النقوش العربية.

في الشكل العلامة لتصنيف اللغات السامية، يفترض الباحثون أن هناك الألفية الثالثة قبل الميلاد حيث انقسام بين اللغات السامية الشرقية (الأكدية، والتي تطورت بعد ذلك بدورها لقسمان هما اليابانية والاشورية) وبين اللغات السامية، وفي حوالي الألفية الثانية قبل الميلاد حدث انقسام آخر في مجموعة العربية من اللغات السامية، وكان الانقسام بين مجموعة الساميات الشرقية والمجموعة العربية واللغات svenska، وفي حوالي الألفية الأولى قبل الميلاد انقسمت المجموعة السامية الشرقية إلى الكلتانية والإغريقية، وانقسمت المجموعة العربية إلى العربية والإثيوبيجة. ولكن الاكتشافات الحديثة غير تلك الصورة تغيرا كبيرا، وخاصة اكتشاف اللغة الأوروبية في عام 1929 والعربية عام 1974، وكلا اللغتين الآن تعتبر من المجموعة الشمالية العربية، ولكن الباحثون مختلفين بشأن العلاقات بين لغات تلك المجموعة اختلافًا كبيرًا.

وجه بابشور كابر نقدًا قاسيًا للتوجه الجيني بشقه الذي يعتمد على فكرة هجرة الشعوب وشبه الآخرين الذي يعتمد على فكرة انتشار التجديديات اللغوية. وذلك بسبب عدم تماشى هذه الأفكار مع الوضع اللغوي في الشرق الأوسط. بما أنه لا يوجد هناك حدود فاصلة بين الجماعات اللغوية في هذه المنطقة من العالم قد تعزل أي جماعة
لغوية من الجماعات كما حدث في حالة بعض اللغات الهندو أوروبية مثلاً، فقد انتشرت العديد من الجماعات اللغوية في الشرق الأوسط في حدود جغرافية واحدها وكذلك كانت بينها علاقات سياسية وثقافية كبيرة، ولذلك كان من الممكن للتجديدات اللغوية أن تنتشر بسهولة في مناطق جغرافية واسعة. وكذلك كان من الممكن أن يتسع الاقتراح اللغوي. علاوة على ذلك، وكما قال بلاو (1978) فقد عملت لغات كثيرة كلغة مشتركة لمرة واحدة على الأقل في هذا الإقليم الواسع، كما حدث مع الأكادية والأرامية مثلاً. ولذلك من الممكن أن تكون بعض السمات المشتركة في لغات المنطقة قد انتشرت بفعل تلك السمات المشتركة، ولكن وضع اللغة العربية بين اللغات السامية يمثل مشكلة علمية خاصة جداً؛ بالنسبة للعديد من علماء الساميات كانت اللغة العربية هي نقطة انطلاق في إعادة بناء السامية الأم، ولها كانت عملية إعادة بناء مصدرها اللغة العربية وخاصة في مجال الفونولوجيات، فقد اكتشف الباحثون أن العربية واحدة من أقدم اللغات السامية.

عادة ما تجمع المحاولات الحديثة لتصنيف اللغات السامية بين التفسير التاريخي للعلاقة بين لغات المجموعة وبين توجه طبولوجيا جغرافي جغرافي يسجل السمات المشتركة بين كل اللغات دون إعطاء أصول بنية تاريخية، ويرفض بعض الباحثين مثل أولندرف (1971) رفضاً باهتاً أي إمكانية توصل إلى تصنيف يعكس العلاقات الجينية، على حين يدعي الباحثون آخرون كجريني أنه من الممكن أن تتبع التطور التاريخي للغات السامية ولكن دون أي ترابط جيني، ذلك لأن نمط التطور اللغوي في المنطقة مختلف جذرياً عن نمط تطور اللغات الهندو أوروبية.

مطالع بعض الباحثين يعتقدون أنه من الممكن إصدار تصنيف جيني بشرط أن تستخدم المبادئ الصحيحة في التحليل. (انظر مثلًا هنترزن 1974 و1976) الذي يقترح أن يقوم التقييم على مبدأ التجديدات الصرفية المعجمية المشتركة والتبادس القديم. يشير البحث الأول إلى أن النظام الصرفتخاذ (الموسع) يجب أن يكون أكثر قدرة من النظام الصرفتخاذ، ويقترح البحث الأول أن التجديدات الصرفارية المعجمية يصعب أن تكون ناتجة عن عملية افتراض لغوي، ويقدم مثالين
للتدليل على صحة نظريته: المثل الأول هو لاحقة المتكلم والمخطب المفرد في الفعل الماضي في اللغة العربية وهما -كُتًبُ و كُتِبتُ على التوالي. تكتب في اللغة الإثيوبية الضميران هما كُتُبُ و كُتِبتُ. والشكل الموازي لتلك اللاحقة مع الأسماء والأفعال في الأكاديمية فإنه يمثل مجموعات من الواحات الشخصية: أَكْتُب أَكْتِبت. يمكن أن يكون هذا الفرق بين العربية والإثيوبية من ناحية الأكاديمية من ناحية أخرى ناتجًا عن تعميم في العربية والإثيوبية، مما يجري بين النظام المعرفي في الأكاديمية أكثر تعددًا وانتشارًا وبالتالي أكثر قوامًا. أما النزعة إلى تجاوز النظام وتصغيره فقد تحقق بشكل مختلف في العربية واللغة الإثيوبية عن الشكل الذي تحقق به في الإثيوبية واللغة الجنوبية. أما العربية فربما هي الشكلان kaatavtaa, saatavta نادرًا مع العربية، يفضل هذا التهجيد كلاً من العربية والإثيوبية عن لغات السامية الجنوبية.

يتصل مثل هنترزون الثاني بصوت عدة سابقة فعل المضارع، في الأكاديمية في سابقة الفائئ الفاعل المفرد المذكر الجمع والتكلم العام. هناك كسرة في سابقة المضارع، أما باقي الضمائر فهي سوابقها فتحة. كل سوابق المضارع في الفله العملي تمتلك فتحة في سوابقها، بينما تمتلك سوابق المضارع في الإثيوبية كسرة. هذا الحال أيضًا يمكن اعتبار النظام المتوضئ في الأكاديمية أكثر قوامًا لتداعيه، أما سوابق باقي اللغات فهي نتيجة تعميمات لاحقة. الوقف في اللغة العربية في حقيقة الأمر أكثر تعقيدًا: بعض القبائل العربية قبل الإسلام كانت تستخدم الكسر في سوابق المضارع بينما كانت قبائل أخرى تستخدم الفتح. ربما كانت هناك مرحلة وسيلة تم فيها تعميم الكسر على الأفعال التي كانت تحتوي على الفتح في وسطها، ونتعميم الفتح على الأفعال التي تحتوي على كسر أو نسخ في وسطها، واختفت اللهجات العربية قبل الإسلام فيما يخص التعميم التالي على ذلك حيث تم تثبيت صوت اللين في سابقة الفعل.

بناءً على تلك الأمثلة وأمثلة أخرى مشابهة لها حدث "هنترزون" مجموعة من اللغات السامية المركزية، ويشرح تصنيف هنترزون الجديد اللغة العربية من موقعها في التصنيف التقديم حيث كانت مجموعة مع العربية الجنوبية والإثيوبية في تقسيم
الساميات الجنوبية، سوف نرى لاحقًا كيف أن هذا التغيير أثر على تصنيف اللغات السامية عمومًا. ولكن المسألة الأساسية في نظرية "مزورون" هي أنه لا يقيم تصنيف اللغات السامية على التصنيفات المشتركة في الأصول أو في المعجم أو في النحو (حيث إن الاقتراح اللغوي دائمًا فرضية قوية) بل يركز على التصنيفات الصرفية المعجمية (حيث الاقتراح اللغوي أقل قوة)، ويمكن أن نضيف أنه أيضًا يستند على تصنيفه احتفاظ اللغات المختلفة بأسماء اللغوية ذاتها، وهو ما تسميه بالتصنيف السلبي، إذ إنه يمكن أن يحدث في كل لغة على حدة دون اتصال مستمر ومباشر بين اللغات المعنية.

بالرغم من مشاكل التحليل التاريخي المقارن فقد وسعت الأبحاث التي أجريت في القرن العشرين مجال دراسة اللغات السامية أكثر بالإضافة لمجموعة أخرى من اللغات - وهي اللغات العربية، اسم تلك المجموعة اللغوية مستمد من التصنيف التوريقي القديم الموجود في سفر التكوين، والذي يقسم البشر جميعًا إلى أربعة نواف الثلث، استخدم الباحثون نفس التقسيم لتصنيف اللغات بين نواف يتكلمها أبناء سام ولغات يتكلمها أبناء حام، ولم يتم تكملتها أبناء يافط في الأصل ضم تصنيف اللغات الحامية كل اللغات الإفريقية، ولكن الأبحاث الحديثة حصرت تسمية اللغات الحامية على خمس مجموعات لغوية في إفريقيا، هذه هي مجموعة اللغات البربرية في شمال إفريقيا وأصولها كالتالية: الليبية القديمة والضرورية القديمة كالقبطية، ولفة الهوسا، ومجموعة اللغات الكوشيتية، ومجموعة اللغات التشادية، وعندما تم اكتشاف السمات المشتركة بين هذه المجموعات اللغوية واللغات السامية أطلق على المجموعتين اسم تسمية اللغات الحامية السامية، ومنذ السبعينيات أصبح اسم هذه المجموعة كبيرة من اللغات "اللغات الأفريقية العربية" وطبق جزئي أيضًا في محاولاته لإعادة بناء اللغات الأفريقية العربية تطبيقاته الخاصة بانتشار اللغات السامية والعربية في المنطقة السوية، وفي رأي أن كل مجموعة لود اللغات السامية والعربية (الليبية القديمة والضرورية القديمة والكوشيتية والبربرية والهوسا) لصول واحد محكوم عليها بالفشل، صحيح أن المقارنة البسيطة ستبين وجود أشكال مشتركة بين لغات المجموعتين، ولكن حقيقة غياب أو تعادل صوتي بين لغات المجموعتين كذلك موجود في اللغات الهندوأوروبية تؤكد أننا في حالة اللغات الأفريقية العربية
لا نتعامل مع مجموعة لغوية عائلية تكون اللغات فيها أخوات متحدات من أصل واحد، وفي رأي جريبي فإن اللغات الحامية لغات إفريقية ليست لها صلة قرابة باللغات السامية، ولكن في مرحلة تاريخية معينة، ويعتبر في الدرجة، اكتسبت تلك اللغات عنصرًا ساميا بسبب الهجرات الواقفة من المنطقة السورية: فالصرية القديمة على سبيل المثال كانت في طريقها لأن تكون لغة سامية لو أن التأصيل بالساميين استمر، والأصل إذا كان التعدد والتباين والتوزع، ولكن الوحدة اللاحقة بين اللغات السامية.

وتعاد درجات التشابه بين اللغات الحامية واللغات السامية هو نتيجة لاندماج لاحق.

ولكن البحث المقارن في مجال اللغات الأفرو أسوبية (وحتى في مجالات التصنيفات الأعلى) مايزيد مصرًا على تطبيقات فكرة إعادة بناء اللغات، وذلك أدى الاهمام بالعلاقات بين اللغات إلى قيام مراقبة أعلى من التحليل التاريخي كالتفسير في اللغة الأصل فوق اللغات الهندو أوروبية واللغات الأفريقية简易- وهي ما تسمى بالمستقبلية الأم، وظهرت محاولات كثيرة لربط السياقات الأصلية في المجموعتين وأصواتهما الأصلية، وقد سهل تطوران كبيران في مجال اللغات الهندو أوروبية مسار هذه المحاولات: التطور الأول هو نظرية الأصوات الشاذة، والتطور الثاني هو نظرية السوائد المهموزة في الهندو أوروبية الأم؛ فقد قربت النظرتان أصوات اللغات الهندو أوروبية من أصوات المجموعة الأفرو أسوبية.

بل إن هناك محاولات طموحة لضم هاتين المجموعتين للعائلة البورية التي تحتوى على اللغات القوقازية والأورالية، من الصعب تحديد القيمة العلمية للنظام المجموعات، لأن الفترة الزمنية الدنيا تسمح بالكثير من التأمل والاحتمالات الممكنة لتفاوت تسمح بوجود تشابهات معجمية، ومن ناحية أخرى ليس من المحقق عليه أن نتائج دراسات المجموعة الهندو أوروبية على كل العلاقات اللغوية في العالم، فمن الجائز جدا أن يكون نمط العلاقات الذي يسمح للغة أن تولد لغة تحتية في اللغات الهندو أوروبية، أمر استثنائي لا يمكن تعميمه على باقي اللغات.
2- موقع اللغة العربية

كانت العربية والعبرية دونًا عن باقي اللغات السامية الأخرى دراسة وتحليلًا، بالرغم من أن اكتشاف الأكاديمية قد غير الكثير من الآراء والنظريات التي كانت موجودة حول بنية اللغات السامية وتطورها وبالرغم من أن المادة الآشورية والبابليَّة الموجودة يرجع تاريخها لأكثر من ألف عام قبل تاريخ أقدم المواد العربية المكتوبة، تبقى اللغة العربية مروناً لتحليل اللغات السامية وأعمالها، وليس السبب فقط معرفة الباحثين باللغة العربية ووفرة المادة المتاحة عن تاريخها، بل يكن السبب أيضًا في كونها لغة محافظة نوعًا ما، وخاصة في مسألة احتفاظها بالعلامة الإعرابية.

مانزلاً مسألة موقع اللغة العربية في شجرة العائلة السامية مسألة محيرة لعلماء الساميات، فقد رأينا سلفاً أنه كان من المتوقع أن توضع العربية في مجموعة واحدة مع العربية الجنوبية القديمة والحديثة واللغات الإثيوبية وهي مجموعة الساميات الجنوبية، المعيار الأساسي لهذا التصنيف كان صياغة جموع التكسير - أي تلك الجمع التي تتكون من إعادة بناء صيغة المفرد دون أي إضافة صرفية أو علاقة اشتقاقية بين المفرد والجمع - هذه السمة موجودة في الساميات الجنوبية فقط: في العربية هناك مجموعة صغيرة من الأسماء تشبه صياغة جموع التكسير بحيث لا توجد علاقة صرفية بين المفرد وتماثيلها التي توجد مع المفرد. إن لم تكن أمثل تلك المجموعة مشتقة من أسماء مفردة أخرى قد اختفت من الاستخدام اللغوي مثل pesel فإن ذلك يمكن أن تبرر وجودها بعملية تحول في النبر قد حدثت في اللغة في مرحلة سابقة، بعض أمثلة جمع التكسير المزروعة في العبرية ربما تكون أسماء جنس كما هي الحال في عبريتي " rubbed"، كما يقول كوريتن (1976)، فإن التقابل الشرقي بين المفرد والجمع تطور حديث في اللغات السامية ولكن تلك اللغات كانت في المدة قبل ذلك تميز بين نوعين من الصيغة: صياغة استغرافية تعبير عن جنس أو أشياء ممتهن، وصياغة تعبير عن قلة أو أشياء تافهة غير مهمة. تتضمن الصياغة الثانية التصغير واسم الجنس والأسماء غير المادية، وكانت هذه الكلمات تحمل لاحقة تاء أو ألف مد أو ألف مقصورة، وهي واقع أصبحت بعد ذلك العلامات النحوية للمؤثر.
عندما بدأت اللغات السامية تطور الفارق النحوى بين المفرد والجمع، اختارت اللغات السامية الشرقية والشمالية مورفيم واحدًا للتعبير عن الجمع وهو مورفيم للفعل في العربية، أما اللغة العربية والسامية الجنوبية فقد فرت تحت تأثير نوع من أنواع الجمع، وجاءت تلك اللغة من بين علامات التكرار السامية السائقة للجمع، ففي اللغة العربية كلمة "صديق" وتقل قراءة جمعه "صديق" وتقلق. لجمع اسم العاقل اختارت اللغات السامية الجنوبية جمعًا سائلاً وهو في العربية أون أو أين ألمذكر وأين أو أين الفاعل، تزعم تلك النظريات إذن أن جميع التكشير في اللغات السامية الجنوبية كانت في البداية أشكالًا خارجية مستخدمة مع الأسماء المؤثة أو أسماء الجنس وأصبحت بعد ذلك جمعًا ثابتاً لا يتغير عندما تطورت صيغة الجمع، لا يمكن تجاهل وجود كل جمع التكشير في اللغة العربية بهذا التفسير، ولكننا نقول إن الأشكال التي كانت تتحمل الوافق هي التي بدأت تلك الصيغة، ولذلك يمكن أن نقترح الكلمات القليلة في السماتات الشمالية التي تجمع بصيغة جمع التكشير على أنها كانت في البداية أسماء مؤثة أو معنوية. وإذا كان اصل جميع التكشير يعد حقيقة لغة سامية مشتركة فإنها ليست تجسيدًا للفاعل. ففي السمات المستقلة، بل إن التطورات الحديثة التي باعثت ما بين السماتات الجنوبية والشمالية الغربية.

جمع بعض السمات الصورية، كجمع التكشير، اسم المفعول، بعض التطورات الصوتية بين العربية والسامية الجنوبية والإثيوبية في مقابل بقية اللغات السامية، في معظم اللغات السامية هناك تقابل بين الأسماء FNQ، أما في اللغات السامية الجنوبية فإن صوت النافذ الشفوي يحل محل صوت FNQ الموجود في باقي الساميات: انظر مثلاً كلمة في السامية FNQ، وكليمة في الكلائد FNQ، تعني "تَقَزِّب". وكليمة في الإثيوبية FNQ تعني "يَقْدَ", على ما في اللغة العربية، وهو نفس الكلمة في FNQ، وفي الإثيوبية FNQ تعني "يَطلب"، بنفس الشكل يتناسب صوتيًا في اللغات السامية الجنوبية مع الكلمة FNQ في الكلائد FNQ وFNQ FNQ. هذه الكلمة في اللغة العربية والسامية الجنوبية هي "أرض"، وكذلك يتناسب صوتيًا في باقي الساميات مع الساميات الجنوبية.
مع ذلك هناك حالات تتشترك فيها العربية مع الساميات الشمالية الغربية في بعض التحديات في مقابل العربية الجنوبية وباقي اللغات الإثيوبية. أحد هذه السمات هي تطور لواحب الفعل الماضي؛ عممت العربية والعبرية لاحقة النهاة على ضمير التكميم والخاطب المفرد، بينما اختارت العربية الجنوبية والإثيوبية صوت لاحقة الكاف، وبه سمة أخرى تفصل بين العربية والإثيوبية واللغة الجنوبية لها علاقة بصياغة الفعل المضارع. كما تقول معظم محاولات إعادة بناء السامية الأم. فإن تلك اللغة تمتلك ثلاثة أشكال للفعل: شكل مضارع وامض عامي وافتراضي بالإضافة إلى ينيتVI ، وعندما تظل السامية تطورت لاحقة النهاة إلى زمن ماضي ليحل محل الماضي القديم الذي أصبح مطابقاً للصيغة الافتراضية بسبب تحول في النبر، وأسقطت العربية والهندية والآرامية المضارع الموجود في السامية الأم وبنبت شكل الماضي والافتراضي كشكل جديد لجهة الاستمرار مع مورفيم -تى للضارع الوصفي، وسمى هذا الشكل بشكل المضارع في العربية، وبحل إشارة زمنية غير الماضي، أما الإشارة الزمنية الأصلية الماضي والتي كان يحملها شكل الماضي فيمكن أن تراكا في العربية في استخدام شكل المضارع مع ما يسمى بالـ "اء". وفي اللغة العربية أيضاً عندما يدخل النهاة المضارع مع "ان" الشرطية أو "لم" فإنه يشير الماضي، وكانت إذن خلاصة تلك التطورات أن ظهر نظام فعلى جديد جمع اللغة العربية في زمرة اللغات السامية الشمالية الغربية، وفصلها عن باقي لغات المجموعة الجنوبية.

لم تكن تلك هي كل السمات التي جمعت العربية بباقي اللغات الشمالية الغربية، فلغات تلك المجموعة هي الوحيدة التي طورت أداة التعرف، أداة التعرف في العربية الجنوبية هي -تى، وفي العربية هي تألف أوفي الفينيقية والعربية هي -تى تطورت أداة التعرف في تلك اللغات من عنصر إشارة كان قد فقد صيغته الإشارة، وفي نفس الوقت ظهرت عنصر إشارة أخرى من تجمع عنصر مختلفة كما حدث مع الفينيقية وـ حازى/ هازى في العبرية وهذا الأذكى في العربية، وفي تلك اللغات ظهر تجديد صرفي معجمي هام جداً وهو تطور ضمير الغائب، وهو بدأه بعنصر 5 في هـ أو هي في العربية و/ في الساميات الشمالية الغربية، على عكس 5 في
العربية الجنوبية – وإن كانت الضمائر في السبئية تبدأ بالعنصري من الممكن أن يكون هذا التجديد قد انطلق من الشمال باتجاه الجنوب كما يفصح جربيني، والجهاز في ذلك أن التجديد يصل إلى السبئية ولكنه لم يبلغ باقي اللغات الجنوبية. خصوصاً يمكن أن تذكر أن اللغة العربية واللغات السامية الشمالية الغربية طورت شكلًا للحالة المؤثرة دون الدخيلة الختامية في العربية علامة المؤثر في الوقت الذي صور في القصيرة دون الدخيلة، أما في العربية فلاحةك الفقير دائمًا في الآل المحدودة.

جعلت السمات المشتركة بين اللغة العربية واللغات السامية الشمالية الغربية هنترزون (1974 و1976) يقترح تصنيفه الجديد وهو تصنيف الساميات المركزية. بالمقتضى هذا التقسيم الجديد تتشكل العربية مع الكلمات واللغات الأرامية في مجموعة واحدة وليس مع العربية الجنوبية واللغات الإثيوبيا، ولما كان التصنيف الجديد بيếu السمات المشتركة بين العربية والساميات الشمالية الغربية تبغير حسبًا، فإن السؤال هو كيف نستطيع أن نفسر التشبيهات بين العربية واللغات السامية الجنوبية؟ أحد الافتراضات أن ننظر إلى تطور جمع التكسير على أنها ظاهرة أصابت بعض اللغات السامية الغربية. وهي المجموعة التي أصبحت بعد ذلك اللغات السامية الجنوبية، لم ينتشر هذا التجديد في كل لغات المجموعة الغربية، ولذلك عندما أنقسمت تلك المجموعة انحدرت بعض اللغات ناحية الجنوب وأصبحت اللغات الجنوبية الغربية، بينما ظلت العربية مكانها وارتبعت بشكل أكبر بباقي لغات المجموعة الغربية وهي الكلامية والأرامية، وتطورت معها نظامًا فعليًا جديدًا وإداة تعريف وإداة التأثيث وسمات أخرى.

قدم هنترزون تصنيفًا تحتويًا من تصنيف الساميات المركزية. وأقام هذا التصنيف على أساس سمة أخرى وهي سمة لاحقة جمع المنحى في الفعل؛ في اللغة العربية عندما كتبنا أيكتُن للثائر الجمع في الماضي، عدنا ذلك كيكتُن أيكتُن للفائض الجمهور في المضارع. تشبه تلك السمة لاحقة الفعل المضارع في العربية شبهًا جزئيًا، بيد أن المثكنة والمؤين في الماضي في العبرة قد اندمج، ولكن تلك السمة تختلف عن الآرامية التي تعلم جمع المنحى بالائها، بناءً على ذلك قسم هنترزون الساميات المركزية للعربية والعبرية من جهة، والأرامية من جهة أخرى، وقدم فويجت (1987)
تعديلاً على هذا التصنيف حيث اقترح فصلاً بين العربية الجنوبية القديمة والعربية الجنوبية الحديثة. بناء على نظريته، يجب تصنيف العربية الجنوبية القديمة كلغة سامية مركزية، بينما يتعين وضع اللغات العربية الجنوبية الحديثة في مجموعة اللغات السامية الجنوبية مع اللغات الإثيوبيا.

هناك نظرة بديلة لتوزيع السمات المشتركة بين العربية وباقي اللغات السامية.

وهي مرتبطة بنظرية جرينبي. أشارت سلسلة نظرية جرينبي التي تؤديها أن اللغة العربية السامية ظهرت حيث خرجت جماعات من الناطقين من المنطقة السورية المتاخمة للساحل، وانعزت عن منطقة التسجيل اللغوي. تمت عملية التنقل من حياة الجغرافيا لحياة النزول في النصف الثاني من الألفية الثانية قبل الميلاد. ولذلك يجب أن تكون السمات المشتركة بين اللغة العربية واللغات الشمالية الغربية قد نتجت عن التسجيلات السابقة في المنطقة السورية قبل عملية البدو. ولذلك تجد أن اللغة العربية لا تحتوي أي عنصر قديم ليس موجوداً في بقية السمات السامية الغربية التي نشأت في الألفية الثانية قبل الميلاد.

ومنذ أن انتشرت العربية جنوبًا وصلت إلى منطقة نفوذ العربية الجنوبية التي استوطنت المنطقة قبل العربية بفترة طويلة، واستقر بعض العرب في منطقة العربية الجنوبية ووضعت علاقة بينهما، وفي الألفية الأولى قبل الميلاد بدأت حركة تحضير لبعض العرب في المنطقة السورية، حيث هاجر بعض العرب من الصحراء لمناطق خصبة في الشام واستعمروها. وقد أدى ذلك العملية إلى تعرية المملكة التبتية. وعندما صعد نجم الملك العربية الجنوبية في الألفية الأولى قبل الميلاد، ازداد تأثير لغات تلك الملك على لغة العرب البديع. ويعتقد جرينبي أن هذه العملية التاريخية تبهر وجود السمات المشتركة بين اللغة العربية والساميات الجنوبية، ولكن لا يمكن أن نجزم بتصنيف العربية من اللغات الجنوبية أو من مجموعة اللغات السامية الشمالية الغربية بسبب اتصال العرب البديع باللغة العالمية واللغات العربية واللغات السورية معاً، وذلك قد تأثر العربية عبر تاريخها الطويل بالتحديات التي حدثت في المجموعتين.
أدت نزعة محاولة إعادة تركيب اللغة السامية الأم انطلاقًا من العربية في الماضي إلى تركيب لغة سامية أم مشابهة للغة العربية شبيهة كبيرة، ولذلك اعتبار المبحداث العربي لغة قديمة بالمقارنة بباقي اللغات السامية. في الحقيقة كانت بعض السمات العربية موجودة في التراصر المبكرة للفات أخرى، ولكنها أتهمت في مراحل تطورها الأحدث. احتفظت اللغة العربية مثلًا بالأصوات التي تخرج من بين الأسنان مثل صوت الهواء والذال، وفي أصوات استجابة في الأكاذيب بالإبربية والأدبية. احتفظت اللغة العربية في الأقليات للأصوات الأكاذيب، وفي الأكاذيب shalaashum وفي السريانية talaat وفي الإبدية shaalosh. وفي الإبربية talaat وفي السريانية shaalash وفي الإبدية. احتفظت العربية الجموحية في مراحلها المبكرة بالأصوات التي تصدر من بين الأسنان، وكانت هناك أيضًا بقايا من هذه الأصوات في الأكاذيب، والأدبية، الأندية.

من بين كل اللغات السامية احتفظت العربية والإبربية الجموحية القديمة بالجماعة الكاملة من الأصوات التي تصدر من أصوات الامن خصوصاً وغين ومجموعة الأصوات الحلوة كالعين والفهمة، وفي معظم السوادة الأخرى احتفظت الأصوات المهمسة في الخاء واندمجت الأصوات المشروعة في الغين، على ذلك أصبحت كلمة "عين" في الإبربية. ومع ذلك يبدو أن الإبربية احتفظت بصوتي الفين، وفي الأكاذيب لا يوجد من تلك الأصوات إلا صوت الخاء، بينما اندمجت باقي تلك الأصوات في الهصرة، ولكن هناك حالات على أن الأكاذيب كانت تمتلك كل تلك الأصوات في مرحلة مبكرة من تاريخها.

في مجال الصرف، يتجلى قدم اللغة العربية في امتلاكها لنظام تصفح إبربي كامل في الاسم، بثلاثة علامات هي الضمة والكسرة والفتحة. كانت الأكاذيب القديمة تمتلك نفس العلامات الإبربية، ولكن في مراحل تطورها الأحدث، أي في الباрабينة الحديثة والأدبية الحديثة، بدأت تلك العلامات تضطرب ثم احتفظت بكمية. أما فيلغات المجموعة الشمالية الغربية الأقدم كالأجراوية، فقد كانت هناك علامات إبربية احتفظت بعد ذلك في اللغات الأحدث كالعبرية، في العربية الجموحية القديمة لم تكن هناك علامات إبربية. ولكن هناك مجموعة من السمات الكتابية الخاصة التي تشير لوجود تلك
العلامات في مرحلة أقدم من مرحلة تدوين النقوش في الإثيوبيية هناك علامة إعرابية واحدة وحيدة وُبُرِّت لا تزال راجعة إلى علامة مفعول به قديمة.

في اللغة العربية هناك بعض السمات التي لا تعرف أنها وجدت سلفًا في أي من اللغات السامية الأخرى، ولذلك يجب أن تكون تجديدات حدثت في اللغة العربية بشكل مستقل عن باقي الساميات، في المجال الصرفي، هناك لاحقة n أو التوين الموجود في اللغة العربية للفهم من التنكر، ولا يوجد تلك الاحتكاك في أي لغة سامية أخرى. رأينا سلفًا أن العربية تشكك مع الكلمات والروماية في استخدام أداة الترميم، ولكن العربية تتقدم باستخدام صوت اللم للكل الآداء بدلاً من الهاء في اللغتين الأخرىين.

تبين قائمة نونيمات اللغة العربية وجودة عناصر قديمة مع عناصر تجديدية في أن،
رآينا سلفًا أن العربية احتفظت بالأصوات التي تصدر من بين الأسنان والأصوات اللقائية والتي تصدر من آخر أسنان الحنك، وهي أصوات ربما كانت من بين مجموعة نونيمات مشتركة في السامية الأم، ساشر في الفقرات الدالة لسيرة تجديدات في اللغة العربية جيدة بالذكر.

أولا: واحدة من سمات اللغات السامية الخاصة جدا هي الأصوات المفخمة،
وتطرق تلك الأصوات في العربية بعملية تخفيف، فيرفع في تلك العملية التحكم في الأسنان تجاه الحنك اللين ويخفض طرف الأسنان الأسفل في مقدمة الهم. تنطبق الأصوات المفخمة في اللغة العربية مع الأصوات الممفزة في اللغات الإثيوبية، وقد أدى هذا التطابق لظهور بعض الأفكار بشأن نشأة الأصوات المفخمة في اللغة السامية الأم، فيزعم بعض الباحثين أنه من الأسهل أن يتم الانتقال من الأصوات الممفزة للصوت المفخمة وليس العكس. ولذلك يعتبر علماء لغة العربية تجدوا لاحقا من المفترض أن اللغات السامية كانت تحتل خمسة أصوات مفخمة، تحتل العربية منها أربعة هي الصاد والضاد والطاء والكاف.

ثانيا: الصوت العربي المطبق للصوت السامي 3 هو صوت الظاء، ولكن هذا الفنون قد فقد سمة النطق من بين الأسنان في كل اللغات السامية الأخرى إلا الأوربيانية والعربية الجنوبية القديمة.
ثالثًا: الصوت العربي المطابق للصوت السامي G هو صوت الضاد. هناك بعض الشواهد في اللغة العربية قيمها لنا النحويين تدل على أن الضاد كانت تنطق من آخر الحتك الأعلى بشكل جانبي. ومع أن الضاد كانت فونيما مستقلًا في الساميات واللغات الشمالية، ومع ذلك، توحي النشاط في الفعلية صوت G في العبرية، أصبح صوت الصاد في الفصحى العاصمة الصوت المجهول المقابل للطاء.

رابعًا: ربما يكون الصوت العربي الفصيح المقابل لـ صوت G في السامية الأم صوتًا غير مفخم ومجهور يقابل الصوت المهموس K هذا هو الفونيم الذي ننطقه الآن في الفصحى العاصمة على أنه صوت القاف. ولكن ربما كان صوتًا يشبه الجيم المجهورة في مراحل تطور العربية القديمة - كما هو الحال في اللهجات البدوية الحديثة - ولكن على أي حال لم يكن صوت القاف مفخضاً في الفصحى القديمة.

خامسًا: هناك عادة اعتقاد بشأن السامية الأم كانت تمتلك ثلاثة أصوات احتكاكية هي غ و غ و صوت يشبه الأس السين الجانبي، وتمتاز اللهجات العربية الجنوبية بحتفظ بتلك الأصوات كلها، أما في العربية فالصوت السامي قد اندمج في الشين.

سادسًا: الفونيم العربي المقابل لـ صوت G في السامية الأم هو الجيم المعطشة، وشكل هذا الفونيم سلسلة صوتية مع صوت الشين الجديد.

وأما بالنسبة لمناقشة وجدول موقع العربية بين اللغات السامية. والخليجية الوحيدة التي يمكن أن نستنتجها من المادة التي قدمناها هنا هي أن العربية تشبه اللغات السامية الجنوبية كالعربية الجنوبية والإثيوبية. وتشبه اللغات الشمالية الشرقية كالكنعانية والأرامية. وهي تحتوي أيضًا على تجديدات ليست موجودة في أي لغة من لغات العالم السامية. وسبب الاضطراب في مسألة تاريخ العناصر والسمات المشتركة فإنه من الصعب أن نصنف اللغة العربية بين الساميات تصنيفًا جينيًا كذلك التصنيف الموجود في لغات المجموعة الهندو أوروبية. وإذا يصبح من الأفضل أن نحصر أنفسنا في التحليل الوصفي لعلاقة اللغة العربية بجاجاتها من اللغات السامية.
الفصل الثالث

مراحل اللغة العربية المبكرة

3-1 العرب

لا نعرف تاريخ وصول البدو الأوائل إلى شبه الجزيرة العربية، ولا نعرف أيضاً أي لغة كان هؤلاء البدو يتكلمون، ومن المفترض أن يكون استعمار شبه الجزيرة العربية قد بدأ في الآلية الثانية قبل الميلاد، وقامت حضارات عرية ومتقدمة في جنوب الجزيرة في الفترة ما بين القرون الثالث عشر والعشرين قبل الميلاد، واللغات المستخدمة في النقوش التي عثرنا عليها ويرجع تاريخها لمثل الحضارات تدل على لغة تقارب العربية، بالرغم من أنها لم تحتوي على بعض التغييرات التي نشأت على العربية. والخط الذي كتب به النقوش العربية الجنوبية خط يشبه الخطوط المستعملة في لغات سامية شماليه كالفينيقية، بل ربما تم نقلها من المنطقة السورية الفلسطينية إلى الجنوب، وتم استبدال الخطوط العربية الشمالية من هذا الخط العربي الجنوبي القديم (عادة ما تسمى لغة النقوش الجنوبية باللغة العربية الجنوبية القديمة) وتتقسم تلك اللغة لعدة لهجات أو لغات، ومن أشهر تلك لهجات السبئية الصقيعية والفينيقية، ومن المفترض أن تكون تلك اللغات أو لهجات قد ساهمت بعد الفتح الإسلامي بفترة وجيزة، أما اللغات العربية الجنوبية الحديثة القديمة كالسوطانية والهمية فهي لغات مرتبطة بالعربية الجنوبية القديمة، وإن لم ترد منها بشكل مباشر، وتلك اللغات حية لم تزل ومتكلمة في جنوب لغوية محدودة في جنوب الجزيرة العربية.

لم يكن سكان الإمبراطوريات العربية الجنوبية يسمون أنفسهم عربا، وفي حوالي القرن الثاني قبل الميلاد. ذكرت بعض النقوش العربية الجنوبية شعوباً بديعة اسمها
العربية وقامت بينهم وبين شعوب الجنوب الحضرية، ولكن أقدم استخدام لسمية العرب
جامعًا من منطقة أخرى، في نفس يعود تاريخه إلى 85 قبل الميلاد ذكر الملك الآشوري
سانشسر الثالث أن أحد أعدائه رجل يسمي "جندبوب" من أرض " العرب" أو " العرباء".
ولكن تسمية العرب كشعار ظهرت بشكل أكثر في نصوص متنقية يرجع تاريخها إلى
القرن الثامن قبل الميلاد، بالنسبة للبابليين والآشوريين كان تلك التسمية تضم كل
القبائل اليهودية، والتي كان بعضها يتكلم الآرامية دون شك، ربما كانت تسمية
استفارة لكل البدو الذين يقيمون من الصحراء لغرز الحضارات الحضرية، وهي قبائل
حارة الآشوريين بشدة أو حاولوها على أعداء آخرين، وفي عام 815 قبل الميلاد
حاول سارجون الثاني أن ينهي معارضة البدو بتوطين بعض قبائل البدو في منطقة
قرب حمص، تذكر التصويب العرب أنهم "صابري" أو "سنوري" أو "مسماري"، وتبين بعض الجدائل الموجودة في قصر الملك الآشوري بباب المجد العلوي، الذي يرتدي
البدو الآشوريين ويخضعون لعبادة مرة، اسم العرب موجود أيضا في التوراة
العبرية، الذي تكلم في نص من القرن السابع قبل الميلاد عن ملك العرب " العرب" الذين
يعيشون في الصحراء.
لا يعرف أصل كلمة " العرب"، هناك في نقوش ماري ذكر نسمة مريني هي نسمة
ببسي الناحلين أن hermaka نسمة مع تسمية " عربي"، ولكن يظن بعض العلماء أيضا أن
تسمية العرب ترجع إلى كلمة " الغرب "، حسب نظرية
أخرى ترجع تسمية العرب إلى الجذر السامي " ع-ب-ر" بمعنى غرب الصحراء، وهو
نفس مصدر تسمية العرباتين أيضا. وما أننا لا نعرف اللغة التي تتكلمها القبائل
المختلفة التي سمييت " العربي"، فإن ذكر العرب المبكر لا يعلمنا شيئا يذكر عن مرحلة
ما قبل التاريخ في اللغة العربية.
يعتبر ظهور العرب في التاريخ متصلا بشكل مباشر باستخدام الجسم، كان
"جندبوب" الذي نكلنا عنه سلفاً يملك آلًا من الجمال، وفي جدائل القصور التي
تكلمنا عنها سلفاً أيضاً كان العرب يهاجمون الآشوريين على ظهر الجمال، وأثبتت
دراسة حديثة عن تربية الجمال أن استناداً حيوان الجسم ظهر في جنوب شبه
الجزيرة العربية، ومن خلال تلك المنطقة عرف الناس في الشمال هذا الحيوان حوالي عام 1200 قبل الميلاد. بفضل تجارة البخور، ويجيب أن نذكر أن هذا حدث في نفس الفترة التاريخية التي يدعى بعض العلماء أن جماعات من الساميين من تحمو المنطقة السورية قد عزت نفسها خلالها عن المنطقة وعاشت في الصحراء، ويدعى جرنيني (1984) أن ظهور اللغة التي تعرفها بالعربية قد بدأ من خلال عملية البدو تلك.

وعندما اكتشف بدو الصحراوي السوري نوعًا من السروج يمكنهم من امتطاه ظهور الجمال، اتسعت نطاق حركتهم بشكل كبير. استطاع هؤلاء البدو أن يملكون قطعانًا كبيرة، والأهم من ذلك أنهم استطاعوا أن يسيطروا على قوات الجنوب، ومن المفترض أن يكون هذا التطور قد حدث في القرن الأخير قبل الميلاد، وهذه هي بداية مرحلة البدوة الحقيقية، وقد ساعد ركوب الجمل البدو على المحافظة على صلات قوية بالحضارات المدنية في سوريا والعراق، وحدث تحسن آخر على أساليب انتقال البدو باختراق حلقة السرج الأمازيغية في القرنين الثاني والثالث الميلاديين، وقد أدى هذا التطور إلى توليد مجتمع من المحاربين الراكونين كتلك القبائل التي خبرناها في الفترة التي تسبق ظهور الإسلام مباشرة.

عندما أصبح طريق التجارة البري بين جنوب شبه الجزيرة العربية ومنطقة البحار الذين أكثر أهمية من الطريق البحري، تعاطم نور البدو في هذه التجارة، وأسس العرب الجنوبيون مستعمرات على طول طريق التجارة، ولكن عندما ضعفت الممالك اليمنية تدخل البدو، وبدو سيطرون على تدفق التجارة بأنفسهم، أول مرحلة من مراحل هذا التطور كانت قيام مدن القوافل في تدمر والبتراء، ولكن الإمبراطور الروماني تراجان احتل المملكة النبطية عام 107 ميلاديًا، وبعد سقوط تلك المملكة حل محلها ملك تدمر، وهي واحة تقع على بعد 200 كيلومترًا إلى الشمال الشرقي من دمشق.

وكان غزه الروماني لتدمير عام 272 ميلاديًا هو نهاية تلك الواحة الثرية، وبعد القرن الثالث الميلادي سيطر التنافس بين القوى الثلاثة: بيزنطة وفارس ومملكة حمير (آخر الممالك العربية الجنوبية) على مسرح الأحداث. فقد كان لكل قوة من القوى حليفًا من
بين البدو العرب، فقد كان هؤلاء لغويون عرب، وكان الأمر يتطلب حقلاء الرومان، وكانت مملكة كندة حليفة الصحراوية. وفي القرن الخامس والسادس تغير الوضع السياسي كلية بعد سقوط مملكة حمير عام 645 إثر الغزو الحبشي وعند الحرب الضروس بين الفرس والروم التي أضحت الطرفين. ولذا ضعفت قوى الممالك الثلاثة الكبيرة ضعفت قوى الحلفاء العرب أيضاً. وقد أدّى ذلك لدعمهم مراكز إدارية داخل شبه الجزيرة العربية، مثل مكة التي كانت قد أصبحت مركزاً ثقافياً ودينياً يؤمه العرب البدو، والتي انتشرت فروضها السانحة للسيطرة على تجارة القوافل، وذلك أصبحت موشقاً أو قبّي في مكة، واحدة من أعظم قبائل العرب، بل ويمكننا أن نقول إنها لم تفقد هذه المكانة على مر تاريخ الإسلام اللائق بفضل رسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

3- العربية الشمالية المقبرة

لكي تعرف على المناصر المبكرة للغة العربية يجب أن نرجع إلى النقوش المكتوبة بلغات أخرى، في بعض النقوش العربية الجنوبية نجد أسماء ليست من النمط العربي الجنوبي كاسم ريدة وأسلم، وأحيانا نجد الأسماء العربية عن العربية الجنوبية مشفرة ببلاغة اليوم في العربية الجنوبية، من بين تلك الأسماء عبيدُ، بل وأحيانا تجد الأسماء مسبوقة بدءاً التعرف العربي مثل الحارث، ربما تشير تلك الأسماء لأشخاص من أصول عربية شمالية استخدمن الممالك الجنوبية لحماية قوافلها على طريق البخور الذي يعتبر الصحراء العربية. وهناك أربع مجموعات من النقوش تهمنا من الناحية اللغوية بشكل أكبر، اكتشفت هذه النقوش أول ما اكتشفت في أواخر القرن التاسع عشر، وهي نقوش مكتوبة بلغة يبدو أنها المراحل المبكرة من اللغة العربية. تستخدم تلك النقوش خطًا مشتقًا من الخطوط العربية الجنوبية. وقد سميت لغة تلك النقوش باللغة العربية الحربية، ولكننا سوف نسميها هنا باللغة الشمالية المبكرة لتفريقها عن لغة النقوش العربية ولغة الكتابات الإسلامية المبكرة، بما أن تلك النقوش مشتركة في غالبها، كما أنها لا تحتوي على أي مادة غير أسماء الأعلام، فإن تحديد هوية اللغة المستخدمة في تلك النقوش أمر صعب جدًا، ولكن لغة تلك
النقش على أية حال مرتبطة بالعربية الكلاسيكية ارتباطًا وثيقًا، مجموعات النقش الأربعة هي كما يلي:

النقش الشمودية

ذكر القرآن في سورة الأعراف شموئ كمثيل على شعب مات لأنه لم يتقبل رسالة النبي صالح عليه السلام، يظهر اسم الشمودية في شكل النسبة في أكثر من سياق تاريخي في العصر الحديث، ذكرنا سالفًا أنه في نقوش الملك الآشورى كان هناك ذكر لقوم اسمهم "شمود" وظروا بالقرب من سوماريا. وكذلك أعطينا تسمية الشمودي على عشائر الآلهة من النقوش القصيرة المكتوبة خط مشتق من الخط العربي الجنوبي، وهي نقوش اكتشفها في غرب ووسط شمال الجزيرة العربية، وامتدادًا في واحات الصحراء، وصولًا إلى شمال اليمن وهو نفس خط طريق التجارة القديم، ويرجع تاريخ تلك النقش من القرن السادس قبل الميلاد إلى الرابع الميلادي، وكتشف معظمها في دومة الجندل والحجر. ولكن هناك مجموعة متعززة من النقش اكتشفت في واحة تيماء، معظم تلك النقش صغيرة جدًا وتحتوي على مجرد أسماء أعلام كفلان بن فلان، ولا تجاوز تلك النقش الشيء الكثير عن تركيب تلك اللغة، بل إنه ليس من الواضح إن كانت كلها مكتوبة بنفس اللغة، ولكنها جميعًا على أية حال تنتمي لمجموعة العربية الشمالية التي يميزها وجود أداة التعريف "أه في الجمل" مثل.

النقش الفحيانية

ربما ترجع أقدم تلك النقش المكتوبة بدورة بخط عربي جنوبي إلى النصف الثاني من الألفية الأولى قبل الميلاد، ومكانها هو واحة ديدان، وهي ما تعرفه الآن بالطلي التي تقع على بعد 300 كيلومترًا إلى الشمال الغربي من المدينة المتورة، وهي واحة كانت تقع على طريق تجارة البخور بين اليمن وسوريا، كانت تلك الواحة في الأصل مستعمرة مدنية ولكنها تحولت إلى محجية باطنية حتى القرن الأول قبل الميلاد. في بعض الأحيان تفصل بين النقوش الليبية والنقوش الفحيانية على أساس أشجار الألقاب الملكية المستخدمة، النقوش القدم هي النقوش الدردانية التي تشير إلى ملوك
أما معظم النقوش التي يبلغ عددها أكثر من 300 نص فهى تشير إلى ميلاد حبان، وهي تتنوع الحقيقة بين القرن الرابع قبل الميلاد والأربيل الميلادي، ومعظم تلك النقوش عبارة عن أسماء أشخاص، وهي مسوبة بصوبتهما وما كان مستخدماً للإشارة إلى كاتب النقوش أو إلى الشخص الذي توجه إليه الكتابة ربما، ولكن هناك نصوص كبيرة في تلك النقوش كتمقبب النقوش البناء على سبيل المثال، ومنها يتضح أن له تلك النقوش تتميزي لمجموعة العربية الشمالية، إذ إنها تمثل أداء تعريف لله، أي "الله القديم، ماء،" في مثلاً 1:119 من القرآن الكريم (روبن 1992: 118).

النقوش الصفائية

ترجع تسمية النقوش الصفائية المكتوبة بخط عربي جنوبي إلى منطقة صفاء، حيث شرق دمشق، وجد الباحثون من تلك النقوش حوالي 15 ألفًا في تلك المنطقة ومنطقة شمال المملكة العربية السعودية، يرجع تاريخ تلك النقوش إلى الفترة ما بين القرنين الأول قبل الميلاد إلى القرن الثالث الميلادي، وتحتوي غالبًا على مجرد أسماء أعلام مسوبة بصوبتهما حرفة بحر وحرفة بحرف جر وما كان يمكن أن يشير إلى مبيض خيام أو تتكلم عن الشهادة. وفي بعض النقوش هناك نص نادر للأحداث السياسية الهامة التي بدت في المنطقة، وهي مسوبة بكلمة "سما" نلاحظ في هذه الكلمة وجود علامة تاء التالي مكتوبة، ولا نجد الشكل الحديث من تاء التائي غير المزعومة إلا في حالة أسماء الأعلام المؤثرة، حيث تلك النقوش لا يضع رموز لأصوات منطقية، وكتب العلماء أن النقوش طويلها على عكس النطق العربي الأحدث على ذلك يمكن أن نفسر كلمة "در" على أنها "دار"، وهي تعني "مضرع الخيم". بنفس الشكل غالباً ما لا تكتب الأصوات الع ألفية، برموز مستقلة بها، فتوجد كلمة "مت" تعني "موت"، وتعني كلمة "بيت" هو "الخيمة". ربما يعني هذا الاضطراب وجود تطور في نطق أصوات اللين المركبة، لتشتق إلى "ه" و"ه" إلى "أ"، وكانت أداة التحريف هي "أ" أو ربما كانت تضعف في "ح" و"ح" إلى "ه"، وتعني أن النقوش في عملية الإضمام والتضييف.
الجمع السالم في النقوش الصفائية ينتهي بـ \( n \) أو ربما - \( in \) إذا أن خط تلك
النقوش لا يعبر عن أصوات المد الطويلة. وذلك تجد كلمة
\( had-Daalituu \) تعني /h-DalIn/ تعني
"الضالون". يبدو أيضًا أن هناك شابًا معجميًا بين لفظ تلك النقوش ولغات
الاسمية الشمالية الغربية، كما هي الحال مثلاً في كلمة
\( midhbaar \) بالعبرية،
"صحرا".

النقوش الإحسانية

تحتوي تلك المجموعة من النقوش على أربعين نقشًا وجدت كلها في الإحساء
باللغة العربية السعودية، ويرجع تاريخها إلى الفترة ما بين القرن الخامس والقرن
الثاني قبل الميلاد، وهي مكتوبة بخط مطبخ لخط العربية الجنوبية تقريبًا، تلك النقوش
قصيرة جدا ولا تعرفنا شيئًا عن بنية اللغة التي كتبها، ولكنها من الواضح تماما أن
أداة التعريف في تلك النقوش هي \( in \) في أسماء من أمثال 42، وهو اسم الوثن
العربي القديم "اللاب".

وإذا كان لنا أن نعتبر أداة التعريف المنصرع المميز الوحيد فكل تلك النقوش تنتمي
إلى مجموعة \( n \) اللغوية، وهي جميعا تختلف في ذاك عن أداة اللام في اللغة العربية التي
تعرفها، وعلى عكس اللغات العربية الجنوبية التي تضع أداة التعريف - بعد الاسم
العرف، فإن لفظ تلك النقوش تضع الأداة قبل الاسم - كما هي الحال في اللغة العربية.
وتشترك النقوش أيضًا مع اللغة العربية في تقليص عدد الأصوات الاحتكاكية إلى
اثنتين هما السين والشين، وذلك بينما تمتد تلك اللغات العربية الجنوبية ثلاثة فوائض
احتكاكية. على الناحية الأخرى تمتلك لغة النقوش سابقة تسمى إسناد قوة الفعل لفاعلي
معنوي غير فاعل الجملة، وذلك السبب موجودة في العربية واللغة العربية/العربية، ولكنها
في الثلاثة مختلفة وليس متثابطة. أما لاحقة ضمير الغائب في الأفعال فهي في لغة
النقوش - 4، بينما هي في العربية الجنوبية - 4. أما في اللغة السيني في مثل لغة
النقوش، وفي العربية الحديثة هي نفس لاحقة لغة النقوش. وفي تلك المرحلة من البحث
لا يمكن أن نصل لنتيجة حاسمة بشأن تصنيف تلك النقوش، ولكن هناك بعض السمات
التي ستناها تفصلها عن العربية التي تعرفها وكذلك عن اللغات العربية الجنوبية.
المعتمدة والتدمرية

تميزت النقشة التي تكلمنا عنها سابقًا باستخدام دلالة التعريف 201، ولكن لكي نحص على نص قديم يحتوي على الألف واللام العربية يجب أن تتجه لنوعين أخرين من النقش - النقش النبطية والتدمرية. تلك النصوص مكتوبة باللغة الآرامية ولكنها ظهرت في بيئة كتبت اللغة العربية هي لغة الكلام فيها، ونجد كثيرًا من الآثار العربية في تلك النقشة، وهي آثار لها علاقة بثقافة العربية الفصحى الكلاسيكية التي نعرفها.

النقشة النبطية

جاءت النقشة النبطية من المملكة النبطية التي كانت عاصمتها البترا، وهي مدينة ازدهرت حتى عام 106 ميلاديًا. يرجع تاريخ تلك النقش من القرن الأول قبل الميلاد إلى القرن الأول الميلادي، ويعود تاريخ أخبار تلك النقش إلى عام 55 ميلاديًا، وبالرغم من أن نصوص تلك النقش مكتوبة باللغة الآرامية ويختلف آراميًا، فإن سكان المملكة النبطية كانوا يتكلمون لغة عربية تشبه العربية الفصحى الكلاسيكية التي نعرفها. كما هو واضح من أنواع اسماء الآلهة المختلفة ومن الكلمات المقتربة الكثيرة. أداة التعريف في تلك الأسماء والكلمات هي أهل بارغام من أن الآداب الآرامية تحل محل العربية أحيانًا، انظر اسم التالي: "العبد" على سبيل المثال، في الأسماء التي يكتبون جزء منها اسم الله، تجد قصة، في أخرى، كما هو الحال في "عبد الله". وكثيرًا ما يعتقد الباحثون أن لواحقه، وله ما هي إعلامات الإعراب العربية، تظهر تلك اللواحق في اسماء الآلائم فقط، بل وأحيانًا يتم حذفها، ولكن كثيرًا ما يستخدم تلك اللواحق استبدالًا غير متضمن بل ومضروب، وقد أدى ذلك بعض الاعتداء. Returns to ابتعاط النتائج التي تقول إن تلك اللواحق مجرد لواحق كتابية ليس غير، فهذا مثل على تلك النظريات في أحد الأسماء العربية الموجودة حتى الآن، فحثه الاسم "عمر"، ما هي إلا عنصر كتابي يميز الآلائم من اسم "عمر"، لذلك أصبحت مسألة النقش النبطية عنصرًا حاسمًا في مناقشة إقامة غيام علمي العربية من اللافحة العربية قبل الإسلام، وأدرج بعض الباحثين أن اللغة العربية المتسدة للغة تلك النقشة النبطية إنما هي لغة تنتمي لتحول العالم المكتوم بالعبرية قبل الإسلام، وأنها كانت ثم تغييرات كثيرة نتيجة لاتصالها بلغات أخرى.
النقشات النبطية

تأتى كل النقشة النبطية من واحة تحمل هذا الاسم، تسمى الرومان عام 273 ميلاديًّا. من المفروض أن تلك الواحة كانت مستعمرة عربية، وكانت الأسرة الحاكمة في تلك الفترة العربية أيضًا، ويرجع تاريخ معظم النقوش للقرنين الثاني والثالث الميلاديين، ولا يمنع ذلك أننا وجدنا نقشًا أقدم من ذلك بكثير في تلك المنطقة. وكما كانت الحال بالنسبة للنقشات النبطية، فقد كانت النقشة النبطية مكتوبة باللغة المشتركة التي كانت سائدة في هذا الإقليم آجها، وهي اللغة الآرامية، ويخط آرامي أيضًا، وهي تلك النقوش ذات أهمية كبيرة بالنسبة لتاريخ اللغة العربية، لأن النقوش لا تحتوي على كلمات عربية كثيرة، ومعظم الكلمات العربية أسماء أعلام، وفي بعض الأحيان كانت تلك الأسماء تكتب بنفس طريقة كتابة الأسماء العربية في النقوش النبطية.

الشواهد التي يمكن أن تقيدنا في النقشات النبطية والندمورية على تاريخ اللغة العربية شواهد غير مباشرة، ذلك لأن العربية في هذين النطاقين كانت لغة دارجة، بينما كانت اللغة الرسمية ولغة الكتابة هي الآرامية، على ذلك فالسماوات العربية الموجودة في تلك النقوش تظل محدودة بأسماء الأعلام والكلمات المختبطة المقصودة من الدرجة على لغة الكتابة، بالرغم من أن المعلومات التي يمكن أن نستنتجها من تلك النقش قليلة إلا أنها تستطيع أن نستخلص بعض المبادئ الكتابية التي حدثت هواء الأسماء العربية في تلك الفترة. كما يقول ديم (1973) في تحليله للكماد، فإن تلك المبادئ كونت معايير الخط العربي المبكر.

بتشع التأثير الآرامي على العربية الفصحى أبرز ما يتضح في ترتيب حروف الهجاء العربي، حيث يتم التفريق بين أزواج الحروف بعلامات فوقية كنقطة أو نقط متحركة، يرجع هذا الترزيح في الحروف لمحة النقوش النبطية والندمورية حيث إن الحروف الآرامية لم تغط الأصوات العربية كلية، فاضطرت بعض الرموز لأن تقوم بأكثر من وظيفة واحدة. لذلك فصلت العين النبطية على سبيل المثال وظيفتها الفين العربية والغين العربية، وكذلك قامت النبت الآرامية بوظيفة الثاء والظاء العربيتين، لا تغنى تلك

45
المبادئ الهجائية أن الفوانيات التي تعبر عنها قد اندمجت في الدارجة العربية في تلك الفترة النبطية الملوكية. ولكن المسألة ببساطة هي أن تلك الفوانيات لم تكن مستقلة برموزها في الخط النبطي. في حالة الفوانيين الضام، والطاء، اللذين اندمجا في العربية الدارجة بعد الفتح الإسلامي بفترة وجيزة، فقد عبرت عنهما الفواني النبطية والصورية بشكل مبسط: فقد عبرت الفوت الأرامية عن الفوائي العربية، وعبرت الصوت عن الضاد، ويمكننا حتى الآن أن نرى أثر هذا التوزيع الرمزي على حروف هجاء العربية الفصحي، ذلك أن حرف الفاء والضاء وحرف الفاء والضاد يشكلان زوجين من الحروف، والأحرف الواحدة بين أفراد الأزواج هي نقطة على الحرف، من الواضح أن صوت الفاء في العربية قد استمر كألف مجهور لصوت الفاء الذي يخرج من بين الأسنان بينما تمثل الضاد صوتياً أخرى.

أهم التقاليد الكتابية التي استعارها نسق الأسماء العربية من الخط الأرامي هو كتابة أصوات المد الطويلة، حيث يكتب صوت المد الطويل بشكل محرف داخل الكلمة، أما في أخرها يكتب أحياناً باستخدام الباء وأحياناً أخري باستخدام التاء، وربما يكون المقصود من هذا الاختلاف في كتابة نفس الصوت هو تحديد البناء الصرف للكلمة، فكلمة على سبيل المثال تكتب بالباء في أخرها، لأنها تصبح عليه في وجود اللواحق، وأخذ الخط العربي من الأرامي هذا التقليد الكتابي، لذلك تجد كلمات كثيرة تنتهي بصوت المد الطويل المكتوبة بباء في نهايتها، أما الألف المد الناقصة في وسط الكلمة فهو تقليد موجود في الكثير من مخطوطات القرآن الموجودة لدينا. وجد مثلاً كلمات مثل سليمان، هذا الله، وكلها ينقسم بها صوت المد الطويل، وفي المخطوطات المتأخرة في القرآن وتحت الآن أصبحت تلك الأسماء مسلمة بألف صغيرة توضع فوق الحرف الذي يسبقها، في الكلمة في مجموعة من الكلمات الموجودة في النقوش النبطية ككتبت الألف الطويلة في وسط الكلمة بحرف الواو، مثل كلمة صلاة، ربما يكون ذلك الاختلاف راجع إلى أن هذا الصوت في الأرامية قد تطور لتصبح الصوتي إلى صوت الطويل، ونظن أن هذا هو أصل كتابة القرآن الكريم لكتابات أمثال صلاة، زكاة، بالواو، صولة، زكوة.
تكلمنا سلفاً عن عادة الخط النبطي في كتابة الأسماء العربية بياناً أو ببيان في آخرها، وفي العربية الكلاسيكية، يستمر استخدام نفس التقليد. ففي كتاب اسم العلم عمرو، فإنه في آخره. الموقف في النقوش النبطية هو كما يلي: عادة ما تنتهي أسماء الأعلام المفردة المذكورة بلواء إذا ما كانت منعزلة، كما هي الحال في أسماء مثل "زيد" و"كلبو". أما الأسماء المركبة من جزأين فوالسح طبقة ينتهي بلواء أو يا، كما هي الحال في "عبد الله" و"عبد الهيثم"، فهذا يتضح من ذلك أن تلك النهايات تستخدم في بعض الحالات تحتوي وخصوصاً أن تلك الأسماء في حالة منعزلة نحوياً، ولكن تلك الظاهرة ليست غريبة لأن تلك النحاء العربية مقتبسة على الأمثلة التي لا نحن نمتلك علامات إعرابية.

التفاوض الوحيد للأسماء المركبة من جزأين والتي ينتهي بلواء هو أن تلك الأسماء تعامل معاملة الأسماء المفردة والتي تنتهي بنفس الانتشارة، ولأن تلك الأسماء حقيقة موجودة هنا في شكلها المنعزل نحوياً، فإن الالواح والبلاط علامات الوقف في تلك الأسماء. في العربية الفصحى يكون اسم "عمرو" في الوقف بلواء، إلا أن حالة النصب فيكون "عمرا". ولكن النقوش النبطية تثبت أن العربية القديمة كانت تمتلك علامات إعرابية للوقف هي الالواح والألفاد، ولم يبق منها في العربية الكلاسيكية سوى الألفاد. أما أسماء الأعلام المؤثرة فهي عادة ما كانت تكتب بالباء في آخرها، وأحياناً كانت تكتب بهاء، وإن كانت تلك الخانتان متشكلتين للوقف، فإن هذا بين وجود تغيير في شكل الوقف في الأسماء العربية المؤثرة.

3 - 4 بدايات العربية

تكلمنا حتى الآن عن نصوص مكتوبة بلغت لها علاقة باللغة العربية، التقوش العربية الشمالية، وكذلك تكلمنا عن نصوص مكتوبة بلغات مختلفة عن اللغة العربية، ولكن يدخل من العرب، كما هي الحال في النقوش التدمرية والنتبية. وقيمة تلك النقوش الأخيرة بالنسبة للغة العربية قيمة محدودة، ذلك لأنها ليست مكتوبة باللغة بل بالإلغة الرسمية السائدة في تلك الفترة - الأرامية، تثبت تلك القيمة من أن تلك النقوش نابعة من بيئة كانت العربية فيها دارة معظم الناس، ويمكننا ذلك من أن نتعرف على بعض سمات العربية في تلك الفترة، ونطبق نفس الكلام على الأسماء العربية الموجودة في النقوش العربية الشمالية.
مع ذلك فإن جزءًا من تلك النقشات مكتوب بلغة فيها الكثير من سمات اللغة العربية تجعلها تشبه شكلًا مبكراً اللغة العربية. في جنوب شبه الجزيرة العربية وفي قرية على بعد 200 كيلومتر شمالي نجران تسمى قرية الفناء، هناك نقوش مكتوبة بالخط السبئي تشبه اللغة العربية، وتبني تلك النقوش بالنقش القبطاني أو شبيبة السبئية، أطول تلك النقوش شاهد من القرن الأول قبل الميلاد، في ذلك الشاهد هناك أداة التعرف، والتي بُنْسَت من التطور، أثبت أنها كانت في حالة إضاءة مع بعض السواكن التي تلقته، وهو نفس ما يحدث في سلك الأخاديد في العربية الفصحى الكلاسيكية، انظر كلمة "wā-da" التي ت-mean "الأرض" في مقابل كلمة "smy-
"التي ت-mean "السماء". يُقال بعض الباحثين إن هناك بعض النقشات التي تحتوي على أداة تعريف تشبه الأدوات العربية، ولذلك يجب أن نعتبرها نقوشا عربية، ومن أهم تلك النقش نقوش الخريجة، بنفس الشكل قرر البعض الباحثين أن بعض النقشات النبطية نقوش مكتوبة باللغة العربية المبكرة، وهي نقوش يرجع تاريخها إلى عام 250 وعام 277 ميلاديًا، وتحتوي تلك النقوش على بعض الأسماء العربية التي تنتمي بالواو كما هي الحال في نقوش عربية الموتية، وهو مكان على بعد 120 كيلومترًا جنوب غربي دمشق، ويعتبر تاريخ تلك النقوش إلى عام 28 ميلاديًا. وقد تم اكتشاف تلك النقشات عام 1901، اتفق الباحثون على أن ذلك النقش الطويل نسبًا والمكتوب بخط أرامى إنما هو مكتوب بلغة تشبه العربية الفصحى الكلاسيكية التي تعرفها شبهًا بالفا. كتب هذا النقش تكريم شخص تحت اسم "مرأ الفقيس بار عمرو" بحيث تحل كلمة "بار" محل "يبن" العربية، وسقدم هذا نصاً واحدًا على سبيل المثال من النص الذي قدمه بيلامي (1985):

"Ty nfs mr ḥrqs br mr mlk gṣrb [w] ḥqḥb dhw sd w[m]dhg"

تفسير بعض هذا النص واضح وسهل، ولكن تفسير بعض النصوص المهمة ما تزال محل جدل شديد، وخاصة كلمة "ولقب"، في السطر الذي قدمتاه سابقاً، والتي كانت تقرأ قبل ذلك بمعنى "كلها" مما يجعل امرأ الفقيس ملكًا على العرب كلها، ولكن
لا يمكن التساؤل من أي تفسير لهذا النص بنكتة من الواضح أن الأسمين
مقدمان على الواعد النبوي التي أصبحت بعد ذلك مقصورة على
أسماء الأعلام، ولكن بعض الباحثين ينكر أن ذلك ينصح الواعد بالكلمة التي تليها، وفي
السطر الثاني هناك التعبير يختلف العلماء في تحليله وهو
نام، حيث يفسره بعضهم
بأنه الفعل العربي كان، ويفسره بعض الآخر بأنه "كأن" العربية أو "أداة شرف"، ولكن رغم
كل شيء ليس هناك شك في أن النص كله بالعربية لأنه يحتوي على أداة التعرف
والذلك فهو شاهد حسن على مراحل تطور اللغة العربية الأولى.

أهم خلاصة يمكن أن نخرج بها من تقوية النصارة هي أن الواع لم تعد تستخدم
كلاحة للأسماء، كما هو الحال في نقوش الحجر والتي تكمن عنها توأ، بل ولم تكن
تلك اللاحقة مستخدمة في كل أسماء الأعلام، فقد يكون ذلك إشارة إلى أن عامة
الإعراب الخاصة بالوقف قد أصبحت علامة صفر كما هي الحال في العربية الفصحي
الكلاسيكية، إلا في حالة الوقف مع المقصوب إذ بقيت لاحقة ملء، أما بخصوص أسماء
الأعلام فقد بقيت مكتوبة بالعلامات القديمة لفترة من الزمن لأسباب تاريخية، حتى
انتهت من الكتابة العربية الفصحي، باستثناء اسم "عمرو"، ولكن تقوية مرحلة ما قبل
الإسلام لا تقدم لنا دليلاً بدعم وجود علامات الإعراب في عربية تلك الفترة أو ينكره.
ذلك النقوش تتبع تقاليد الخط النبطي في الهجاء، وحتى في كتابة شكل الوقف في النصب. ولكن على أي حال لا تستطيع تلك النقوش أن تخبرنا ما إذا كانت علامات الإعراب قد أُعيدت إلى اللغة من خلال نوع من اللغة الشعرية. أو أنها كانت سمة باقية في اللغة. المثال الوحيد الذي بين يدينا هنا هو مثل لاحقة اللين في نقوش النصرة، وهو لكلمة "الأسد"، وهو مثل آخر الدلائل كثيرة. فبعض العلماء يقرؤون هذا القسم من النص كما يلي "ملكا الأسدين" أو "الأسد"، وفقاً لكلمة مجردها أسد. ولكن بعض العلماء يقرأون نفس القسم كما يلي "ملكا الأسدين". ولكن في الحالات، الاستماع في حالة نصب، ولذلك لا نستطيع أن نعرف ما إذا كانت علامة النصب تستعمل في حالة الابتداء أيضًا كما هي الحال في العربية المولدة، أم لا.

يوجد نقوش النصرة وما تبعها تكون قد حصلنا على أقدم تصويب عربي غير مثير للجدل في أصلها. ولكنها في نفس الوقت تصويب كتبته بخط غير عربي، ولكن هناك تقويض قليل من مرحلة ما قبل ظهور الإسلام مكتوبة باللغة العربية وخط يمكن أن نسميه عربيًا. من بين تلك التصويب ما يلي:

1 - نقوش جرافيتي من جبل الرم شرق العقبة (منتصف القرن الرابع الميلادي).
2 - نقوش مكتوب بها ثلاثة لغات هي العربية ولغة الآرامية واليونانية من قرب حلب (القرن الأول من القرن السادس الميلادي).
3 - نقوش جبل أسس الذي يقع على بعد 100 كيلومتر جنوب شرق دمشق (عام 568 هـ/333 م).
4 - نقوش حرام في الحوران الشرقي (القرن السادس الميلادي).
5 - نقوش أم الجمال في الحوران الجنوبي (القرن السادس الميلادي).
تقول المصادر العربية التي لا تعزو اختراع الخط العربي لأدم أو إسماعيل إن الخط العربي وافق من الخارج، إما من الأقاليم الجنوبية من الجزيرة عن طريق قبيلة جزء من العراق، يدعم أهل الحيرة هذه النظرية الأخيرة حيث يقولون إن هناك صلة ما بين الخط العربي والسرياني (أبي النديم، الفهرست، ص 78). في حقيقة الأمر ربما تكون كتابة أصوات اللحن القصيرة وبعض السمات الكتابية الأخرى مسألة مستعارة من الخط السرياني في القرن الأول الإسلامي. وفي النص الحديث اقترح ستارش (1966) أن يكون أصل الكتابة العربية سريانيًا، يضيف سترش أن الحروف في الخط النبطي مفصلة عن السطر، ولكن الحروف في العربية والسريانية على السطر مباشرة، ولذلك يُلزم أن الحيرة عاصمة اللحميين طورت نوعًا من الكتابة السريانية إلى الخط العربي.

يرفض معظم الباحثين الآن نظرية الأصل السرياني للخط العربي، ويبدو الآن أكثر واقعية أن نقول إن الخط العربي تطور عن أصل نبطي على السطر، في الخط الأرامي الذي استطاع منه الخط النبطي أساسًا ليست هناك وصلات بين الحروف، ولكن في الكتابة النبطية هناك معظم السمات الكتابية التي تميز الخط العربي. وحتى قبل العام 2000 ميلاديًا بدأت الفضائل النبطية في النطق بتبين نوعًا من الكتابة بحمل وصلات كتابية كثيرة وهو ما لم يبدأ الخط النبطي في النطق أن يعكس حتى القرن الرابع الميلادي، لذلك نفهم أن الخط العربي بدأ يتطور لصالح كتابة عربية كاملة في القرن الثاني الميلادي، يعني ذلك أن تطور الخط العربي الذي نعرفه من نقوش حقبة ما قبل الإسلام قد حدث بشكل مفصل عن تطور خط النبطي، أتى تطور حديث داخل نظام الكتابة العربية كان تطور استخدام الواصلات بين الحروف بشكل منظم، وهو تطور حدث بمعدل من الكتابة الأصل، وكذلك اختراع رمز مختلفة للحرف الواحد بحسب موقعه في الكلمة.

كانت النقوش المكتوبة بخطوط سباق العربية مهماً لنا لنصا إلى اللغة العربية.

في مرحلة ما قبل الإسلام - وهي مرحلة الجاهلية، وستتعامل مع تلك الحقبة في الفصل الرابع، ولكن يجب أن نقول الآن إن المادة المقدمة في فصلنا هذا والأدلة اللغوية

51
ليست كبيرة. من ناحية حجم النقوش فهو كبير جداً، ولكن بالرغم من ذلك وحتى في أكبر النقوش ليست المادة اللغوية كافية لتمكننا من تتبع تاريخ اللغة العربية في عصر ما قبل التاريخ، ومع ذلك فإن المرحلة اللغوية التي تعكسها النقوش الثمودية والليبية والصقلي والغيرة والعناصر العربية التي استقيناها من الخط النبطي تعطينا ملحات عن تاريخ اللغة العربية ومراحلها الأولى. فنعرف على الأقل أنه حتى قبل أن تصل لنا أية شهادة مكتوبة بلغة عربية كاملة كانت هناك بعض عناصر تطور، وبالرغم من أننا لا نعرف اللغة التي كان العرب يتكلمونها في شبه الجزيرة العربية إلا أننا نعرف أن شعبا بليويا يشتق اسمه من الجذر الثلاثي ع ر ب قد سكن تلك الصحراوية وكذلك نعرف أن هؤلاء العرب بداية من القرن الميلادي الأول بدأوا يستخدمون لغة تشبه العربية الفصيحة.
الفصل الرابع

اللغة العربية في الجاهلية

4-1 لغة العرب

عندما نزل القرآن على نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم، وصف نفسه بأنه "عربي مبين": هاتان الصفتان متراشتنان بشكل كبير، كما هي الحال مثلا في سورة الزخرف حيث يقول عز وجل "والكتاب المبين، إنا جعلناه قرآنا عريبا لعلكم تعظمن" (12-2) واعتقدت الأجيال اللاحقة على التزيل أن نص القرآن يمثل أفضل صورة للعربية. بل إن فيهم من ظن أن أسلوب القرآن وافته لا يمكن تقليلهما في الوضوح والسلامة اللغوية (إعجاز القرآن)، ولكن القرآن لا يستخدم كلمة "عرب" كاسم، ولكن يستخدم الصفة منها "عربي"، أما صيغة الجمع "أعراب" فتدل على بدء الصحراء الذين رفضوا رسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. نظر مثلًا سورة النبى حيث يقول عز وجل "الأعراب أشد كفرًا ونفاقا" (87). تستخدم الصفة "عربي" مع اسم "لسائ" للتدليل على وحدة تفوق مستوى القبائل، أي لغة تجمع بين كل من سكن شبه الجزيرة العربية، في مقابل العجم الذين عاشوا خارج الجزيرة وتكلموا لغات مختلفة. أما لفظة "عرب" في الشعر الجاهلي، فتعني نفس هذا المعنى الثقافي العربي لجمعية العرب.

في المصطلح الإسلامي المبكر، هناك فصل معين بين "العرب الحضريين الذين يعيشون في المدن كمملكة الكرمة والمدينة المنورة، والأعراب" الذين يعيشون في الصحراء. واكتسبت كلمة "الأعراب" معنى سلبيا بسبب استخدامها القيرواني، ولكن بعد مرحلة الفتح بدأ المجتمع الحضري العربي ينظر إلى البدو الرجل الذين حافظوا على نقاء العربية الأصيل، على أنهم العرب المحليون، وأصبح تركيب "كلام العرب" تعبيرا عن اللغة النقية البدوية.
يبدو من هذا إذن أنه في العصر الباشلي كان هناك اسم خاص للقبائل البنوية، وهو "الأعراب"، بينما كان اسم "العرب" مستخدماً للدلالة على كل سكان شبه الجزيرة العربية - بعضاً وحضرماً - ولا تتوقف الأمور عند هذا الحد إذ تقسيم آخر عرضه التراث التاريخي العربي، إذ كانت الكتب تجزم بأن الجزيرة العربية كانت مأهولة في الزمن الغابري بقوم سموهم "العرب البائدة"، وهي قبائل ذكرها القرآن لخصيتها أوامر الرسل عليهم السلام كعاد وثمود وجرحهم، أما العرب فيما بعد هؤلاء البائدة فهم منجدرون من أصلين: قحطان وعثمان، أما بتر قحطان فهم متصلون نسباً بالعرب البائدة وسكنوا جنوب الجزيرة العربية، وظف المؤرخون العرب أن العرب الحقيقيون، أي "العرب الجاهلية"، أما أبناء عدنان فهم العرب الشمال الذين تحرروا في فترة تاريخية متاخرة وسمتهم المصادر "العرب المستعمرة"، ويعد الإسلام عمل المصادر العربية على وصل بني عدنان عن طريق جدهم عدنان بالنبي إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام. من بين القبائل العدنانية هذيل وتميم وقريش وعزيزة، أما العرب الحقطانيين فهم من سكن مماليك جنوب الجزيرة العربية ويقال إنهم ينتمون إلى حمير من ولد قحطان. من بين القبائل المقيمة في شمال الجزيرة العربية قبائل من أصل قحطاني كالأوس والخزرج وطبيّ.

ليس من السهل أن نقول ما إذا كان هذا الفصل بين العرب الجنوبيين والشماليين يرجع لحقيقة تاريخية من فصل بين عرقين، ولكنه من الواضح أن الجماعتين كانتا مستقلتين في عقلية معاصرى النبي عليه الصلاة وسلام، وقد استمر هذا الفصل فعلاً ومؤثراً بعد الإسلام. حتى في الأندلس كانت هناك ثارات وصراعات بين أبناء القبائل الكلبية والقبائل القيسية. أما من ناحية اللغة فقد كان الحمويون يقبلون لغة شمراء الجماعتين، بل وكانت قصائد الفريقيين مستخدمة بشكل عادي كمصادر للمادة اللغوية.

هناك مع ذلك حالة خاصة وهي حالة اللغة الحميرية ولدينا عن تلك اللغة معلومات بسيطة مصدرها الهذلي (توفي 324 هـ)، في وصف لهجتة العرب (324-6)، وبيما الحميرية للعرب كل ما هو منتظم لجنوب الجزيرة العربية، يمكن لنا أن نفترض أن اللغة الحميرية هي امتداد للغات العربية الجنوبية القديمة، ولكن الحقيقة ليست كذلك، من بين السمات التي ذكرها الهذلي لاحقة الكاف في آخر

54
التكلم والمخاطب: فيقولون في الحميرية مثالاً ولذاً بدلاً من ظل، ومن بين سمات الحميرية أيضًا مثالًا لأدوات عامًا. بل يقول رايين (1951: 44-37) إن الحميرية هو الاسم الذي أطلق العرب للغة العرب الذين تكلمت عنهم المصادر العربية الجんなوية القديمة والذين قتلوا المنطقة، وربما كان هؤلاء العرب من أصل شمالي وكانوا يتكلمون لهجة عربية شمالية ولكن لغتهم تأثرت كثيراً باللغات العربية الجنوبية، ولها كانت الحميرية مفهومة للعربي الذي يتكلم اللغة العربية فإنه من المستحيل أن يربط بها أي من اللغات العربية الجنوبية التي نعتها الهيمنة باللغة، من الممكن أن تكون تلك اللغة أيضاً مكونة في التقويم الذي تسمى بها شبيهة السينانية، ومن تزال بعض سمات اللغة الحميرية موجودة في اللهجات العربية اليمنية حتى الآن.

ثني.randn الكلام عن الحميريين جانباً فإن لهجات كل القبائل تندمج تحت تسمية كلام العرب، ولكن التقسيمات التي تكلمنا عنها سابقاً سببت مشاكل التحويلين المتأخرتين: فمن ناحية فإن فكرة لغة واحدة لكل العرب تشير إلى وحدة لغوية أساسية في الجزيرة، علاوة على ذلك فإن إجماع السلفين كان على أن لغة القرآن كانت لغة الرسول عليه الصلاة والسلام وأصحابه، يعني ذلك أن لغة الحديث اليومية هي نفسها لغة القرآن الذي كانت لغة الشعر الجاهلي، ومن ناحية أخرى وضع العلماء تركيزاً على كلام القبائل العربية. تسدك التحويلين بالأخلاقية العربية التي تقول بناء لغة أبناء قحطان، ولكنهم في نفس الوقت تكلموا عن لهجة الحجاز التي بها مكة على أنها أقصح العرب، ولكن الطريقة التي استطاع بها العلماء أن يجمعوا بين النظرتين هي أنهم افترضوا أن قريشيا قد أخذت من كل لهجات ما هو أفضل سماها، وعلى ذلك كانت لهجة الحجاز على قمة سلم اللهجات العربية، إذ في هذا الإقليم وجد النبي عليه الصلاة والسلام وأقام قريش.

تثير تلك النظرية لوجود اختلافات بين القبائل، وإلا ماذا كان هناك هذا التوافق؟ وبالرغم من أن العربية في الجاهلية كانت لغة كل العرب فكتاب النحو تحتوي على الاختلافات بين القبائل، وضع النحوين هذه تحت مصطلح "اللغات". معلوماتنا عن اللهجات العربية في الجاهلية مستقرة في معظمها من كتب النحوين الخاصة بالاختلافات بين القبائل، بعض مادة تلك الموضوعات جمعت في كتاب كتب مؤلفة. ومن بين المواضيع التي كتب فيها كتب مواضيع من أمثال لغات القرآن، بينما توجد بعض 55
الفروق اللغوية في كتب المعاجم العربية، وبالنسبة للحاصل، طالما كانت الفروق اللهجية موجودة في القرآن أو في الشعر الجاهلي أو من كلام عرب بدوي يؤثر في عربته فإن الفروق تعتبر عربية صحيحة، ولكن ذلك لا يعني أن أي شخص آخر يستطيع أن يستخدم الفروق اللهجات في كلها وأن تلك الفروق اللغوية يجب أن تعود وتنشر.

من الصعب أن نحكم بصحة التوزيع الجغرافي للفروق اللهجات في شبه الجزيرة العربية. ويصعب التأكد من صحة نزاعات التحويين في ذلك بسبب أنهم دأبوا على لئي السمات اللهجية لتناسب مناطقهم، فلفة العرب الجموهريين، بغض النظر عن الحمبرية، كان اسمها في كتب التحويين لغة أهل اليمن من أهم سمات تلك اللهجة استعمال آداة التعريف. أما، وهي آداة متأصلة مستخدمة في بعض لهجات اليمن الحديثة.

وتبين المادة اللغوية أن اللغة العربية في شمال الجزيرة كانت منقسمة بشكل عام لقسمين أثنين يتوافقات من الاتجاهين الجغرافيين الشمالي والغربي. فقد كانت هناك لهجة الحجاز، وهي مطابقة للهجة قريش. وكانت هناك لهجة تقدم في الشرق. ويفق هذا التقسيم إلى حد ما مع توزيع القبائل العربية الحضرية في مدن شبه الجزيرة والقبائل البادية - بالترتيب.

من الواضح أن الفروق اللغوية بين اللهجات العربية الشرقية والقصصى الكلاسيكية التي تعنيها أقل بكثير من الفروق بين اللهجات العربية الجرجانية والقصصى الكلاسيكية، وقد يبرر هذا الفرق قلة وجود معلومات لغوية عن اللهجات الشرقية في كتب التحويين، ذلك لأن التحويين كانوا يركزون على المناطق التي تحديد من القاعدة.

وفي هذا السياق كان لغة العرب الشرقية أقرب من لغة العرب الحجاز، وكان القصصى الكلاسيكية مستمرة من اللغة القرآن والشعر الجاهلي بشكل أساسي فإنا نستطيع أن نقول إن هذه اللغة أقرب للهجات الشرق من لهجات الغرب، في بعض الأحيان كان هناك اختلاف كبير بين القصصى الكلاسيكية واللغة الحجازية، وذلك حاول بعض العلماء أن يثبت أن أصل العربية القصصى الكلاسيكية، عربية الشعر الجاهلي، كان في نجد وشرق الجزيرة العربية. في نجد، حيث يلتقي الشرق بالغرب، قامت مملكة كندة وتجمع قبائل اللذان خلقا قوة سياسية وثقافية كبيرة، وقد كان ذلك أرضًا خصبة
لقيام الشعر العربي وازدهاره، ويزعم هؤلاء الباحثون أن لغة الشعر القصيحة انتشرت من هذا الإقليم لفترة من مناطق الجزيرة، فمن نجد انتقالات لغة الشعر إلى مملكة الحيرة في الشمال.

ومن المفروض أيضًا أن تكون تلك اللغة الوايدة قد انتقلت إلى المراكز التجارية المتمتعة في الجزيرة كمكمة والمدينة، وليس من المعروف أن تكون تلك اللغة هي نفس اللغة التي نزل بها القرآن الكريم في مكة بسبب مكانتها الاجتماعية المرتفعة واستغراقها لقبائل العرب، يحمل النص القرآني، وخاصة خط الكتابة فيه، أثار تطوير الفصحي الكلاسيكية لطريقة نطق الحجاجيين، أكثر الأمثلة وضوحًا هو نطق الهزة، فكل المصادر تؤكد أن اللهجات الشرقية تحقق الهزة الغامضة من أصوات اللهجات الغربية. في النص القرآني عادة ما تكتب الهزة كحرف صغير يشبه العين، وهي دائما محمولة على حروف الواو والباء والرفاء، ومن الممكن أن تكون أصوات الواو والباء والرفاء في النطق الأصلي للهزة في اللهجات الحجازية.

بين هذا المثل أن نطاق العربية عبر الجزيرة متباين، وأن نطاق لهجة مكة كان مختلفًا عن لغة القرآن كما نعرفها، وقد دفع هذا الفرق العالم الآثري كارل فولرز لأن يمضي خطاً أبعد في نظريته عن العلاقة بين لغة القرآن ولهجة الحجاز الدارجة، فقى الكاتب واللغة "Volkssprache und schriftsprache im alten Arabien" كتابه العربية القديمة (1901) بدعى فولرز أن تحت التركيب السطحي للقرآن هناك آثار لغة volkssprache مختلفة، وهي محفوظة في كتب القراءات القرآنية، وقد سمى تلك الأثر باسم "الدارجة" وقال إنها دارجة أهل مكة التي كان النبي عليه الصلاة وسلم يتكلمها، وبري فولرز أيضًا أن تلك الدارجة هي السابقة الحقيقية للهجات العربية الحديثة، ومع ذلك فإن القرآن تنزل بلغة مطابقة للغة الشعر الجاهلي النجدية، وهي اللغة التي سمىها فولرزMENT" اختفاء الهزمة والتنوع من اللهجات الحجازية وكذلك غياب التصريف العربي، وخصص فولرز إلى أنه كان هناك نص قديم عامي للقرآن الكريم بلغة النبي عليه الصلاة والسلام، ولكن هذا النص الدارج تم تحويله إلى لغة الشعر الجاهلي في فترة
الفتوحات الإسلامية، يقول فوارز إن الداعي وراء هذا التحويل (أو قل الترجمة) كان الرغبة في رفعة لغة القرآن لمستوى لغة الشعر الجاهلي. ويستمر ليقول إن المسؤولين عن عملية الترجمة تلك كانوا حازمين فيما يخص تحقيق الهمزة وال💖صرف الإعرابي بالذات، وسمحوا لبعض من السمات أن تظهر في نطق القرآن أو في القراءات البديلة في بعض الأحيان.

من المؤكد أن التحويل الإعرابي السليم للغة القرآن الكريم كان محل فخر في العصور الإسلامية المبكرة، ولكن الاهتمام الذي حلثت به ظاهرة التحويل الإعرابي بعد الإسلام لا يخفيها أي شيء عن الوضع اللغوي قبل الإسلام، بل إننا نستطيع أن نعبر ذلك الاهتمام بالتطورات اللغوية التي تحدثت بعد الإسلام: فالكثير من الناس في البلاد المفتوحة لم يكونوا يعرفون العربية معرفة واقع، ولذلك كانوا يخطئون في قراءة القرآن، ولهذا كان المهتمون بسلمس نطق القرآن الكريم في حالة ترقب لأي استخدام خاطئ لعلامات الإعراب، بل وعلموا الناس القواعد النحوية السليمة.

رفض العلماء المحدثون نظرية فوارز بشكلها المتطرف، وكذلك لم يعد أحد يتقبل فكرة المؤامرة الكبرى في أول أيام الإسلام على لغة القرآن الأصلية، فمن الصعب أن نقبل فكرة أن يتم تنزل نص سماوي مقدس بلغة دارجة، من المؤكد أن لدينا نمطًا شعريًا من اللغة العربية، ومن الصعب في حالة تنزل نص سماوي ذي أهمية كبيرة أن يتم اختيار أي نمط غير هذا النمط الشعري المأل. ويمكن تمرير آثار التحويل في النماذج اللغوية الموجودة في نص القرآن وكتابته بأن نرجعها لعمل النسخ الأولي الذين كانوا متعودين على طريقة نطق أهل مكة، وكان عليهم أن يخترعوا نظام كتابة يستطيع أن يسجل للهجرائيين سمات شرقية كالهمزة، ولذا ظهرت كتابة القرآن كما لدينا.

بالرغم من رفض فكرة ترجمة القرآن من لهجة للهجة أخرى، فإن فكرة فوارز ظل الأساس الذي انتقل schriftsprache و volkssprache الأساسية وهي الفصل بين 
منه كل الباحثين الغربيين من بعد فوارز في وصفهم لتطور العربية، يمكننا أن نعيد صياغة الفكرة الأساسية في كل النظريات الحديثة كما يلي: في العصر الجاهلي كانت هناك ازدواجية لغوية، أي أن الوظائف اللغوية في الموقف اللغوي كانت موزعة بين الأسس اللغوية المختلفة. في هذه الحالة يصبح الموقف اللغوي المعاصر لنا الآن مشابهاً

لذلك الذي من المفروض أنه كان قائماً في العصر الجاهلي.
فكرة وجود فرق كبير بين لغة الشعر والأدب والكتابة واللغة الدارجة في حد ذاتها فكرة ليست غريبة، فإن نفس الموقف موجود في ثقافات ش汗水ية أخرى كثيرة.

ولكن السؤال هو ما إذا كان نفس الموقف قد تكرر في مكة في العصر الجاهلي، فبالرغم من المصادر العربية، تفترض نظرية وجود اللغة الشعرية الأدبية أن علامات الإعراب كانت غالبية من كلام العرب اليومي بلهجاتهم، ولكنها تكتسب فكرة وقوع عن لغة العرب في العصر الجاهلي فستوجه أولًا إلى المادة اللغوية الموجودة في كتب العلماء العرب عن لغات القبائل، وستنتقل بعد ذلك إلى مناقشة الأفكار حول لغة البلد بعد الفتح الإسلامي.

4-1 لهجات العصر الجاهلي

من الصعب أن نحدد القيمة الحقيقية للمادة اللغوية الموجودة في حوزتنا لأنها مستشرفة، ناهيك عن وضع خريطة لهجاتية للموقف اللغوي في العصر الجاهلي.

السمات الصوتية الثمانية التالية من أهم الاختلافات بين المجموعتين الهجانين الأساسيين.

أولاً: في اللهجات الشرقية مجموعة الصوامات في آخر الكلمة لا تحتوي على صوت حنه، أما في اللهجات الغربية فهناك صوت حنه إضافي في وسط مجموعة الصوامات، انظر مشلاً الفرق بين حنُّ في اللهجة الغربية وحنُّ في اللهجات الشرقية، وانظر كذلك حنُّ في مخالب حنُّ الشرقية. من الممكن أن تكون تلك السمة متعلقة برمة النبر، إذ أنه من المفترض أن تكون اللهجات الشرقية قد مثلت نبر قويًا على آخر الكلمة، وهو ما يبرز غياب صوت النبر الإضافي، ولكن من الصعب أن نحدد أي السمتين أكثر أصالة، فكل السمتين واردة في الفصحي الكلاسيكي.

ثانيًا: عرفت اللهجات الشرقية نوعًا من تجانس أصوات الغلة أو الإضمام، فاللهجات الغربية تتعلق بـ"تُبَارِ" بينما تتبع اللهجات الشرقية نفس الكلمة بـ"تُبَار"، من الممكن أن تكون تلك السمة أيضًا متصلة بنظام النبر القوي في اللهجات الشرقية، وهو
نظام يشجع على الإضمام. احتفظت الفصحي الكلاسيكية بتجانس أصوات اللين في حالة ما إذا كانت اللاحقة مسبوبة بصوت باء، كما هي الحال في "فهم" التي تتعلقها اللهجات الشرقية بهم.

ثالثًا: كان هناك في اللهجات الشرقية إمكانية صوت المد الطويل، بينما تميزت اللهجات الغربية بما كان يسميه التجويح بالنفس في صوت المد الطويل، بل ربما يكون تطبيق هذا الصوت في اللهجات الغربية منحصرًا في مؤخرة تجويح الفم، وهو صوت يشبه ٠٠.

رابعًا: من الممكن أن تكون اللهجات الغربية قد عرفت فئونهما يشبه ٠٠ إذا قال التجويحون العرب إن أفعال من أمثال "خاف وصارا" كانت تتعلق بإمالة في اللهجات الغربية، ولكن بسبب غياب الإمالة عامة من تلك المجموعة اللغوية وأيضًا بسبب استحالة حضورها في جواهر صوت من مؤخرة الحلقة، فإن ملحظة التجويح قد تشير إلى وجود فونيم مستقل رمزه ٠٠.

خامسًا: كان المبنى المجهول في الفعل الأجوف الذي وسطه أو في اللهجات الشرقية هو "قول" بينما كان "قيل" في اللهجات الغربية. من الممكن أن يكون الشكلان تطورا من صوت أقدم يمكن أن نرمز له بـ ٠٥، وهو صوت غائب من كل اللهجات العربية، إلا أنه ترك آثارًا في مثل بناء المجهول هذا.

سادسًا: ربما كان صوت الفئق مهوسًا في مجموعة اللهجات الشرقية ومجهورا في اللهجات الغربية. وكان النطق الحجازي هو المعتمد في كتب القراءات المبكرة، رأينا سلفا أن صوت الفئق العربي ربما يكون قد تطور من صوت سمى محابا في سمة الجههر وهو صوت ٠ طورته اللهجات الشرقية هذا الفونيم بكل طريقة مختلفة، ولكن النطق العربي القديم المعاصر هو النطق المهموس ولكن اللهجات البدوية الحديثة ما تزال تطبيق هذا الفونيم بشكل مجهور.

سابعًا: أهم سمة مميزة لأصوات اللهجات الحجازية، وهو ما ذكرناه سابقاً، هو غياب الهمزة التي كانت اللهجات الشرقية تحققها، في اللهجات الغربية، أسف غياب الهمزة عن تطور صوت اللين السابق عليها في بعض الأحيان، مثل نطق كلمة "بن".
تير، وقد يسفر غياب الهمزة أيضا عن اختصار أصوات اللين، كما هي الحال في نطق كلمة "سَكَّلَ "سَكَّلَ". وقد يسفر غياب الهمزة أيضا عن إصدار صوت مركب، كما في نطق كلمة "سَلَأَ "سَلَأَ". بما أن الكتابة الحجازية لم تكن تمتلك رمزًا خاصًا بالهمزة فإن الهجاء الأصلي كان يمثل النطق الحجازي الخاص. ورمز الهمزة رمز مضاف في مرحلة لاحقة.

ثانيا: في اللهجة الحجازية يحتوي الفعل المضارع على سابقة فيها صوت لين قصير ه، ولكن باقي اللهجات الجاهلية كانت هذه اللاحقة باستخدام صوت اللين القصير ه أو هذه الظاهرة سماها التحويين العرب بالقليلة، وهي سمة جاهلية استمرت في بعض اللهجات العربية الحديثة. ويعتبر كل من الشكلين تعتمدَا لفظاً لأنه كان هناك توزيع لذالل الصوت في اللغات السامية الأخرى. فكان صوت ه مستخدمًا مع الفعل المفرد والكلمة الجماعية، بينما كان صوت ه مستخدمًا مع الفعل المفرد والمعنى والخاطف. (انظر همبوز 1976)، ففي هذه الحالة يمكن أن تكون "العربية الفصحى الكلاسيكية" قد اتبعت النمط الغربي لأنه اعتمد ه في كل الضمان.

الاختلافات اللهجية التي ذكرتها تُوا تختص بالجانب الصوتي فقط. ولكن هناك بعض الإشارات على وجود اختلافات لهجية على مستوى بنية أعلا، على سبيل المثال هناك بعض الإشارات التي تبين احتمالية وجود لاحقة مشا غير منصرفة في لهجة الحجاز، وأفضل مثل الآية الكريمة (23) من سورة الله التي تقول "إن هذان لسأحراً، حيث لا تعمل إن" على نصب الاسم. كما هو المفروض في قواعد الفصحى الكلاسيكية. أزعجة تلك الآية الكثير من الأشخاص والنحاة إذ عما بصورة شديدة، عند أن بعض النحاة الأوائل قد اقترح اعتبارها خطأًا من النسخ يجب إصلاحه إما بقراءة الاسم التالي في صيغة النصب أو بتخفيض "إن" المشددة.

ومن الواضح أن "إن" و"أن" المخففتين والتجونتين باسم مرفوعة كانت ظاهرة موجودة في اللهجات الحجازية أكثر منها في اللهجات الشرقية. تظهر بعض الأمثلة على ذلك في القرآن الكريم، انظر مثلا الآية رقم (23) من سورة يس حيث يقول...
عز وجل: "إِنَّ كُلًا جَعَلَنَّ لَدِينَا مَحِيْضِرَنَّ" بل إن الآدابن المخففتين يمكِّن أن يتبعهما اسم منصوب، كما هي الحال في الآية رقم (111) من سورة هود حيث يقول عز وجل: "إِن كُلًا لَّا يَعْقِظُهُمْ رَبُّ أَعْمَالِهِمْ إِنَّهُ مَا يَعْلَمُونَ خَيْرًا" وليس من النحائي أن نرى أن التحويدين حاولوا أن يصصحوا تلك الأشكال إما بتغيير علامة الإعراب على الكلمة التالية للإداة أو بقراءة "إِنَّ" أو "أَنَّ" المشددة.

هناك فرق مشهور بين لهجة الحجاز ولهجة تيميم وهو استخدام أما أكاداة نقي للاسم. يقول التحويدين إن أما أكاداة نقي للاسم. يقول التحويدين إن أما أكادية نقي للاسم، يتعامل عمل اسم أو تنصب الخبر، انظر مثلا: "ما هو كبيراً"، لم تستخدم اللهجات الشرقية أما الهجازية هذه.

وهناك بعض الإشارات إلى أن أداة التغيير أن التي تظهر كثيرا في القرآن، مثلا في الآية رقم (11) من سورة هود حيث يقول عز وجل: "إِن أَجَرَيْنَا إِلَّا عَلَى الْأَمْثَلِ" هى أداة حجازية.

هناك إشارات إلى وجود اسم إشارة أَنَّ أو أَنِّي التي تسمي "نَوْطاً"، وهو اسم موصول لم يظهر في القرآن، ولكن هدين الآسمين موجودان في الشعر الجاهلي كما أنهما موجودان في نقوش النمارة القديمة، ومن أفضل الأمثلة ما ورد في "ديوان الحماسة: لِهذَا المَرَّةِ نَوْجاً سِعَايَاً" (زيتنيف 1936: 241).

بالرغم من الظهور الممكن، وإن كان غريباً، للاحبة مثله غير منصرفها في آية من آيات القرآن فإن تلك النقطة هامشية لحد ما، ولكن هناك نقطة تنطلق بصمي النحو العربي، وهي تركيب الجملة الإسمية والجملة الفعلية، في الفصحى الكلاسيكية عندما يظهر الفعل قبل الفاعل في الجملة الفعلية فليس هناك مطابقة عيدية بين الفعل وفاعله، ولكن التحويدين يقولون إن هناك بعض الأشباه الجاهليه كانت تسمى بالطابعية الميدية في تلك الظروف، وسمي التحويدين هذه الظاهرة بظاهرة أكليثي البراغمات، ومن أكثر الأمثلة التي ساهمها أمثلة من شعراء الحجاز، ولكن هناك أيضا أمثلة شرقية، هذه هي السمة النحوية الوحيدة تقريبا التي تشتهر فيها اللهجات العربية القديمة والحديثة على حد سواء، ففي اللهجات الحديثة ترتيب الكلمات الأساسي هو ترتيب الجملة الإسمية وليس الجملة الفعلية كما هي الحال في الفصحى الكلاسيكية، وذلك ليس من الواضح.
ما إذا كان من المفروض أن نفسر هذه السمة النحوية الجاهلية على أنها أول خطوة
على سلم تطور اللغة ما لم لا ولكن على أي حال لا تظهر تلك السمة في لغة القرآن.

الخالصة هي أن لغة القرآن في معظم الأحيان تعكس تشابهاً كبيراً مع اللهجات
الشرقية، بينما توجد خلافات كثيرة بين اللهجات الشرقية والغربية، من ناحية تطبيق
الهمزة فقد أحس الناس في صدر الإسلام أنه من الأفضل أن يستخدم الهمزه في
تلاوتها القرآن الكريم، ذلك بالرغم من المعارضه الشديدة التي أبداه بعض القراء
الأوائل. ومن الواضح من قائمة الاختلافات التي قدمها أن اللهجات ليست متثابعة
بعضها عن البعض الآخر. تتباعاً شديداً، فمعظم الاختلافات التي ذكرناها اختلافات
صوتية. وإذا تحنيت ظاهرة أكثري البراغي جنباً جنباً، فسنجد أن كتاب النحو ذكر
اختلافات نحوية أخرى قليلة لم تضعها هنا لأنها ليست واضحة تمامًا وأهميتها ليست
محددة. بعض الاختلافات الموجودة في كتب النحو ما هي إلا نتاج من النحوة الأخرى
ليس غير، انظر على سبيل المثال ما قاله البكاحيين عن أسلوب الاستثناء باستخدام
ألاً. فسنتيج أن التحويين يقولون إن قبالة ما يستخدم اسم الاستثناء المرفوع وقبيلة
أخرى تستعمل اسم الاستثناء المنصوب. إن هناك شيء واحد واضح من تلك
اللغات النحوية، وهو أن السمات التي ذكرناها صحيحة، فإن المجموعتين اللهجتين
كانتا تستخدمان علامات الإعراب، وليس حالة المثل غير المصرف التي نذكرها
سابقاً بالقوة يمكن تنميتها لنا العكس، وما أن العلامة الإصربية مهمة جداً في كل
نظريات تطور اللغة العربية فإن غياب أي دليل في كتاب النحو على وجود لهجات عربية
لا تستخدم هذا النظام مهم جدًّا في فهمنا لتطور اللغة العربية.

3-4 نظريات حول لغة الجاهلية

بالنسبة للعرب كانت كل اللهجات عبارة عن لغة واحدة، بالرغم من "اللغات
الموجودة في الكتابات اللغوية العربية، إلا أن العرب لا يقبلون تصوير فارق كبير بين
اللغة الأدبية والدارجة، ولكن الباحثين الغربيين كانوا دائماً يشككون في هذا الاحتمال
volkssprache تجاه التطور اللغوي. بالرغم من أن نظرية فورانز التي تفرق بين
و في الوضع اللغوي في الجاهلية قد أثبتت كلية، إلا أن معظم الباحثين
schriftsprache
لا يوجد عنوان على نظرية العرب التي تقول بوحدة لغة الكلام الدارية ولغة القرآن ولغة الشعر. ويعتقد الباحثون، كما قال فؤاد يزن، أن اللغة العربية واللغة الدارية كانتا كائنين مفصلين تمامًا في الجاهلية، أما اللهجات التي كانت القبائل تستخدمها في الجاهلية فقد سماها الباحثون الغربيون بلهجات القبائل، وأما بالنسبة لغة القرآن والشعر فقد سماها الباحثون الغربيون بالنظم القرآنية الشعرية، وفي المصطلح الألماني

Dichtersprache. لغة القرآن والشعر اسمها

تؤكد فكرة النمط العام على أهمية الشعراء في الوضع اللغوي، فتجد زيبيتر (1968: 109) يقول إن تسمية الشعراء (الذين يمتلكون المعريفة) تشير إلى أن الناس كانت تنظر إليها في أنهم حماة نوع رفيع من اللغة، وإلى أنهم البوحون الذين كانوا مازالوا قادرين على التعامل مع نظام الإعراب المعقد، ويحسب تلك النظرية فإن علامات الإعراب كانت أعلى من مستوى المتكلم العادي وأن الوحيد الذي يستطيع أن يتعلمها هو الشاعر المحترف والراوي المحترف بعد تدريب طويل.

هذا النظرة تجاه الوضع اللغوي قبل الإسلام يقع على خط واحد مع الأفكار الأكثر روحاً بشأن ظهور النمط الجديد للغة العربية بعد الفتحات العربية الإسلامية، يعتقد معظم النحويين أن التغييرات التي حدثت بين العربية القديمة واللغة الجديدة (الوادى) إنما هو استمرار لتطور كان ساريًا قبل الفتحات في اللهجات الجاهلية القديمة - من بين تلك التغييرات اختفاء علامات الإعراب، وبما أن معلوماتنا عن تلك اللهجات قليلة جداً فمن الواجب علينا أن نعود إلى المصادر البيئة لتحاول أن نعرف ما إذا كانت التغييرات التي حدثت في العربية الوادى كانت راجعة للههجات الجاهلية، والسؤال الدقيق هنا: هل كان البدو يتكلمون لهجات تحقق علامات الإعراب أم لا؟

وأحد من أهم مصادر المعلومات في تلك السنة هو التقوس القديمة، ولكننا رأينا سلفا أن التقوس لا تقدم لنا دليلاً حاسمًا فيما يخص وجود علامات الإعراب من عدمه في المراحل المبكرة للغة العربية، في التقوس لا توجد علامات إعرابية، والسبب في ذلك إما أن اللغة المستخدمة لا تمثل نظام العامية الإعرابية، أو لأن تلك اللغة كانت تميز بين كلمات في سياق وذلك تحتوي على علامات إعرابية وكلمات في حالة الوقف، ولذلك

64
لا تحتوي على تلك العلامات، ولا تجد في تلك النصوص إلا الكلمات في حالة الوقف، هناك بعض الأدلة في النقوش النبطية على أن اللغة العربية الموجودة فيها تعكس وجود علامات جامدة في بعض الكلمات، فالأسماء المركبة التي تحتوي على اسم إلهي غالبًا ما تتنتهي بـ، وكذلك عنصر 'أبو' و 'ابن' في الأسماء المركبة دائما يكتب بالواو في آخره.

بغض النظر عن موقعه في الجملة، الخلاصة المنطقية أنه في هذا النمط من اللغة العربية سقطت علامات الإعراب من الاستخدام قبل القرن الميلادي الأول، ولكننا يجب أن ننتمي إلى الحقيقة الهامة التي تقول إن كل تلك النقوش صدرت من منطقة حدوبية حيث اتصل العرب بشعوب أخرى لفترات طويلة، ولذلك من الممكن أن تكون لغة تلك المناطق قد تأثرت بنفس العوامل التي تأثرت بها اللغة العربية بعد ذلك بقرون طويلة عند الفتوحات الإسلامية - وخاصة في مجال علامات الإعراب. كان بعض غرب شمال الجزيرة العربية على اتصال بشعوب حضرية تكلم الأرامية، ولذلك من الممكن أن يكون نوع من العربية الموصلة ظهر في هذا الإقليم الصغير وفي مستعمرات التجارة في صحراء شمال الجزيرة العربية والصحراء السورية قبل الإسلام بقرون طويلة، ومن الممكن أن يكون هذا النوع من اللغة العربية ما سماه العرب بعد ذلك بالنبطية.

هناك إمكانية أخرى وهي العودة إلى خط كتابة القرآن الكريم، فلغة القرآن تمثل نظام علامات إعرابية كامل وعام، فبحسب موقع الاسم في الجملة وعدده تكون له علامة الإعراب الخاصة به، ولكن السؤال بقي: هل يعكس ذلك أي وضع لذوي حقيقي في منطقة الحجاز؟ كما رأينا سابقا، كتابة القرآن تعكس تطوير النظام الصوتي الحجازي لجميع الأصوات المختلفة عنه، ولكن ليس هناك دليل مشابه بالنسبة لعلامات الإعراب، ولكن الشيء الوحيد الذي يمكن أن نقوله بثقة هو أن كتابة القرآن الكريم تعكس تقاليد الكتابة في الخط الأرامي النبطي، يبدو هذا واضحًا في نظام تسجيل الصوامت وكذلك في تسجيل علامات الإعراب، والببدأ الأكثر أهمية في هذه الكتابة هو أنه عند تسجيل الكلمة تسجل في شكل الأصوات الصامتة فقط، وتسجل الكلمة في شكل الوقف، وهذا لا تجد التدويل مكتوبًا في اللغة العربية أبدًا، إلا في حالة النصب.

حيث تنتهي الكلمة بـ an وكتبت بالألف المدهش من الممكن أن يكون أصل التدوين في اللغة العربية هو الواو والباء والألف المدهش، وهذا واضح من النقوش العربية القديمة ومن
الأسماء العربية الموجودة في التقويم التنبية، ينطبق نفس المبدأ على طريقة كتابة لاحقة المؤسسة المقدمة، حيث يعكس التباني في القرآن بين التأويل وإملاء. اختلاف الكتابة بدل على اختلاف حقيقي بين أشكال الوقاف والأشكال الآخر التي كانت عاملة قبل التنزيل بتفترة.

وأحد من عناصر النص القرآني التي نذكرها الباحثون في معرض الحديث عن العلامات الإعرابية هو وحدة أواخر الكلمات، في الشعر الجاهلي كانت العلامات الإعرابية على آخر الكلمة تنطق مدة طويلة، ولكن هناك نظاما آخر في القرآن الكريم، وفي بعض الشعر أحجاماً، وهو أن تحذف العلامات الإعرابية كلية من أواخر كلمات الفئة ليقف المتكلم عند الصوت الصامت الأخير، يقول بركلاند (1942) إن هذا يعد تطورا كبيرا ناحية إتمال علامات الإعراب، والعلامة الوحيدة التي ظل هنالك المتصور التي كانت تكتب ألقاً، يقول بركلاند وأخرون إن تلك العلامات لاذت بالآيات، والمضمون لفترات طويلة ليس لأنها علامات إعرابية فقط بل لأنها علامات على أنفسها المفاهيم (بعناتها العالم)، هناك بقية لهذا التنوين في بعض لهجات الجزيرة العربية حتى الآن، بل من المفروض أن يكون هذا التنوين سمة من سمات لهجة الحجاز القديمة لأن كتابة القرآن الكريم كانت تسجل تنوين المتصور هذا بشكل مستمر ومستقبلاً، بينما أتمت نفس الكتابة تسجيل تنوين الوقاف والجر، ولكن ليس من الواضح إلى أي مدى تفيدنا أواخر الكلمات في تحديد ما إذا كان تسجيل الكلمات في حالة الوقاف دليل على اختفاء العلامات الإعرابية أو لا، فلا أحد يذكر - على أي حال - أنه في أواست الجمل والتركيبات تستخدم علامات الإعراب على أواخر الكلمات والخلاصة من كتابة الشعر الجاهلي والقرآن الكريم ألا نستطيع أن نحل مسألة غياب العلامات الإعرابية من عدمه، يعني ذلك أن سؤال ما إذا كانت اللهجات الحجازية كانت تتبع إلى العربية القديمة أو إلى نوع من العربية المولدة لم يتضح إجابة في بحث دراسة نظام الكتابة، ومع ذلك فإن معظم الباحثين العرب والمسلمين يقولون يمكن أن هناك تقاليد كبيرة بين دارجة القبائل ولغة الشعراء قبل الإسلام، يعني ذلك أن التغييرات الكبيرة التي أصابت العربية بعد الفتوحات الإسلامية كانت كامنة في فترة
ما بعد الأزمة، بدأ التوجه نحو استعادة الأمن والاستقرار في البلاد. لكن ذلك كان مرهقًا ومتطلبًا، وواحدًا من الصعوبات في المواجهة مع الأمن والاستقرار من السوقيات وتهدئة الأزمة. كما أن الأزمة المتواصلة في البلدان العربية، فإنها تحمل ثقلًا أثاريًا عاجلًا.

وفي هذا السياق، كانت هناك إหวاءات للاستفادة من الوضع الاستثنائي لتعزيز التنمية الاجتماعية والاقتصادية. كانت هناك إحدى الإنجازات الملموسة في هذه الفترة، وهي تعميم التدابير الضريبية لتشجيع الاستثمار الأجنبي المباشر (FDI).

وفيما بعد الأزمة، بدأ التوجه نحو استعادة الأمن والاستقرار في البلاد. ولكن ذلك كان مرهقًا ومتطلبًا، وواحدًا من الصعوبات في المواجهة مع الأمن والاستقرار من السوقيات وتهدئة الأزمة. كما أن الأزمة المتواصلة في البلدان العربية، فإنها تحمل ثقلًا أثاريًا عاجلًا.

وفي هذا السياق، كانت هناك إหวاءات للاستفادة من الوضع الاستثنائي لتعزيز التنمية الاجتماعية والاقتصادية. كانت هناك إحدى الإنجازات الملموسة في هذه الفترة، وهي تعميم التدابير الضريبية لتشجيع الاستثمار الأجنبي المباشر (FDI).

وفيما بعد الأزمة، بدأ التوجه نحو استعادة الأمن والاستقرار في البلاد. ولكن ذلك كان مرهقًا ومتطلبًا، وواحدًا من الصعوبات في المواجهة مع الأمن والاستقرار من السوقيات وتهدئة الأزمة. كما أن الأزمة المتواصلة في البلدان العربية، فإنها تحمل ثقلًا أثاريًا عاجلًا.

وفيما بعد الأزمة، بدأ التوجه نحو استعادة الأمن والاستقرار في البلاد. ولكن ذلك كان مرهقًا ومتطلبًا، وواحدًا من الصعوبات في المواجهة مع الأمن والاستقرار من السوقيات وتهدئة الأزمة. كما أن الأزمة المتواصلة في البلدان العربية، فإنها تحمل ثقلًا أثاريًا عاجلًا.
التوبة إذ يقول عز وجل: "أن الله برء من المشركين ورسوله"، ولكننا يجب أن ننظر إلى ترتيب الكلمات الحر على أنه نتيجة لوجود علامة الإعراب وليس سبباً لهذا الوجود.

بعض الباحثين يعزى إهمال علامات الإعراب إلى ظاهرة صوتية، الفكرة الأساسية هنا هي أن هناك نزعة لإهمال أصوات اللين القصيرة في أواخر الكلمات، فقد أُهمل علامات الإعراب - في اللفظ على الأقل - وقد سقطت علامة الإعراب الجمع في تلك النظرية حالة بالكل، ولكن لو أن مسألة النزوع لإهمال أصوات اللين القصيرة في أواخر الكلمات حقيقية، فإنها لا تغزو كونها مسألة أسلوبية من بين أساليب كثيرة موجودة في أي لغة. وعندما تتعلم الأطفال لغتهم الأم فإنهم يتبعونها ككل الأساليب ويستEDUREن على الأشكال الطويلة والقصيرة الموجودة في لغتهم، علامة على ذلك لا يمكن جذب إهمال أصوات اللين القصيرة في الكلام السريع في حد ذاتها أن تؤدي إلى سقوط علامات الإعراب، ولكننا نستطيع أن نتوقع تزايد أكثر من شكل لغوي واحد للغة واحدة، وتغييرًا كبيرًا في بنية تلك اللغة إذا كان هناك اضطراب في التعلم الطبيعي للغة كلغة أم، وعلى ذلك فتصبح نزعة إهمال الأصوات اللينة محفزًا على التجدديد اللغوي الذي وجد شرائه في ظاهرة أخرى.

ورفض الباحثون أي تفسير صوتي لأنه غير متسق من الناحية التاريخية. يقول ديم (1991) إن الكلمات التي تحتوي على ضمير ملكية متعلقة في اللغات العربية الحديثة مثل "بنك" و"بنك" تمتلك حالة من تجانس أصوات اللين لحالة كلمات سابقة هي "بنك" و"بنك" على التوالي، ويستمر ديم ليقول إن صوت اللين بين الكلمة واللاحقة هو علامة إعرابية محسنة، ثم اختيارها بهذا الشكل لتراثة صوتي مع صوت اللين الموجود في اللفظ المتصل، ويخص ديم من هذا أن علامة الإعراب يجب أن تكون قد أُهملت في وقت كانت فيه أصوات اللين في أواخر الكلمات متداولة مستخدمة - وإلا ما كان شكل مثل "بنك" قد ظهر، إلى جانب ذلك لا يمكن تفسير وجود علامات إعرابية جامدة في بعض اللفظات العربية الحديثة إذا أفترضنا أن أصوات اللين القصيرة على أواخر الكلمات قد اختفت قبل انهيار نظام العلامات الإعرابية.

ويمكننا أن ننظر لظاهرة اللفظات العربية في الجامحة من زاوية أخرى لو أننا اتجهنا لغة الحديث البدوي، في ما بعد الفتوحات الإسلامية، يظهر النحوين العرب أن
البدو كانوا يتكلمون عربية "قصيدة قبل الفتح وبعد قرون عديدة. يقول بن خلدون (توفي عام 767 هـ) إن البدو كانوا يتكلمون بما يهم عليهم سبلتهم اللغوية دون الحاجة إلى التحويلين ليعلمهم كيفية استخدام علامات الإعراب، وأوضح بن خلدون أنه في القرن الأول من الإسلام وقبل أن يفسد الحضرة لغة أهل البادية كانت لغة البدو تحتوي على علامات إعراب كاملة. تمتقد قراءة هذه المقدمة على شكل كتاب تقارير الكتاب العربي عن نقاء لغة البدو، ويعزز تلك التقارير إلى الإيجابية بشأن الخفافة واللغة العربية، وتعرضوا لغة العربية الفصحى، تأتي بعض التقارير من نحويين محترفين. أقاموا لفوات في البادية مع بقايا البدو ليرسموا عربتهم التي اعتبروها أفضslashق من عربية الحضرة والبلد المفتوحة.

بطيعة الحال يمكن أن يعتبر أي شخص تلك التقارير من نزاعات العرب الرومانية إلى الماضي البدوية الصحراوي، وعلاوة على ذلك قد يكون البدو محتفظاً بتنوع من الشعر العربي القصى الكلاسيكي الذي كان يحقق علامات الإعراب بينما يستخدمون عربية وليدة في كلهم الحادي، كما هي الحال اليوم في بعض اللهجات النجدية. بينما كان النحويون يبحثون عن "العربية" وكأنهم يستخدمون الرواية في تلك المهمة فقد كانوا يحصلون على طليهم من تلك القبائل البدوية دون الاهتمام بلهجاتها الخاصة، وإذا اعتمدا وجهة النظر تلك فسوف تعتبر الصحة اللغوية التي عريت لسكان البادية من ضروب الخنازير والتفخيم كما هي الحال بالنسبة للكري بدو العربية والفروسية البدوية. ولكن إذا اعتقدنا بصحة كلام النحويين يجب أن نعتقد أيضاً أن البدو كانوا قبل الإسلام يتكلمون عربية قريبة من لغة الشعر، وهي نفس اللغة التي أرسل الله بها رسالته الأخيرة.

في الكتب التي ألفت عن الوضع اللغوي في الجاهلية كانت هناك أهمية كبيرة للحن في صدر الإسلام، في واقع الأمر هناك الكثير من القصص حول الأخطاء اللغوية التي كان الوالي يرتكيبها، ويعتقد الكثيرون أن تلك القصص تدل على وضع لغوي يسوده الفساد اللغوي والمجملة التي أصابت العربية الفصحى التقية، ولكن تلك القصص لا تدعم وجهة النظر التي تقول بأن نظام علامات الإعراب قد أصبح عاطلاً
ولو كانت تلك القصص تدل على شيء، فهذا تدل على أن لغة العرب التي حاولوا تطليها وتعلمها كانت تحتوى على علامات الإعراب. في أكثر قصص تلك الأخطاء اقتباسات لتصور المرء أن هناك صلة بين الاستخدام الخاطئ للعربية والاختراع النحو العربي على يد أبي الأسود الدؤلي (توفي عام 97 هجريًا).

تقول قصة من تلك القصص إن رجلاً أخطأ في قراءة الآية رقم (3) من سورة النبوي حيث يقول عز وجل: "إن الله لم يرزق من المشركين ورسوله، وقرأها كما يلي: "إن الله لم يرزق من المشركين ورسوله". وفي قصة أخرى يقول الراوي إن أحد المولى قال: "توفي آباي وأترك بنيت" (انظر ابن الأثبار في النزهة، ص 3-7). فبينما يمكن اعتبار المثل الأول ملطفًا ومصطنعًا، يدل المثل الثاني يوضح أن أولئك الذين كانوا يحاول أن يكونوا صحيحين في استخدام لغتهم العربية بشكل عام، ولذلك استخدم "بئن" بدلاً من "بئن" في المنصف. في نظرية كل من ابن الأثبار وابن خلدون عن تطور العربية هناك ربط بين قلادة اللغة بعد الفتح الإسلامي وقيام النحو العربي.

تظهر أول أمثلة مكتوبة على الاستخدام الخاطئ لعلامات الإعراب في النصف الأول من القرن الأول الهجري، نجد في برديتين من مصريتين (نحو 1984) يرجع تاريخهما لعام 22 من الهجرة أن اسم العلم "أبو قير" في موقع يسمح للبرديتين وكذلك نجد التعبير الصحيح بشكل رائد "نصف دنياراً"، ويمكن العثور على أمثلة أكثر بكثير على تلك الأخطاء في البرديتين الأحدث من هذين البرديتين اللذين. ولنا كما لينا البرديتين مكتوبتين في سياق تعدد الخو، وما كان من الجائز جداً أن كانت البرديتين تشبهان من متعددة اللغات في مجمل السهل أن تعتمد على هذه الاستخدامات الخاطئة كدليل على اختفاء علامات الإعراب قبل الفتح الإسلامي، بل على العكس من ذلك، فوجد علامات صحيحة بشكل زائد يشير إلى وجود نظام علامات الإعراب في اللغة المدنية.

ولكن ما هي الخلاصة إذن بشأن وجود الإديبلومة اللغوية من هذه في تلك الفترة المبكرة قبل الإسلام؟ هناك نقطة واحدة أكيدة وهي انعدام الأخطاء اللغوية من التصص التي وجدناها من فترة ما قبل الإسلام وذلك الأخطاء عادة ما تدل على وجود فراق كبير بين اللغة الأنبية ولغة الكلام اليومية، يعني ثبات تلك الأخطاء انعدام

70
الفارق واستخدام علامات الإعراب على عكس ما يدعى أنصار فكرة "الفئة الشعرية"، وبطبيعة الحال يمكن أن نتعرض على ذلك ونقول إن أي أخطاء لغوية كانت موجودة في الشعر الجاهلي مثلًا يمكن أن تكون قد اختفت بفعل الشاعر والجامعين بعد ذلك، والخلاصة هي أنه حتى بالرغم من أن بعض التطورات التي حدثت بعد الفتوحات الإسلامية كانت جذورها في مرحلة الجاهلية، إلا أن الاختلافات الوظيفية والبنية بين اللهجات العربية القديمة في الجاهلية والعربية الموادة بعد الفتوحات، والتي تمثلها اللهجات الحضرية، ماتزال بحاجة لتسخير، ذلك لأن ظهور العربية الموادة كان مصحوبًا ليس بغياب علامة الإعراب وحسب، بل أيضًا بعدد آخر من السمات اللغوية التي تحتاج الدراسة.
الفصل الخامس

نشأة العربية الفصحى الكلاسيكية

5-5 مقدمة

في بداية العصر الإسلامي كان هناك مصدران اثنان فقط للغة الأدبية العربية، هما القرآن والشعر الجاهلي، ولذلك ليس من الغريب أن يلعب هذان المصدران الدور المحوري في تقعيد اللغة العربية الفصحى وتطورها، وليس من الغريب كذلك أن تكون أول أنشطة علمية في الإسلام متركزة على النص القرآني، الذي كان لينشر وينقل على مستوى النص، وينظر التفسير على مستوى المعنى، وفي نفس الوقت، عندما انقطعت الصلات المباشرة بالصحراء، ترك الناس الاهتمام بممارسة الشعر بالسليقة إلى الدراسة العلمية للشعر الجاهلي، وبدأت عمليات نقل النص القرآني والشعر الجاهلي بشكل شفاهي ويشكل غير منضبط في بداية الأمر، ولكن هذا الشكل من النقل لم يكن يستمر في الإمبراطورية التي كانت تتوسع بشكل مضطرد وسريع.

وقد مرت اللغة نفسها بمرحلة تققيد، فيبتينما كان البدو في الجاهلية يظاهرون أنهم جماعة لغوية وحيدة، لم يكون لهم مرجعية لغوية واحدة، وحتى في لغة الشعر التي كان الناس يظاهرون أنها لغة تعبير كل القبائل، كان هناك تنويع كبير، أما بعد الفتوحات وعندما أصبح العرب إمبراطورية ظهرت حاجة ملحة لتقعيد اللغة، وذلك لثلاثة أسباب:

السبب الأول هو أن الفروع الكبيرة بين لغة العرب البدو واللهجات المحلية الحضرية التي ظهرت بعد الفتح سببت خطرا كبيرا على التواصل في الإمبراطورية الجديدة.

السبب الثاني هو أن الحكومة المركزية في دمشق وفي بغداد كانت تسعى إلى السيطرة على الشعوب ليس فقط من الناحية الاقتصادية والدينية بل من الناحية اللغوية أيضًا.
فبكان للعربية أن تستخدم كلغة الحكومة المركزية فيجب أن تقع، السبب الثالث هو أن التوسع السريع قد أدى إلى توسع المعجم العربي، وكان يجب التحكم في هذا التوسع لضمان حد أدنى من الوحدة.

سوف يتعامل هذا الفصل مع موضوعات ثلاثة رئيسية متعلقة بعملية التطبيع اللغوي، أهم مسألة في عملية تطبيع اللغة العربية هي اختراع نظام كتابة أو بالأخرى تطوير نظام كتابي قائم فعلاً مطلطن الكتابة المختلفة الجديد، وبعد ذلك تم تطوير نظام لغوي محدد، فتوسع المعجم وصنفه المصنفون، وبعد ذلك عندما تم تطوير تلك الجوانب اللغوية الأساسية، حيث تطبيع أسلوب تطوير النموذج البديع القائم على، في وسائل التعلم التقليدي فيما يخص أساليب الشعر، ولكن ظهور النثر العربي كان البداية الحقيقية للعربية القصصية الكلاسيكية كما تعرفها، وفي القسم الختامي من هذا الفصل سوف نتعامل مع وضع اللغة العربية كلغة رسمية.

5-5 تطور نظام الكتابة العربية

كان أهم شيء بالنسبة للعلماء العرب الأوائل هو أن يتوافقوا التصورات التي يعملون بها، وبالرغم من أن التعامل الشفاهي كان محكماً أساسياً من مكونات الثقافة الإسلامية، فقد أصبحت الفروق بين التصورات كبيرة بدرجة لا يمكن تجاهلها، وكانت الحاجة لتصنيف واحد مماثل لخاصة فيما يتعلق بالقرآن الكريم. وقد كان الحكومة المركزية في هذا الأمر ضخ كبير، فقد وقفت لتصنيف واحد أن يصبح هو أساس أي نشاط سياسي أو ديني في عموم الإمبراطورية الجديدة.

كان توحيد النص القرآني لحظة حاسمة في تطور تطبيع الكتابة العربية، من الناحية العملية استلبست كتابة القرآن قرارات كثيرة تخص نظام الكتابة والخط العربي وكذلك استتببت قيام عدد من التفاعليات الكتابية التي كانت ترمي إلى جعل الكتابة أكثر وضوحًا وسهولة من الكتابة في العصر الجاهلي، وقد عرفنا في الفصل الثالث أن الكتابة لم تكن مجهولة في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام، ولكن، للاسباب دينية، ما ركزت المصادر الإسلامية على حقيقة أن النبي عليه الصلاة والسلام كان أميا، وعممت
ذلك على المجتمع الجاهلي كله. وكانت المصادر الإسلامية الأولى تشدد على حقيقة أن
كون النبي عليه الصلاة والسلام أميا هو الذي جعل نزول القرآن وقراءته معجزة.

هناك دلائل واضحة على أنه في القرن السادس الميلادي كانت الكتابة شائعة
نحوًا في المراكز الحضرية في شبه الجزيرة العربية، في المدن التجارية كمكة. من
المفروض أن التجار كانوا يملكون أكثر من طريقة لتسجيل معاملاتهم، وهناك كذلك
إشارات إلى اتفاقيات مكتوبة كانت محفوظة ببطن الكعبة، وحتى روافد الشعر كانوا
أحيانًا ما يعتمدون على سجلات مكتوبة بالرغم من أنهم كانوا يلقون القصائد شفاهيًا،
وفي القرآن هناك انعكاس لاجتماع يعتمد الكتابة في الأعراف التجارية، بل ويدعو من
القرآن أن ممارسة الكتابة لهذا الفرض كانت مستقرة وعادية. يُفند في سورة البقرة
(الآية 287) (على سبيل المثال) تحديداً لدفعة لأселوب كتابة نزول القروي، أنظر قوله
عن وجلَّ يَا مَلِكُ الْأَرْضِ، يُصَدِّقُكُمُ الْمُسْلِمُونَ بِالْمَيْلِ وَالْأَكْسِبِ، وَيُكَبِّرُونَكَ
صَبْرًا، وَيُكَبِّرُونَكَ وَلَا يَبْدَؤُونَ عَلَيْكَ الْأَحْلَقَ.

وفي السيرة النبوية هناك إشارات كثيرة لاستخدام النبي كتاب يكتبون مراسلات
مع قبائل العرب، كما كان يستخدمهم أيضًا في كتابة المعاهدات والاتفاقيات. من أشهر
تلك المعاهدات تلك التي كتبت بين العرب المسلمين وقبائل شبه الجزيرة العربية
أيام غزوة تبوك في العام التاسع من هجرة الرسول عليه الصلاة والسلام، وقد وضعت
تلك المعاهدة لأول مرة أسس العلاقات بين المسلمين وغير المسلمين. حفظت لنا كتب
التاريخ أسماء الشهداء والكاتب كما أنها ذكرت أن النبي عليه الصلاة والسلام وقع على
تلك المعاهدة بنامره (انظر مغزى المواضيع، الجزء الثالث). ربما تكون تلك المحوطة
الأخرى إضافة لاحقة على وقائع القصة.

من المحتمل أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان لا يكتب ولا يكتب، ولكنه من
المؤكد كان لديه كتاب يعينونه، بالضبط كما كان الحال مع بني قومه من التجار الكبيرة
الذين كان لهم يعينونهم على التجارة، كان الوحي في بداية الأمر عبارة عن آيات
صغيرة يوصليها النبي عليه الصلاة والسلام للمؤمنين. وكان من السهل أن يحفظ هؤلاء
تلك الآيات، ولكن سرعان ما كبرت الآيات وكثفت، وأصبح من الحتمي وجود معين

75
كتبياً مع الذاكرة. حفظ لنا التراث أسماء العديد من الكتب التي أملاء الرسول عليه الصلاة وسلام الوحي، ومن بينهم زيد بن ثابت (توفي عام 42 هـ) ويوثُق لنا القرآن نفسه هذا التحول من النص الشفاهي إلى النص المكتوب، فالصُلحُ الشائع للوحي في السور الأولى هو "القرآن". ويتحول ذلك المصطلح في السور الأخيرة من الوحي إلى "الكتاب".

يتفق كل من المسلمون والباحثين الغربيين على أنه لم يكن هناك جمع كامل للقرآن الكريم في حياة الرسول عليه الصلاة والسلام، بل كتب هناك شرائح من مواد مختلفة استخدمها المسلمون الأوائل لتسجيل أبيات من القرآن. وقد جمعت كل تلك المواد بعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام، ويرى لنا التراث أن الخليفة الثالث عثمان بن عفان (حكم من 64 إلى 66 هـ) هو الذي أمر بجمع القرآن في مصحف موحد، وأوكل تلك المهمة لكاتب وحي النبي زيد بن ثابت، وعندما تم جمع القرآن في مصحف موحد، أرسلت نسخة منه لكل مركز من مراكز الإمبراطورية حيث حل محل كل القراءات الأخرى البديلة، ولكن الناس لم تقبل هذه المصحف بسرعة، وظلت القراءات "الشاذة" متداولة لحين، ولكن بحلول نهاية القرن الثاني الهجري أصبح مصحف عثمان أساس الخط والقراءات في كل مكان تقريباً، فتجد في كتاب سيبيسي (توفي عام 177 هـ) وهو أول كتاب وضع في النحو العربي، رفضاً تاماً لكل شروط من مصحف عثمان، ولم يسمح إلا باختلافات صوتية محدودة. وظهرت كتابات كثيرة عن القراءات في القرآن، وهي الدراسات التي أسهمت في تحليل لغة القرآن وفي تحليل نص القرآن الكريم نفسه.

بغض النظر عن المشكلات التي ظهرت وقت جمع نص القرآن الكريم، كانت المشكلة الكبرى التي واجهت زيد بن ثابت وفريقي هي ضموم الكتابة العربية، فقد كان نظام الكتابة الذي استخدمه الكَيْنَ تطماً بديلاً، فقد كانت هناك مشكلات أساسية في الألفاظ العربية البدائية، فلم يكن هناك نسخة هادئة على الحروف للتميز بين بعض الفوازن، فكان الكثير من الحروف يعبر عن صوتين أو أحياها أكثر، وقد كانت تلك الكتابة موروثة

(63) كذا في الأصل، والمعرف أن عثمان رض الله عنه حكم من سنة 33 إلى 65 (المراجع اللغوية).

(64) توفي سيبيسي عام 168 هـ. (المراجع اللغوية).

76
من الخط البطيء الذي قدم الأساس للكتابة العربية المبكرة، ولكن الخط الأرامي الأصل
لم يستطع التعبير عن القويمات العربية كاملة. ترتبط المشكلة الثانية بسمة موجودة في
كل اللغات السامية، وهي أن نظام الكتابة في تلك اللغات لا تسجيل أصوات اللين
القصيرة، وحتى في حالة الكتابة البطيئة فقد كان تسجيل الكثير من أصوات اللين
الطويلة قاصراً، من الممكن أن تكون مشكلة الخط قد حققت قبل الإسلام، فهناك بعض
الإشارات إلى أن الكتاب المبكر كانوا يستخدمون النقط للفصل بين الصور
التشابهة، ومن الممكن أن يكون العرب قد استعاروا النقط من السريانية، ذلك لأن
النقط في الخط السرياني مستخدم للفصل بين ألفونات الفونيم الواحد، بل ويقول
بعض العلماء إن هناك بعض الإشارات إلى استخدام النقط في الكتابة الأرامية أيضا.

لقد كانت مشكلة أصوات اللين القصيرة مسألة مختلفة تماماً في القرن الأول
الهجري، وبعدها بدأ المسلمون في جمع القرآن وتسجيله، أحص الناس بالإحالة إلى
نظام كتابة موحد واضح. وجزي الناس إلى نحوين كبيرين، من بينهم المخرزم المزوم
للنحو العربي أبي الأسود الدؤلي (توفي عام 19 هـ هجريًا)، اختراع نقط ملونة توضع
أعلى الحروف وأسفلها للتعبير عن أصوات اللين القصيرة، يقول ابن الآباري إن أبا
الأسود الدؤلي أمر كاتبه فقال: "إذا فتحت شفتي فانقط واحدة فوق الحرف، وإذا
ضمتهما فاجعل النقطة إلى جانب الحرف، وإذا كسرتها فاجعل النقطة من أسفله،
إذا أتبت شفتي من هذه الحركات فانقط نقطتين" (نزهة ابن الآباري، تحقيق
عطية عامر: 1963، ص 1-7).

في هذه الرواية ينسب النرويجي النقط بأصوات اللين القصيرة لأبي الأسود الدؤلي،
وستنبذ أيضًا أن أسماء "الفتحة والكسرة والضمة" مرتبطة بطريقة نطق تلك
الأصوات، وعندما من المصادر العربية الإسلامية أنه كانت هناك معارضة شديدة
لاستخدام نقط أصوات اللين في مخطوطات القرآن الكريم، وفي حقيقة الأمر لا يوجد
نقط في المخطوطات الأولى للقرآن، وبه المخطوطات المكتوبة بالخط الكوفي، وكذلك
لا يوجد أي مريحة لكل الأصوات في النقوش العربية المبكرة التي تعبر عن نص قرآن،
وهي بعض المخطوطات أضيف النقط المعبر عن أصوات اللين القصيرة باليد بعد فترة
من كتابة المخطوطات الأولى.
هناك اختلافات أخرى تعزى لها العربية أبي الأسود، وهم تسجيل الهمزة وتسمح من الشدة، كلا الشكلين غير موجود في نمط النبطي الأصلي، وربما في الفصل الرابع أن الهمزة ربما لم تكون موجودة في اللهجات الحجازية، ولكن في النمط اللغوئي الذي نزل به القرآن وتسمح به الشعر الجاهل كان الهمزة صحيحة حقيقية، وربما السمات المتكررة للبس القرآن والشعر الجاهل كان على الكتب الجاهلية اخترا ع طريق تمثيل عن هذا الصوت. ولم يتبق إلى اليوم حروف ما علقت على همية بصوت، إن بلع الطويل يعبر عنه لمساوى أو ألياء أو ألف، وbufioت العرب إن أبا الأسود كان هذا النظام بكتابة في صغيرة فوق القواف أو ألياء أو ألف، وكان تلك العين الصغيرة معيبة عن وجود صوت حليق، وقد سجل أبو الأسود شدة الصوت بوضع نقطة عليه.

ولكن التطور الخطير في نظام تسجيل أصوات اللين القصيرة يعني أولاء معجمي عربي، وهو الخليل بن أحمد (توفي عام 175 هـ)، فقد وضع مكان النقطة أشكال خاصة ببعض الين القصيرة، ووضع وايًا صغيرة لتتعبر عن الضمة وألفا صغيرة لتتعبر عن الفتحة وجزء من باء صغيرة لترمز للكسرة، وكذلك غير رمز الشدة، واستبدل بالنقطة أعلى الحرف سينا صغيرة، وقد وضع هذا النظام أساسًا لكتابة الشعر الذي مر بمرحلة تسجيل هو الآخر، ولكنه سرعان ما انتشر في مخطوطة القرآن الكريم، وقد كان هذا النظام الجديد أقل غباء من سابقه الذي كاه فتح فيه تلعب أدوارا متعددة.

وبإصلاحات الخليل أصبح الخط العربي كاملًا تقريبًا، واستمر على هذا النحو حتى الآن، باستثناء بعض الإضافات الأخيرة جداً، ومع ذلك استمر رموز أصوات اللين القصيرة والنقطة تختلف كثيراً من نسخ أخرى، فهناك نقص في تشكيل وأخرى بدون حتى النقطة فوق الحروف وتحتها، وبعد قيام الخط العربي واستقراره ظهرت خطوط كثيرة، وكان لكل منها طبيعته الخاصة، وإذا نحن الخط الكوفي المستخدم في مخطوطة القرآن المبكرة جدًا، فستجد أننا تم اختراق نوع من الخطوط يستخدم في النواير، ذلك بعد إصلاحات عبد الملك بن مروان، بل وأصبح الخط واحداً من أهم عناصر الفن الإسلامي، مما كانت الفنون التصويرية مكروهة فقد أصبح الخط العربي واحداً من أهم عناصر الزخرفة والتزيين.
لكن تمكِّن خط مقعد وسليم مسألة تختلف تماماً عن إمتلاك لغة مقبولة وسليمة
للأخلاق الرسمية والتجارية والإدارية، فقد عُزلنا لم يتمكَّن التجار المكّيون أرشيفات،
ويجب أيضًا أن نفترض أنهم لم يطوروا مصطلحًا قانونيًا أو أسسًا معبرة لأسلوب
الدفاتر. ولذلك لجأت الحكومة الإسلامية في أول عهد الخلافة إلى المواقف بين الذين كانوا
يتكلمون باليونانية في مصر والشام والهجرة الذين كانوا يتكلمون الفارسية في
الشرق ليصروا المسائل الإدارية ويتولوا الضرائب، ولكن الانتقال من اليونانية العربية
في الديوان لمسالة مربطة باسم الخليفة عبد الملك بن مروان، وفي الأثر أن الخليفة أمر
الكُتاب بالانتقال لاستخدام اليونانية لاستخدام العربية في العام 81 من الهجرة،
وتزعم كتب التاريخ أن السبب في ذلك التحول كان أن الناس ضربت كتبًا يونانيًا ببول
في الحفرة (البلاغي)، فتوح البلدان، ص 196)، وهما كانت الأسباب، فإن عملية
التحول تعني ثقة العرب في أنفسهم وتمكَّمهم لنظام كتابة سليم ويتعتمد عليه.

3-5 تقعيد اللغة

حتى قبل تعريب الدواوين، كانت العربية تستخدم كلمة كتابة، ويرجع تاريخ أول
بردية عربية إلى العام 27 هجرياً، كما أنه بحلول نهاية القرن الأول الهجري كان عدد
كبير من النصوص العربية مُدَّوَّلاً في شكل برتوكس، أما لغة تلك البرديات البكركة فهي
غير مستقلة ومنتظمة في وجهة نظر قواعد الفصيح الكلاسيكية. ولكن حقيقة وجود عدد
كبير من التصويبات الخاطئة بحلول تقليل نمذجة لفوقى معين، سوف يتعامل مع السمات اللغوية لغة البرديات
العربية في الفصل الثاني الذي يتعامل مع العربية الوسيطة، ولكن مهما هذا هي
تحديد ملعم عملية التقعيد اللغوي.

تحمل لغة القرآن نكتة دينية خاصة بها لا يحملها نكتة أخرى، بالرغم من أنها
مطابقة للفعل الشعر الجاهلي، وتميزت لغة القرآن عن باقي الأنماط اللغوية ببعض
السمات الأساسيّة واللهو، وكذلك كانت لغة الشعر متميزة ببعض الرخص التي لم
يكن مسموحًا بها في باقي الأنماط، بالرغم من أن القرآن الكريم والشعر الجاهلي كانا
نموذجًا لفوقى، فإنهم لم يكونوا نموذجًا يصطنع منه نثر عربي، وبالرغم من أن النحوة
كانوا يستخدمون السبب، حكام الصحة اللغوية، لفصلوا في أمور اللغة، إلا أنهم لم يكونوا مؤهلين لفرض نظم لغوية تعقيدًا بسبب اختلافاتهم اللغوية وتبنيهم فيما بينهم.
لقد رأينا في الفصل الرابع أن لغة القبائل البنوية كانت مختلفة بعضها عن بعضها الآخر لحد ما، وبالرغم من أنه من المعقول أن نفترض أنه لم يكن هناك مشاكل كبيرة في التواصل بين تلك القبائل، فإنه لم يكن هناك نمط واحدي، وعلى الجانب الآخر كانت الجماعات الحضارية الناشئة، والتي كانت تمتلك ناصية اللغة العربية بدرجات متغيرة، بحاجة إلى مثل هذا النمط التقليدي، ولكن كان من الصعب على الحضر المستعربين أن يتحملوا مسؤولية قرارات تتعلق بالصحة اللغوية. بل في حقيقة الأمر كان الاستخدام اللغوي المتغير من قبل تلك المجتمعات الحضرية هو الذي سبب الفقد على مستقبل العربية عند من يرون أنفسهم وراثة الحضارة البنوية من العرب الأصلاء، وحتى لو لم ننكر تصديق ما قاله المؤرخون المسلمون كابن خالدون من أن الفساد اللغوي هو الذي أدى إلى قيام النحو العربي، فلا يمكن أن ننكر أنه في الحقب الأولى من الفتح كانت هناك حاجة ماسة لن يكون في اللغة العربية وتعليمها.

تذكر معظم مصادرنا أن الخليفة الرايع على بن أبي طالب نبي الله عنه (حكم من 3–40 هجرية) هو الذي أصر على وجود حل لمشكلة تزايد الأخطاء اللغوية. بينما تعزز مصادر أخرى هذا الإصرار إلى زيادة بن أبيه أمير العراق، وارتباط اسم أبي الأسود الدؤل بعملية إصلاح اللغة وتقعدها كما ارتبط بمسألة تحسين نظام الكتابة التي تكلمنا عنها سابقًا. وتذكر كتاب التاريخ أن أبي الأسود لم يرض أن يقوم بتلك المهمة إلا أنه اتفق في نهاية الأمر عندما ارتكب ابنه هو خطا فاحشا في علامة الإعراب فنقطت لما أحسن السماة بدلاً من لما أحسن السماة (ننظر أخبار السيرافي، طبعة بيروت 1936، ص 19)، وهناك تفويضات أخرى كثيرة على تلك القصة باختلاف الأشخاص، وذكرنا منها سالفًا قصة يلقن فيها شخص في القرآن الكريم.

صحيحة تلك القصة من الناحية التاريخية محل شك في نظرى، وقد بين تلمون (1885) أن التحويلين المتأخرين كانوا يستخدمون اسم أبي الأسود الدؤل كعلامة...
بداية مدارسهم النحوية المختلفة، فقد كان مجرد اسم. ولكن النقطة التي تهمنا هنا
باقية، وهي أن التحوين قد لعبوا دورًا مهما في عملية تقعيد اللغة العربية، وكانت أول
جهود البحث العلمي العربي الإسلامي هي جهود تقسيم الогام، ولكن لما كان من
الصعوب دراسة لغة القرآن معزول عن مصادر العربية الجاهلية الأخرى، الشعر،
فقررنا ما بدأ التحوين يضمون هذين المكونين الأساسيين لمادة اللغة العربية في
كتبهم.

لقد كان أول نحوى يقدم وصفًا كاملاً للعربية في أول شكل كتاب عربي مكتوب
بالنثر هو سيبويه الذي لم يكن عربيًا بل فارسيًا من هامان، فقد كان النثر الذي احتذته
الأجيال التالية من التحوينيين، واعتقد التحوينيون أن مهمتهم الأساسية كانت تقديم شرح
وتفسير لكل ظاهرة لغوية في العربية، ولم تكن مهمتهم مجرد الوصف، كما أنهم قدموا
بعض التصانيف حول كيفية استخدام العربية بالشكل السليم، ولذلك فقد ميز التحوينيون
بين ما هو مسموع ومنقول فعلاً وبين ما هو صحيح في اللغة من الوجهة النظرية، من
حيث البحث قبل النحوين العرب كل ما ورد عن طريق النقل من مصادر موثوق بها
ويهي أولاً القرآن الكريم، ثانياً كل ما هو محفوظ من الشعر الجاهلي، وثالثاً شهادات
البدو الذين توقعت بعريتهم، وفي هذا الإطار قبل النحوين كل العناصر الشاذة والغريبة
والنادرة في العربية، وإن لم يقبلوها كعناصر منتجة يستخدمها الناس ويعيدون
إنتاجها. ويعتبر هذا التمييز سمة أساسية من سمات اللغة الإسلامية كافة حيث
يفصل العلماء السلميون بين العقل والنقل فصلاً تاماً. وكذلك فصل العلماء وبين دراسة
الأشكال اللغوية المسوبة والمتقولة بين النظريات النحوية، واستطاعوا أن يفرضوا
قاعدة للصحة اللغوية.

وتزامنت كتابة قواعد العربية مع بداية دراسة القاموس وتوسعته الضرورية.
وعتبر عملية التقعيد اللغوي هاتان متلازمتين لحد كبير، فكما كان الناس يحتاجون
التحوين بسبب الفساد اللغوي الفاضل، فإن الهدف الأساسي للمعجميين العرب يبدو
أنه كان الحفاظ على المعجم البديوي القديم - الذي كان يمر بمرحلة حرجة، هناك أسباب

81
كثيراً ما تلقى المجموعات على القاموس العربي، أولئك كانت الحضارة الحضرية في صدر الإسلام مختلفة كلية عن حضارة الصحراء والقبائل العربية التي كانت حارسة المعجم الشعري القديم. فلم يكن من الممكن لأي شخص حضرى يسكن المدينة أن يعرف المعاني الدقيقة لكلمات خاصة بالجمال والحيوانات البرية والمزاح، وعندئذٍ قصص كثير من الحواريين أبرزه أهمية هذا الجانب العلمي في حياتنا اليومية، ومن تلك القصص ما ورد عن الحموئ أبي عمر بن العلاء (توفي عام 154 هـ) عندما بدأ يعلم الناس اللغة، إذ سأله بدوه عن معاني بعض الكلمات النادرة الغامضة، فلمه أجاب عمر بن أصباق بالبدو: "تخذل عهتنا فإنه دابة مدمرة." (انظر مقالة الزجاجي، تحقيق عبد السلام هارون، الكويت، 1967، ص 32). ثبتت هذه القصة كيف أن الحموئ كان يثبت كفاءته العلمية بحجم معرفته بالقاموس البندى.

أما من كلمل اللغة العادية الذي وارت في مدينة إسلامية وعاش فيها دون أن يعرف شيئًا عن الحياة البنوية فقد كانت تلك الكلمات العربية حتى الشاذة منها مجهولة له، ويمكننا أن نعرف على الكلمات التي خرجت من الاستخدام بعد الفتح من تفسير القرآن البكرى. يحتوي تفسير مقاتل بن سليمان (توفي عام 150 هـ) على عدد كبير من مقالات معاني كلمات وردت في القرآن الكريم وظنل المفسرون أنها بحاجة لشرح، فقد كنا مقاتل يضع كلمات مكان كلمات، فيضع مثلاً "وجيع" مكان "يام"، ويبع "بين" مكان "بين".

كان مصدر التهديد الثاني للمجمع العربي هو الاتصال بلغات أخرى، فعندما اتصل العرب بالثقافة العربية في البلاد المفتوحة تعفوا على مفاهيم جديدة وأشياء لم يروا ولم يكن لها أسماء عربية تدل عليها، فكانت المصادر الأساسية لاستقاء المصطلحات الدالة على تلك الأفكار الجديدة هي اللغات المطلقة في البلاد المفتوحة - وكان ذلك بالتحديد ما خاف منه بعض العلماء العرب، فقد تصوروا أن تدفق الكلمات من لغات أخرى سيفسد اللغة العربية التي اختارها الله لينزل بها على عباده آخر النوى.

82
لم يكن هذا التوجه محسوساً بقدر كبير في القرن الأول الهجري - كما يضح من
شرح المفسرين لعاني كلمات القرآن الكريم في التفسير المبكر - وفي العصر الجاهلي
اقترض العرب عددًا كبيرًا من الكلمات من الثقافات المحيطة بهم، وتم اقتراع عدد
كبير من تلك الكلمات عن طريق لغة اليهود الآرامية في سوريا أو عن طريق السريانية
المسيحية في العراق حيث كانت الحيرة أكبر مركز اتصال ثقافي ولغوي، وفيما يلي
أمثلة على كلمات مقتروحة في الشعر الجاهلي وفي القرآن الكريم: (1) كلمات مقتروحة
من السريانية عبر الآرامية والآرامية: زنجبيل، وهي في السريانية في wardaa
وكلمة وردة، وهي في الآرامية zangabeer
البهلوية، و (2) ومن الكلمات التي
اقترضت من السريانية بشكل مباشر: "إسترير" في البهلوية هي stabr، وكلمة جند في
البهلوية هي gund (3) وهناك كلمات مقتروحة من اليونانية في التينيائية عبر السريانية أو
الأرامية، فكلمة "برح" في العربية مكنها في السريانية purgos
و في اليونانية buurgaa
و (4) kastrum، وكلمة قصر، وهي في الآرامية qasraa
و في التينيائية qasraa
وهناك بطبعية الحال عدد كبير من الكلمات مأخوذة مباشرة من السريانية والآرامية مثل
كلمة "قصص" وهي في الآرامية stooutaa
و هناك أيضاً مجموعة خاصة من الكلمات
المقتروحة من طريق الجنوب من اللغات العربية الجنوبية والأثيوبيية، مثل كلمة "صنم"
حيث تعني في العربية الجنوبية snm

لم تكن هناك مشاكل عند المفسرين الأوائل من أمثال مجاهد (توفي عام 164
هجري) في رد الكلمات المستعارة في القرآن الكريم إلى أصلها الأجنبي، فتجد مجاهد
على سبيل المثال يقول إن كلمة "الطور" بمعنى "الجبل" من أصل سرياني، وإن كلمة
"قططس" من أصل يوناني، وفي حقيقة الأمر أصاب مجاهد بعض الشيء في
تخميناته فكلمة "الطور" فعلاً من أصل سرياني هو thuur، وكلمة "قططس" ربما تكون
بمعنى "القاضي" وقد تكون مرت عبر الكلمة
dikastes من أصل يوناني بعيد هو dillqasthuas
السريانية، وقد تكون بعض أصول الكلمات التي أوردتها المفسرون الأوائل
وهمية، ولكن الشيء المهم لنا هو أنهم كانوا ينظرون لتراث اللغة بكلمات أجنبية كنزة
وعلاقة من علامات الرفعة وإمارات العبرية المنتجدة في القرآن الكريم، ولكن بنهاية
القرن الثاني الهجري بدأ بعض أهل اللغة ينتقدون فكرة أن يكون القرآن حاويا لكلمات أجنبية، وحاولوا أن يربوا كلمات القرآن لأصل بديع ما. وعلى ذلك تجد أبا عبيدة (توفي 210 هـ) يقول: "نزل القرآن بإياس عربى مبين فمن زعم أن ظهرا بالبتيلية فقد أكبر" (انظر مجاز أبي عبيدة، من تحقيق سربكين، طبعة القاهرة عام 1954، ص 17).

وبالرغم من أن معظم المعجميين العرب كالسيوطي (توفي عام 111 هـ) ظلوا يردون الكلمات القرآنية لأصل أجنبى فإن فكرة نقلة اللغة العربية من كل شامنة ظلت الفكرة الأساسية عند بعض العلماء المسلمين، وكذلك رفض العلماء المسلمين وظفوا يرفضون حتى الآن كل المحاولات العربية للبحث عن أصول أجنبية في لغة القرآن.

تظهر المشكلة الحقيقة في حالة الكلمات القرآنية التي تطور معنى تقني ليس له علاقة بدلاً من الجذر الذي اشتق منه أصلاً، وفي أمثال تلك الحالات يتجه المفسرون لاصطلاح علاقة بين الجذر والكلمة القرآنية، (انظر على سبيل المثال تفسير عبارة "يوم القيامة") فمعظم التفسيرات تنوفق على أن كلمة "قيامة" من الجذر ق-ي-م. ولكنه من الممكن أن تكون الكلمة السريانية qiyametes البهث هي التي مهدت لهذا التوسع الدلالي في الكلمة العربية، هناك أمثلة مشابهة لنفس التفسير في كلمات مثل "ركا" و"مسجد" و"صحف" وتسمى وتسرة كالأشكال الأساسية في القرآن كالساعة والكتاب، فتجد أن المفسرين العرب الأوائل أرجعوا كلمة "صحف" إلى الجذر صحح-ف- الذي لا يظهر إلا في صيغة الضفف التي تعني الخطأ في القراءة، وظهر الاسم المفرد المؤنث "صحيفة" في الشعر الجاهلي بمعنى صفحة مكتوبة. ولكنه من الصعب أن نرجع الاستخدام القرآني لكلمة "صحف" في سورة طه حيث يقول مز جن في الآية رقم 132 "الصحف الأول" إلى هذا الجذر، وهو ما دفع الباحثين الغربيين لإرجاع تلك الكلمة للكلمة العربية جنوبيية وهي شر أو لجنز إثيوبى يعني الكتابة.

على نفس منوال فكرة النقل اللغة كان العلماء العرب يعتقدون أن أفضل وسيلة لتوسيع المعجم العربي كانت عملية التوسع الدلالي في الكلمات الموجودة فعلاً، وظن العلماء العرب أن لغة القرآن نفسها هي التي قدمت المثل المحتمل في هذه العملية، فلما
كان النحويون العرب قد فسروا كلمات ك"حلقة ورئفة وإسلام" على أنها كلمات عربية بدوية أعطاه السياق الديني معناها الفنل الفريد، فلقد أصبحت عملية التوسع الدائمة طويلة مفتوحة لاصطلاح مصطلحات جديدة. لقد كان العلماء العرب على حق دون شك في أن جزء من المعجم الديني القرآني قام نتيجة لتطور داخلي دون أي تأثير خارجي من بين الأمثلة على صحة تلك النظرية كلمة "إسلام" التي كانت تعتبر بوجه عام "تسليم النفس"، ولكنها تخصت وأصبحت تعني "تسليم النفس لله والدخول في الدين الجديد التي أتي به النبي العربي صلى الله عليه وسلم"، وحتى عندما كان معنى كلمة قرآنية يتشارك مع كلمة في لغة أخرى، فقد تمت القرآن المنهي الجديد في اللغة العربية ككلمة أصلية فيها.

ولكن التصدي لسيلة الكلمات الجديدة التي تواجدت على العالم العربي الإسلامي في القرنون المبكرة لم يكن ممكناً بتوسيع معاني الكلمات الكائنة فقط، فبالرغم من معارضة أنصار الثقافة اللغوية تتضمن الاستعارة كلمات كثيرة ببساطة من لغات أخرى بشكل مباشر أو بتعديلات بسيطة لتؤثر الصورة العربية أو الأسماء العربية، وتوجد الكلمات الفارسية تكثر في حقول الصيادلة والمعادين والنباتات، فتوجد كلمات فأرسبية في العربية مثل "بُنَفْسِي" و"بُذْنَجَان" و"ترجَعُ" و"قَسْطُ" و"بَبَونج".

وفي الترجمات المبكرة للكتابات المنطوية والفلسفية والطبية اليونانية كانت المصطلحات المستخدمة عبارة عن مجرد نقل حرفي للكلمات اليونانية لأن الترجمين لم يجدوا معادلاً عربيًا مناسبًا، ولذلك تجد كلمات من أمثال "هيبولا" كترجمة لكلمة اليونانية "hylê"، أفضل بديل لذلك الحال كان صياغة كلمة عربية جديدة من جذر كائن فعلاً باستخدام صيغة صرفية عربية معروفة. في بداية الأمر كان كل متراجم يضيع مصطلحاته الخاصة، ولكن الاضطراب الذي تنتج عن هذا الاختلاف اندلز بإنشاء بيت الحكمة الذي كان جامعاً المتراجمين. وقد أنشأه الطبيعة المئون عام 215 المحمول الذي كان "kategoroumenon" هجراً، انظر مثلاً إلى المصطلح اليوناني "apofhansia" يترجم على أنه "مقبول" أو "محمول" أو "صفة" أو "نعت" إلى أن عم استخدام كلمة "محمول"، وكذلك ترجم العرب مصطلح "apofhansia" على أنه "حكم" أو "خبر" أو "قول جائز" أو "قول قاطع" أو "قضية" إلى أن تم تصميم استخدام "قضية".
وكلما تلك الطريقة نافعة جداً في ترجمة المصطلحات الطبية اليونانية بوجه
خاص، سأقدم هنا أمثلة قليلة لأبين استخدام تلك الطريقة في اختراق كلمات جديدة،
انظر مثلاً مصطلحات حنين بن إسحاق في موضوع أغشية العين، فستجدون يترجم
المصطلح اليوناني المسمى بـides باستخدام صفات غير مادية، فهو يترجم الكلمة
اليونانية على أنها "قرنية زجاجية"، واستخدم العلماء العرب وزن فعال
لأسماء الأمراض، فتجد "صداع" و"زكام" و"صفر" و"نوار" و"طحال".
ولكن الخطرة الضرورية التي كانت واجبة قبل استخدام القاموس بشكل خلاص
كانت تسجيله، وكان أول معجم كامل للغة العربية من تأليف الخليل بن أحمد أستاذ
سيبيوي، لقد عرفنا سابقًا أن الخليل كان مشتركًا في مشروع إصلاح الخط العربي،
وذلك يعزز إليه العلماء العرب بداية نظرة الديانة في الشعر. وكان هدف كتاب العن
الذي أعزى للخليل هو جمع كل الجذور العربية، يقدم المؤلف في مقدمة الكتاب تصويرًا
عامًا لأصوات اللغة العربية، وقد ضم المعجم كل المادة الناتجة في اللغة العربية من
خلال تقسمين اقتباسات من القرآن الكريم والعصر العربي الجاهلي - وهم مادتان
درسهما النحويون العرب دراسة مستقية.
وقد مهد تنظيم كتاب الخليل الذي يبدو أن تلازمه أكمله من بعد، الطريق أمام
الكتب المعجمية اللاحقة، فالمعجم منقسم لكتاب وكل كتاب يختص بحرف من
الحروف، بدأ الكتاب بحرف العين، وهذا هو السبب في تسمية الكتاب، وينقسم كل
كتاب بدوره لفصول، يختص كل منها بأحد تشكيلات الحروف، ويحتوي كل فصل على
كل التشكيلات الممكنة للكتاب، فتوجد في الفصل المخصص مثلاً لـغ-ز-
تشكيلات مثل "غ-ق-ق-ز" و"غ-ز"، وهذه التشكيلات هي المستخدمة في اللغة فعلاً،
وتأتي عليها متسمة "مستعملات". ربما يعكس ذلك الترتيب تصويرًا ما عن علاقة دلالية
بين كل تشكيلات حروف الجذور بالرغم من أن الخليل نفسه لم يذكر ذلك، وظل نظام
كتاب العين مستخدما لفترة طويلة من الزمن وحتى بعد أن قدم الجوهر مفيض عام
١٣٢ هجريًا) معجمه الصحاب، ونظم الجوهر الذي جنون بطريقة أثباتية، فببدأ بالحرف
الأخر ثم الحرف الأول ثم الحرف الثاني، وأصبح هذا النظام معتمدا في كتابة المعجم

86
واستخدمه ابن منظور (توفي عام 711 هـ) في معجم لسان العرب - الأشهر بين المعجم العربي.

كان التركيز في كتاب النظم على الكلمات المستخدمة في الكتابة العربية، ولكن الكتاب المعجم الأخقين حاولوا جمع كل اللغة شائعها ونادرها. وقد أدت تلك النزعة إلى تقديم كلمات ليس لها معان، أو معاني مختلفة لكلمة واحدة على أساس استخدام واحد فقط ونشأ، وكان من أهم مصادر الكلمات لذلك المعجم هو شعر الرج البرج الذي كان يتمتع بطريقة ارتقاء. ويصل الشاعر في هذا النمط الفني في معاني الكلمات وحولها الدلالية بقدر الإمكان ليُفي بغرده. وقد أثبت أولان (1966) أن الكلام الموجودة في الرج إنها هي استخدام لصيح مختلفة لنفس الجذور وليس استخدام كلمات جديدة من جذور مختلفة. علاوة على ذلك يستطيع شاعر الرج أن يغير الكلمات التي ترجع لجذر ثلاثي باستخدام سوابق أو لواحق أو مورفيمات تدخل في وسط الكلمة، على ذلك استطاع الشاعر أن يستخرج فعل ادلب، على سبيل المثال من الكلمة الكائنة فعلًا وهي "ادلب" التي تعني شديد السوء، وكذلك أمكن نكته أفعال جديدة بإضافة مورفيمات في وسط الكلمة مثل "قرن" و"رن" و"رَن" و"رن" و"رن"، فقد نمت الفعل "سلطن" بمعنى "تسمع من الفعل سطح". وكذلك تمت صياغة أسماء جديدة من كلمات قائمة باستخدام اللائحة "م" في آخر الكلمة، فنتجت كلمات مثل "بلد" "ليد"، كل ما نود توضيحه هنا هو أن المعجمين العرب أخذوا تلك الكلمات المتحولة التي ليس لها أصل من الاستخدام الواسع وضمنها في معجمهم.

بدأت دراسة النحو والمعاجم في اللغة العربية في وقت كان البدو مايزالون متواجدين ويعطيون إبداء الرأي، وليس لدينا أي شك في أن التحيين العرب والمعاجمين اعتبروا البدو فصحاء العرب. ففي القرن الرابع الهجري مدع المعجم العربي "الزبري" (توفي عام 270 هـ) فصحاء البدو إذ اختلفته قبيلة بدوية وأجبرته على الإقامة فيها فترة طويلة. وفي تلك الفترة كتب الأزهرية معجمه تذيب اللغة. وكتب في مقدمته يقول إن البدو يتكلمون بحسب سلطهم الصحراوية، يقول:

*يُكلمون بطبعهم البدوية وفرائهم التي اعتاناها ولا يكد يدخل في منطقهم*
أو خطأ فاحشٍ (هذين اللغة، الجزء الأول، تحقيق عبد السلام هارون عام 1984، ص 7)، وجمع نحوون كثيرون غير الأزهرى ملتهم من العرب البدو، كما يحكى في كتب الأدب أن الخفاف وعيلة القوم كانوا يرسلون أبنائهم إلى البادية لتعلم العربية الفصحى.

ويمرون القرون دخلت القبائل البدوية في نطاق تأثير الحضارة المدنية وتاثرت لغتها بلغة أهل الحضور. وجد أن الهذائي (توفي عام 724 هـ) في وصفه لجزيرة العرب يقيم تراثاً للقبائل العربية بسبب صمته اللغوية. فقوم إن العرب الذين يقيمون في مدينة أو بالقرب من مدينة تفسد عربيتهم ولا يمكن اللغة بها، وينطبق ذلك حتى على المقيمين في مكة أو المدينة. ويضمن النحوى ابن جني (توفي عام 717 هـ) في كتابه الخصائص فصلاً عن الأخطاء اللغوية التي يرتكبها البدو، ويقول: "أنا لا تكاد نرى بدويًا بصحباً" (الخصائص، الجزء الثاني، تحقيق الزعبي، طبعة القاهرة عام 1956 ص 56)، وفي نفس الوقت ينصح ابن جني تلاميذه أن يعتمروا معلوماتهم اللغوية مع البدو.

وحتى في العهود المبكرة لل نحو العربي تسجل المراجع أمثلة لما يبيعون خبراتهم اللغوية للشخص الذي يفضلونه. كما هي الحال في المسألة الزندبية الشهيرة، إذ كان هناك جدل بين سيبوية وأحد التحويين المنافسين له، فطرح سؤال حول التمييز التالي: "كنت أظن أن العقرب أشد نساء من الزنبرف فإذا هو إياها". فقد سيبوية الإجابة الصحيحة إذ قال "فإذا هو هذي" ولكن حكم العرب البدو الذي تلقى رشوة من النحوى النافذ، "الأنساب، الاصطفا، تحقيق ويل، ليند عام 1963 ص 76)

وكثيراً ما يشير النقاد الحديثون لقصص البدو المزمعة إلى أن النقاء اللغوي قد يكون جزءاً من نزعة عامة لتعظيم قيم حياة البادية. فتتسع بعض الناس حتى الآن يقولون إن البدو يتكلمون عربية فصحى سليمة، غالبًا ما يعني ذلك أنهم يستخدمون كلمات قد أحدثها في مناطق أخرى ولهجات أخرى، أو أن تلك الفصاحة المزمعة راجعة إلى النمط الشعرى الذي يستخدموه والذي يشبه الشعر الفصيح في بعض جوانبه.

لست هنا مهتمين بما إذا كان البدو احتفظوا في لغة كلماتهم بعلامات الإعراب في القرن الثالث الهجري، ولكنهم لنا هنا هو أن النحويين في القرن الرابع كانوا
مايزالون يجرون بدعا يثيرون بعريتهم، ومع ذلك فقد اختلفت تلك الظاهرة بعد القرن الرابع الهجري، ولكن بالنظر لقصة سيبويه والمسائلة الزنبورية، نجد أن هناك عنصر فساد في الجو، فأصبحت الصورة العامة للبدو في صورة الحرام والكذاب ذو الثقافة المتذبذبة بالمقارنة بالحضرى، وكانت النتيجة بالنسبة لل نحو العربي هي أن عملية تقسيم التحويد انتهت، فلما لم يعد هناك بدو يقدمون معلومات جديدة فقد تجمدت المادة اللغوية وأصبح البحث الميداني لا يقدم معلومات موثق بها، ومع ذلك فقد ظل هناك إشارات كثيرة لـ كلام العرب في كتب النحو، ولكن تلك الإشارات لم تعد إشارات للغة حية متصلة بـ عناها بل أحياء.

5- تطور أسلوب أدبي عربي

تزامن تطور أسلوب عربي أدبي مع تعقيد اللغة العربية، ولم يكن تطور هذا الأسلوب الأدبي لبداً من الصغر، فقد أصبح القرآن والشعر الجاهل مهما الوضوح، الأساسي ليأسمنا على الأسلوب الأدبي النشود، وقد سبب ظهور الشعر النظم في الثقافة العربية، كما هي الحال في باقي الثقافات. ظهور أسلوب نثر أدبي خاص، ولكن في حالة الثقافة العربية لم يكن نمط شعر الباردي مرضياً لكل الاحتياجات التي نشأت في الحضارة العربية الأثنياء، ولذلك ظهرت في عهد الأمويين أنماط شعرية جديدة، إذ أصبحت قصائد الغزل من العلامات المميزة لشعر المرحلة، وأصبح شعراء كعمر بن أبي ربيعة (توفي 42 هجرياً) من رومن الأشكال الشعرية الجديدة، وقد أدى ذلك بشكل حتي إلى استخدام اللغة بشكل أكثر حرية وإلى ظهور أنواع من الشعر ليست نابعة من النموذج البدوي والنص البدوي، ووجدت التعبيرات الشعبية التي تعبير عن الحضارة العربية الجديدة طريقها إلى تلك الأشكال الشعرية، وأصبحت بعض التجاوزات الصرفية والنحوية والمعجمية مقبولة في هذا الشعر كاستخدام الأشكال الفعلية المختصرة مثل "سيها" بدلاً من "سيهما" (فلك 190، 73)، ولكن كأن مسمى الرجحان أن يجرينا تحت كلمات جديدة أو صيغ جديدة أكثر من الشعراء المدعيين الذين يستخدمون البحور الشعرية العربية المعروفة، وعلاوة على ذلك كان من المستحيل
على المولدین الذين لم يروا البادية قط أن يتقنوا العربية كشعراء الجاهلیة، وبالرغم من أن النموذج البديع ظل لفترة طويلة هو المرجع الأساسي للشعر، فإن كتاب سبیلیه لم يستتن شعر المولدین، والدليل على هذا هو أن ما يزيد عن ألف شاهد شعری ضمها كتاب سبیلیه حول شعراء جاهلیاً وشعراء أمویاً حضوریاً، بل إن تجد كتاب سبیلیه يضم شواهد من شعر عمر بن أبي ربيعة ومن شعراء الرجز أيضاً.

وبمرور الوقت ظهر فرق بين نمط الشعر الرسمي الذي تمسك بالنموذج القدیم وتلذذ باستخدام الكلمات القدیمة وأحجم عن تطوير الذات للتطور المعجمي وبين نمط شعری ارجاعی أسرع وأكثر سلاسة يمتلك بالكلمات العاملیة. ورادت الوجهة بين النوعين بمرور الوقت حتى أصبح الشعر الرسمي أكثر إغراءا في التعقيد لدرجة أنه تغدر على الفهم دون شرح. فشهد شاعرا كاللثبي (توفی عام ٦٥٥ هجرياً) مثلًا ينشر شعره مصحوبًا بتعليقات وشروح، أما النوع الآخر من الشعر فقد مر بمرحلة تطور متفاوتة، ففى أكثر أشكال هذا النوع تطورًا، الوصفات والزجل استخدمت العاملة في الذهب.

وانتشر هذا النوع من الشعر في المغرب الإسلامي بشكل خاص.

وأما الشعر ذا طبيعة خاصة فإنه أقل أهمية من النثر في مسائل التفعید اللغوي (فقد قلنا سابقًا إن العربية كانت مستخدمة منذ نشأة الإمبراطوریة العربية الإسلامية في أغراض التجارة والإدارة) ولم يكن لذلك النوع من الكتابات أي تطعیات أدبية بالرغم من أن الكتابة كانوا يحاولون محاكاة الفصحي، وهو ما يدل على وجود نمط اللغوي تقعيدٍ في تلك المرحلة المبكرة، ولكن كانت هناك أشكال أخرى من الكلام لبعض منها ترجع إلى العصر الجاهلی، فقد تمتعت الثقافة العربية بسمعة عريضة في استخدام الكلام استخدامًا ببلاغًا جميلًا. فقد شغف البدو بفصاح الكلام وجلاله، كما كانت الخطابة من عادات العرب التي استمرت لصدر الإسلام، فتجد أن أقدم الخطوط المحفوظة لدينا تعكس استخدام الأساليب البلاغیة والتقالید الأدیة العربية المعروفة، من أجمل الأمثلة وآشدها على هذا النوع من الكلام خطبة الصحاب بن يوسف (توفی عام ٨٥٥ هجرياً) في مناسبة تولیة إمارة الكوفة، إذ قال: إن أمیر المؤمنین كتب كتابه ثم عجیب عیداتها فوجدت أمرها حبعاً وأصبیها عمودًا فوجئتی إیکم.
فإنكم تلما أوضعتم في الفتنة واضطعتم في مراقد الضلال وسنتم سن النفي أما اللهم أرحمنا لحور العصى ولاعسمنا عصب السامة ولاضمنك ضرب جراب البيل (الجاحظ، البيان والتبين، الجزء الثاني، ص 294).

نوع آخر من النصوص التي كان لها جذور في العصر الجاهلي هي الحكايات والقصص، من بداية التاريخ المعروف. كان القصص يلعب دورًا كبيرًا في حياة القبيلة إذ كان متوطّنًا به أن ينقل أيام القبيلة لأبنائها. واستمر هذا التقاليد بعد الإسلام بشكل معدل عندما أخذ القصاصون يتناقلون سيرة (الذي صلى الله عليه وسلم) وحكايات المغازي وفتح البلدان، وتوجه القصاصون بقصصهم للجمهور العام، ونظان أنها كانت تحتكي بأسلوب حي يلي بمحادثات اليومية وخلاص من الحليات الأدبية، ولكن الموضوعات التي تتناولها القصاصون كانت أيضًا محل اهتمام العلماء، وكان العلماء يشتركون مع القصص في كراءة كتابة مادتهم العلمية لأن القرآن وحده هو الذي كان يكتب في كتاب، ولكنهم استخدموا الكتابة لتسجيل أفكارهم وملاحظاتهم من يذكرون إليهم بمواعيد، ولكن هذا النوع من الكتابة كان لااستخدام العلماء الشخصي فقط، ولم تظهر أول محاولة لتسلسل سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وذكر الأباطرة الأولى للإسلام بشكل منتظم إلا في نهاية القرن الأول الهجري- أي عندما كان الرجال والنساء الذين رأوا الرسول صلى الله عليه وسلم) وكموه في سن الشيخوخة، وشهدت تلك الفترة نشاطًا مهيبًا للعلماء لجمع كل ما يستطيعون من الصحفا الباقين على قيد الحياة، جمع علماء كالزهراء (توفي عام 134 هجريًا) الأحاديث النبوية في كتاب كان ينتظره الخلفاء بكل شوق، وربما أودع هذا العمل الأول من نوعه في خزانة القصر.

أفضل أجناس الكتابة توقيفًا في مصدر الإسلام كان الرسائل، وأقدم أمثلة لنصوص الرسائل الموجودة موجودة في ما ذكر في بطون الكتب عن مكاسب الرسول صلى الله عليه وسلم) لشبه قبائل العرب، وأثناء فترةالفترات، وأثناء فترة الفتوحات من المفروض أنه كانت هناك طائفة كبيرة من المكتبات بين الحكومة المركزية في المدينة المنورة والقادة العسكريين في الميدان، ونعتقد أن معظم تلك الرسائل كان تجاريًا، ولكنه من المفروض أن بعض تقاليد كتابة الرسائل قد وجدت طريقها للنشر في تلك الفترة، من
الصعب جداً تحديد مقدار صحة نصوص الرسائل التي حفظها لنا المؤرخون المتاخرون وأصاليتها، ويجد بعض العلماء يشيرون إلى وثائق حقيقية معروفة كمعاهدة الرسول (صلو الله عليه وسلم) لأهل دومة الجندل، وهي المعاهدة التي يدعى الوقايده أنه رأها رأى النعمان بن أبي سفيان، وناقشها أهلية، الجزء الثالث، ولكننا نعموما لا نضمن صحة تناقل نص الوثائق المنقولة بالرغم من إمكانية أن يكون العلماء قد حفظوا فجوع تلك الوثائق بشكل كاف. ينسق نفس الحكم على نصوص مكتبات الخلفاء الراشدين ومعاهدة صفين أيضاً.

ولما كان معظم كتاب العصر الإسلامي المبكر من السوريين والفارس، أو حتى من العرب المسيحيين الذين كانوا ينظمون قبائل عربية خارج شبه الجزيرة، فقد وجدت بعض الأمثلة والتقاليد الأندية الأجنبية طريقها للسلاجقة الأندية العربي في تلك المرحلة، ولكن الإصلاحات التي أجراها الخليفة عبد الملك (حكم من 65 إلى 8 هجريا) بتعريب الديوان كانت النقطة التي ظهرت عليها مراكز جديدة لكتابة العربية للأغراض الرسمية، ولما كان الكتابة في تلك المرحلة مسؤولية عن صياغة الكتابات الرسمية والوثائق، فقد كان نورهما في تطور أسلوب كتابة في الرسائل كبيرة، وفي عهد الخليفة هشام بن عبد الملك (حكم من 105 إلى 115 هجريا) وضع العلماء أسس النظام الإداري العربي الذي أخذت العباسيون بعد ذلك وحسناً وطوروه.

ومنذ بداية عهد بنى أمية كانت رعاية الخلفاء مهمة جداً في ظل من نص مكتوب، سواء كان النص أدبياً أو إدارياً، بل إن بعض المصادر تقول إن معاوية بن أبي سفيان (حكم من 41 إلى 6 هجريا) كانت له مكتبة يزاع فيها نصوص الأحاديث الدكتورية والتي أمر هو نفسه بجمع بعضها، وقد كان لهفده خالد بن زيد بن معاوية اهتمام عظيم بالكتبيات، بل وقد يكون هو الذي بدأ أول ترجمة من اليونانية إلى العربية. وهناك إشارات كثيرة إلى طلب الخلفاء الأمويين المتاخرين لترجمات بعض الكتب من اليونانية أو السريانية إلى العربية وخاصة في مجالات الطب، ويدل هذا بشكل كاف على وجود خزانة كتب في تركيبة كل قصر خليفة، وبالرغم من أن العباسيون حاروا جاهدين طمع كل شيء حسن عن الأمويين، فإنهم من الواضح أن خلفاء بنى أمية قدموا كل الرعاية للعلماء من أمثال الزهري في مجال الحديث.

92
وقد تزايد تطوير أسلوب لغة عربية مكتوبة مع تطور مادة كاملة من النثر الأدبي، العربية المكون من ترجمات عن الفارسية مثل كتاب في السياسة العامة مفصلاً، وتضمن الكتاب تفاصيل كثيرة كان تعتبر في بعض الأحيان إلى كتاب هشام بن عبد الملك أبى العلاء سلام. وقد أتم عبد الحميد بن يحيى (الكاتب) (تونف في عام 124 هجرياً) كتاب مروان بن محمد (حكم من 127 إلى 132 هجرياً) الذي جمع بعضاً من أوجه الفن على كتب حفظ ذات بعضها مثل "رحلة إلى الكتاب". وكان أسلوب عبد الحميد الكاتب يتميز بالخلوهة والسجع في بعض الأحيان كما كان مليئاً بالصورية. ولكن أسلوب كتابته لم يكن يحتوي على غريب الكلمات والصور المعقدة التي كان الشعر يتميز بها.

ثبت أقدم نصوص المواعظ تلك التي كتبها العيسى البصري (تونف في عام 110 هجرياً) أسلوب الرسائل في توجيهها للخليفة، ولكن كتابه هذا النوع من النثر طوروا أسلوب الرسائل لحريته مادتهم المكتوبة، ولي كتب إلى صياغة ذلك النصوص الدينية في الأساس فقد اقتبس من القرآن الكريم أكثر مما فعل عبد الحميد الكاتب بكثير، انظر الحسن البصري إذ يقول: "كتب الله تعالى حياة عند كل موم والتر عن كل ظلمة وعلم عند كل جهل، فما تزدد الله للعباد بعد الكتاب والرسول (صلى الله عليه وسلم) حجة وقال عز وجل ليهلك من هلك عن بيئة وحيى من حيي عن بيئة إن الله لسمع علماً ففكر أمير المؤمنين في قول الله تعالى: فمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخير، فكل نفس بما كسبت رحيمة) (الحسن البصري، رسالة في القدر، تحقيق عمارة، بيروت عام 1987، ص 113)."}

استمرت أسرة العباسيين في تثليث تشجيع كتابة الكتب التي بدعها بنو أمية. فقد ألتفت كتاب بناء على طلب من بعض الخلفاء بفرففة تعريف الصغيرة المشجعة باتجاهات الثقافات الأخرى. وقد أعطيت أوامر تلك الكتب كتابة غالبيتهم من غير العرب، فقد قدم الكاتب الفارسي ابن المقفع (تونف عام 142 هجريًا) ترجمات أدبية من البيهوي. ومن أشهر ترجماتهم كان كتاب القصص الهندية كليإا ودمنة. كما أنه ألتف كتبًا جديدة من أمثال "كتاب الأدب الكبير" و"رسالة في الصحابة". وقد كانت معظم أعماله مكرسة لأصول أدب البلاط وأصول معاملة الحاكم والحكام.
ولكن النصوص المحفوظة من العصر الأموي تارة بعد، فإنه يصبح من الصعب تحديد النموذج الأساسي الذي انتهت إليه كتابات العصر العباسي المبكر، لقد تزامن تأثير لغة القرآن في العصر العباسي، ولكن يصعب القول بأنها كونت النموذج النثر وكتابات الفترة. فتمكن لغة ابن المفقوح بجعل غاية في التعقيد التحوي تعج بالصور والتشبيهات وأسماء الأفعال والمصادر، ولكنها مع ذلك ظلت سهلة مستشرسة كما هي الحال فيُرْسَم التالي: "واعلم أن قايل المدح كمأخذ نفسه والمرء جدير أن يكون حبه المدح هو الذي يحمله على رده، فإن الورد له محمود وقلاب له معيوب" (انظر أدب ابن المفقوح، طبعة بروت عام 1974، ص 69).

وصل تيار دعم الترجمة الذي بدأه الأمويون إلى قمةه في أيام العباسيين، وقد كانت الترجمات العربية للنصوص السريرية من المؤلفات اليونانية قبل إنشاء المثنوين، حيث الحكمة مكتوبة بأسلوب ركيز لا يتناسب مع الأصل اليوناني، في حال انظر التحليل التالي من ترجمة كتاب أبو القرط في طبيعة الإنسان: "وإذا جاء الربيع فئيني أن يزد في الشراب ويكسر بالما وتنقص من الطعام قليلاً وتختار منه غذاً وأرطب وتستعمل مكان الاستكثار من الخبز الاستكثار من السواد" (كتاب أبو القرط في طبيعة الإنسان، طبعة كمبردج عام 1978، ص 27-38).

تعتبر الإساءة بنكر العادة اليونانية في خلط النبيذ بالماء في سياق إسلامي من ضمن الإهمال العام في أسلوب ترجمة النص كلل. ولكن في كتابات شيخ الترجمين حنين بن إسحاق (توفي عام 367 هجريًا) لا يوجد أي أثر لأخطاء الترجمة تلك بنايا، فهو يرفض تماماً أساليب من سبقه من الترجمين وترجمتهم الحرفيه، ويستخدم أسلوباً بيضاً واضحًا يستفيد من الإمكانات التحوية الكبيرة للغة العربية، وهو كذلك يبتعد عن أسلوب كتابة الرسائل المتمنرة المزخرف، وربما يعكس تفضيل حنين بن إسحاق لاستخدام الجمل المركبة والمصادر الكثيرة تعقيد النص اليوناني الأصلي، انظر: "كتابه بكتابه بالسريانة تحوي فيه نحو الذي قد صدر إليه في مسألته إياي وضعه" (رسالة حنين بن إسحاق إلى علي بن يحيى في ترجم من كتب جالينوس بعلمه وبعد ما لم يترجم، تحقيق برجشتراس، طبعة ليزر عام 1965، ص 1).
لقد كانت كل من رسائل ابن المقفع وترجمات الكتب اليونانية الفلسافية والطبية والرياضية كتبًا منشورة بمعنى الكلمة، وكانت كتابًا لكل الناس وليس فقط مقصورة على استخدام البلاط، كما فيما يخص الكتابة في المسائل الفقهية والحديث والتاريخ واللغز والنمر، فقد كان الوضع مختلفًا، وكان طلب الخلفاء العباسيين من العلماء أن يكتبوا معارفهم في شكل كتب ليستفيد منها أولاء العهد الذين كانوا بحاجة لتلك الكتب في تعليمهم، فلعله كرب فعل على نشاط الأمويين السابق، فقد كان الأمويون يدعمون نشاط علماء الحديث ولكن آلة الدعابة العباسيّة حاولت أن تكسر فكرة اهتمام الأمويين بالدنيا وهمشوا اهتمامهم بجميع الحديث، وجميع علوم الدين، وكان ابن إسحاق (توفي عام 150 هـ) من أوائل علماء البلاط وكان من أول من جمع مادة التاريخ العربي الإسلامي ليستخدمها في أغراض التعليم. وطلب منه الخليفة المنصور (حكم من 131 إلى 158) أن يعرضها في البلاط، وقام بعد ذلك بإبداعها مكتبة الخليفة

كتب متكامل (انظر الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، الجزء الأول، ص 260).

وبالرغم من أن نسخ هذا الكتاب والكتب الأخرى المماثلة قد انتشرت تمامًا إلا أن نشاط ابن إسحاق كان بداية الكتابة التاريخية باللغة العربية، بل إن تلك الكتابات والأعمال حددت أساليب الكتابة التاريخية لفترة طويلة، يمكننا أن نتذكر بأن ذكر الأحداث التي وقعت في حياة النبي (صلى الله عليه وسلم) واللغة كانت مكتوبة بلغة مشابهة للغة كتابات القصص التاريخية المبكرة، وهو أساليب نثر خرج من عباءة أخبار القصص الأولئ. فقد كان التركيز على حيوية القصة، ولم يكن العلماء يستخدمون أسلوبًا ملائمًا بل استخداموا كلمات بسيطة في تراكيب واضحة، يوضح المثل التالي: أسلوب الكتابة التاريخية العربية في تلك الفترة ويوضح تقسيم النص لقسمين: الإسناد والمتن: قال ابن مالك نشأ على بن عمر بن قتادة عن آنس بن مالك، قال رأيت قبب أكيك حين قدم به إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فجعل المسلمون يليمونه بتأويلهم ويتعصبون به فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ثم أتبعوا نصه عن هذا فوالذي نفسنا به علماء سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا. (انظر سيرة ابن هشام، الجزء الرابع، طبعة القاهرة عام 1936، ص 169-170).
لم يكن تلك النصوص بطيئتها نفس النزعات الأدبية والأسلوب المبتعد الذي كان للشعر. بالطبع كان للمؤرخين المتبارين كالطبري (توفي عام 210 هـ) تزعمهم في كرامة مجرد نقل قصص المؤرخين السابقين، ونزعوا إلى ترتيبها وتصنيفها. بالمقارنة بالشعر كان مثل هذه النصوص التاريخية جزء من ثقافة كبيرة ومحدودات شكلية، وهو ما أشار بالنقاد الأدبى بعيدًا عن الاهتمام بتلك الكتابات لهم إلا في حالة تبع الأخطاء النحوية الكثيرة التي وجدت سبيلها لهذا النثر. ومن قادم بن جعفر (توفي عام 327 هـ) بين أساليب في كتابه فقد النثر، أساليب سخيف وأسلوب جزل، وحدد استخدام كل منها بعناية.

أما الأسلوب الجزل عند ابن قدامة فهو الأساليب الذي نجده في المكتبات الرسمية المكتوبة بأسلوب مزخرف ويتركز على الشكل، نجده في هذه الكتابات متواليات السجع التي أصبحت تتميز الكتابة العربية. وحتى في الكتابات غير الأدبية، تجد مقدمة يستخدم فيها هذا النوع من النثر السجع، وفي الجدل الذي قام بين النقاد حول ما إذا كان اللظ أو المعنى هو الأمر في العمل الأدبي على الرأى الذي يقول بضرورة الحكمة على العمل الأدبي من خلال لغته وشكله لأن المعنى الذي يريده الكاتب عام وحضاره للجميع في حين أن الشكل عنصر لا يستطيع أن يتعامل معه إلا الكاتب المقدر. وقد أدى هذا التوجه إلى ظهور أساليب كتابة يعتمد على الكليشيهات لأن الشكل أصبح أهم بعد في الأساليب وانزى المعنى خلفه، ووصلت تلك النزعة إلى قمتها في أساليب كتابة المقامات، فتوجد أن إبداعات كتاب من أمثال الحريري (توفي عام 516 هـ) تحتوي على قصص عبارة عن لعاب بالشكل اللغوي ليس غيره.

هناك نوع آخر من الكتابة العربية يتطابق مع الأساليب السخيف الذي تكلم عنه قادم بن جعفر، وهو أساليب كتابة المكتبات الشخصية والكتابات غير الأدبية كالمكتبات في علم الجغرافيا والتاريخ ووفيات الأعيان والسير وكتاب الفقه البسيطة حيث كتب النحو، في أمثال تلك الكتابات تجد تبنيًا للمعايير الأدبية داخل العامية واستخدام الأساليب المباشر، بل إن بعض الكتاب تناولوا واستخدموا أساليب

ثالثًا أحمل قواعد العربية الفصحي وتقترب من العامية المكتوبة في عصرهم، ولكن

96
عندما استخدم هؤلاء الكتب تراكيب أو مفردات عامة كانوا يكتبون في داخل إطار الفصحي. ومن وجهة نظر علم اللغة التاريخي تصبح نصوص مثل مذكرات أسامة بن منذر (توفي عام 84 هـ) وبيسر بن أبي أصيبعة (توفي عام 168 هـ) من بين نصوص العربية الوسيطة، ولكن هناك قارئًا كبيرًا بين هذا الجنس الأدبي الذي يحاول العلماء فيه البحث عن أسلوب يسبق ويبين الوثائق الكثيرة المكتوبة بلغة مخالفة بالرغم من أن التوسع باترغان تحت تصنيف العربية الوسيطة.

لقد كان التزامان بين أسلوب جزول وأسلوب سكح وصغر بينهما محسوسًا منذ فترة مبكرة في الثقافة العربية الإسلامية في البربريات، وقد ظهرت تلك الازدواجية اللغوية في النصوص الأندلسية ونفح الأندلسية، وسوف نرى في الفصل التالي عن كيف انتشر هذا العصر واصلته بينه من تلك الفترة المبكرة، فتجد في الأدب العربي الحديث أن المؤلف يختار الأسلوب الذي يريد التعبير به، ولكن المعتق الوحيد أمام كل التناج العربي المكتوب هو موقع الفصحي كلمة التمييز والارتقاء، فمنه كان الأسلوب الذي يستخدمه المؤلف من جزول أو سكح تبقى الفصحي معيار العمل الأساسي، وحتى لو اختار المؤلف أن يكتب الفصحي فإن يستطيع في النهاية أن يعبر عن أفكاره.

5-6 مكانت العربة كلغة رسمية

ظلت اللغة العربية طيلة العصر الفروسي للإسلام لغة رفيعة تستخدم في كل المجالات الدينية والثقافية والإدارية والعلمية. ولم يوجد لها هذا الموقع الفريد في العصور الإسلامية المبكرة، وأمن العرب أنه لا يوجد بديل لغة العربية في العالم. يفسر هذا التوجه اختفاء كل لغات الحضارة الأخرى في الإمبراطورية الإسلامية كالقبرطية واليونانية والسريانية وحتى الفارسية، وكذلك لم يبد النحويون العرب بأهتمام بدراسة أي لغة أخرى وتحليلها إلا فيما ندر. وبنفس الطريقة، لم يبدن اللغات الأخرى ما يفطران به في لغاتهم وفضلوا أن يتكلموا بالعربية ويكتبوا بها، وفي القرن الأول بعد الهجرة ظن الفرس أن لغتهم يونية بالمقارنة بالعربية، فقد رأينا أن أول من وضع وصفًا كاملاً للعربية، سبيسيو، كان متكلماً بالفارسية كلفة أم، ومع ذلك لم نجد في
الكتاب أو إشارات الفارسية، وإنظر أيضًا إلى نحو جليل آخر وهو (أبو علي)
الفارسي (توافق عام 277 هجريًا) عندما سأله تلميذه ابن جني عن لغته الأم وهي
الفارسية، وقال إنه لا يوجد معرض للمقارنة بين اللغتين لأن العربية أعلى
الخصائص، الجزء الأول، من 242)، ويمرور الوقت ظهرت حركة شعبية فارسية
تناهض العرب وتفت فيها ولكنها لم تستطع أن تتألق من مكانة اللغة العربية.

ومع ذلك، ومن بداية القرن الثامن الميلادي بدأ استخدام الفارسية كلغة أدبية
يتفاوت في شرق إيران حيث لم تضع الثقافة العربية قدمًا، فقد استخدمت الفارسية
الوسيلة كلغة شعرية في بلاط ملك شرق إيران المستقلي، وحثت الفارسية محل
اللغة العربية كلغة ثقافة في عصر الدولة السامانية في القرن العاشر الميلادي، وبعد سقوط
بغداد عام 657 هـ وأثناء الحروب الغزوات فقدت اللغة العربية مكانتها الرفيعة في
الميبراطورية الإسلامية شرق إيران إلا فيما يتعلق بمسائل الدين، أما في إيران
نفسها فقد تبنى الدولة الصفوية تحت قيادة الشاه إسماعيل الفارسية كلغة دولة
والتشيع مذهبًا.

واحتفظت العربية بمكانتها في كل المناطق الأخرى لفترة طويلة، أفضل الأمثلة
على ذلك هو مصر المملوكة، فلم يكن العرب يحترمون الأقزام بل كانوا ينظرون إليهم
كمجرد عسكري جيدين، ولذلك استخدمتهم للدفاع عن الإسلام، ولكنهم لم يكونوا
بالنسبة للعرب قوم حضارية، وكانت عربيتهم، إن تكثفوها أصاباً لاحقة، ولكن المماليك
الصغار كانوا يتعلمون العربية بجرعات كبيرة، ولذلك نتوقف أن بعضهم كان على
الأقل يفهمون العربية. وتفاوت في كتاب السير، مثل كتاب الوافي بالوفيات الصغرى،
إشارات إلى علماء مماليك شغروا أنفسهم بالبحث في مجالات علوم الدين والدروس، ولغات
الأدب العربية، وحتى عندما بدأ المماليك في القرن الرابع عشر، صدرت كتابات
بالتركية في مصر ظلت العربية هي لغة البلاد الأدبية.

وعندما فتح السلاجقة الأناضول أصبحت التركية لغة الدولة الرسمية، واحتلت
الفارسية مكان اللغة الأدبية، وحتى في تلك الظروف ظلت العربية ذات مكانة عالية أولاً
لأنها ظلت مصدرًا لاقتراض الكلمات وإثراء التركية، وبالتالي لأنها كانت لغة الدين، ومع ذلك فقد فقدت مكانتها كلغة الإدارة وهي المكانة التي احتلتها التركية. وفي نهاية القرن التاسع عشر، في فترة إحياء اللغة العربية ونضجتها، كانت هناك محاولات لإعادة العربية لغة إدارة، ولكن ظهر الاستعمار قصر من عمر تلك المحاولات، ولم تصبح العربية لغة إدارة الدولة في البلاد العربية إلا بعد استقلال تلك البلاد كوحدات سياسية منفصلة في القرن العشرين.
الفصل السادس

ظهور العربية المولد

1-1-1 وضح اللغوّى في الإمبراطورية الإسلامية

كانت مرحلة الفتحات الإسلامية التي تلت وفاة الرسول (صلى الله عليه وسلم) عام 10 هـ ناجية مباشرة بمثابة بداية التغيير الشامل في تاريخ اللغة العربية. ففي غضون قليلة جدًا انتشرت متكلمو العربية في منطقة جغرافية واسعة وفرضا على سكان البلاد المفتولحة، وبالرغم من أن متكلمي العربية كانوا موجودين في مصر وسوريا قبل الفتحات، إلا أن أتتهم لم تكن قط لغة رفيعة خارج شبه الجزيرة العربية.

وبناء على ذلك لم يكن هناك دافع عند أي غير عربي أن يتعلم العربية.

سوّف نهتم في هذا الفصل بِتتابعات الفتح العربي وعملية التعريب فيما يخص بيئة اللغة العربية، سوّف نهتم أولاً بالوضع اللغوي في البلاد المفتوحة ثم سوّف لناّقش التغييرات اللغوية التي تلت الفتح. سوّف نهتم بعد ذلك بالتقسيمات المختلفة التي قدمها العلماء لتلك التغييرات.

استطعنا أن نتعرف على تفاصيل الفتحات العربية من الأوصاف المفصلة التي قدمها لنا المؤرخون المسلمون، ولكننا لا نعرف نفس القدر من المعلومات عن التعريب.

لقد كانت جهود السلطات الإسلامية في المدينة من الناحية العسكرية في الفترات الأولى من الفتحات موجهة للسيطرة على القبائل التي تتكلم العربية، وكان هذا النشاط على مرحلتين: الأولى في شبه الجزيرة العربية في فترة حروب الردة، والثانية (مراجع اللغوية)

101
خارج الجزيرة العربية في الصحراوة العراقية والسورية حيث أقامت القبائل العربية منذ عصور قديمة خلت. ربما كانت الفكرة الأساسية وراء الفتح هي جمع القبائل التي تتكلم العربية تحت راية الإسلام، وفي ذلك السياق تكون فكرة غزو المناطق المحيطة بشبه الجزيرة فكرة لاحقة.

بصرف تحديد درجة التعبير في الأمصار الإسلامية بسبب نقص الوثائق، وفي مناطق معينة لا نملك إلا التخمين في مساحة الفترة التي تم فيها تبني العربية لغة البلاد. ولكننا نعرف أن التعرف كان عمليةً أشمل من الأسلمة بل وكان أسرع منها، ومن المحتمل أنه كانت الدخول في الإسلام مميزات مادية كالإعفاء من الجزية مثلاً. ولكن نزعة التسامح العامة التي كانت عند المسلمين تجاه المسلمين واليهود لم تخلق حافزاً عادلاً للدخول في الإسلام، وكان من نتيجة ذلك أن اللغة أصبحت عنصر توحيد في الإمبراطورية الإسلامية أكثر من الدين، وماتزال تجد حتى الآن جماعات كثيرة من المسلمين واليهود تأكل العالم العربي وتتكلم العربية كجارتهم من المسلمين.

أما بالنسبة للوضع اللغوي في الإمبراطورية الإسلامية الناشئة فقط كان واضحًا نسبيًا، ففي شبه الجزيرة العربية كانت اللغة الأجنبية الوحيدة التي صاغها العرب هي العربية الجنوبية. ولم تكن تلك اللغة مستخدمة في شكلها الكتابي بل في شكل لهجات عامة فقط. يتضح ذلك من أن تلك اللهجات العربية الجنوبية ما تزال مستخدمة في بعض الجيوب اللغوية في محافظتي ظفار في عمان والمحمرة في اليمن وفي جزيرة سومطرة حيث يتكلم تلك اللهجات عشرات الآلاف من أبناء تلك اللغة الأصلين. حدد العلماء المستنقعات منفصلة في تلك الجيوب وهي المهرى والهريسوس والبطاحي والسوطرى والجبالى والبيروت. وتستقبل كل تلك اللغات غير مفهومة تماماً لمتكلم العربية. وقد رأينا في وصف الهويي لجزيرة العرب أن يفصل بين تلك اللغات وبقية اللهجات العربية التي تأثرت باللغة العربية الجنوبية، وعبر عن ذلك الفصل قوله إن تلك اللغات أدرجت على منتقه العربية، وليس اللغات العربية الجنوبية الحديثة مستدامة بشكل مباشر من العربية الجنوبية القديمة، بل هي أشكال منفصلة مترابطة لم يرد عليها أي تأثير عربي إلا في العصر الحديث فقط.

102
كان معظم الشعب في العراق يتكلمون الآرامية التي كانت اللغة المشتركة الأسرع
انتشارا، وكانت اللغة البهلوية مستخدمة كلهة إدارة في المناطق الخاضعة للسيطرة
الساسانية، وكانت العربية لغة عدّة لا يستهان به من شعب العراق، أي القبائل البديلة
التي كانت تجوب الصحراء، وأصبحت بعض قبائل العرب في تلك المنطقة قبائل
حضرية كما هي الحال عند بني سكان، التي سكنت رباع قبيلة حلب قبل الفتح، تحولت
معظم تلك القبائل إلى المسيحية منذ فترة طويلة، وخاصة تلك المشتركة التي كونت إمارة
الحيرة، بالرغم من أن منطقة نفوذ بعض القبائل في شمال وشرق الجزيرة العربية
كانت داخل الجزيرة نفسها إلا أنها كانت متعلقة بالقبائل المقيمة في العراق اتصالا
وثيقاً.

وفي سوريا ظلت اللغة اليونانية مستخدمة كلهة كتابة للفترة من الزمن، ولكن
العربية خلقت محلها في تلك الوظيفة في نهاية القرن الأول الهجري، وظل المسيحيون
السوريون يستخدمون السريانية كلهة كلام حتى القرن الثامن الميلادي، وظلت
السريانية مستخدمة كلهة أبجية حتى القرن الرابع عشر الميلادي، ولكن هناك بعض
الجبوب اللغوية السريانية حتى الآن في قرية مطلة حيث تكلمن السكان تلوناً من
الآرامية الغربية، وفي غرب كردستان في شكل الآرامية الوسطى. واميزال حوالي
300 ألف شخص يتكلمون الآشورية أو الآرامية الشرقية في إيران وتركيا والعراق ومن
الهاجرين العراقيين في الفلوجة وسوريا، وكل من يتكلمون تلك اللغة ينتمون للمجتمع
المسيحي.

يمثل تاريخ اللغة الفارسية حالة خاصة، فقد ظلت البهلوية مستخدمة كلهة إدارية
في فارس في القرن الأول للهجرة العربي، ولكن العربية خلقت محلها بعد إصلاحات
عبد الملك بن مروان ولكن تعريب الديوان بدأ في خرسان حوالي عام ۱۲۵ هجريا
مستجرًا عن غرب إيران، وبعد ذلك ظلت البهلوية مستخدمة كلهة كتابة فقط في نواحي
المزابيين وأفسحت المجال للعربية كلهة أدب وإدارة ودين. وبحلول القرن الثالث الهجري
أصبحت العربية اللغة الثقافة والادب في عموم إيران، فترجمت معظم الأعمال الآبية
الفارسية إلى العربية، وقبل المثقفين الفرس، حتى أثناء هجومهم على العرب في حركة
الشيوعية، اللغة العربية كوسيلة طبيعية للخطاب.
مع ذلك كانت لغة الكلام في الأقاليم الإيرانية مسألة مختلفة: لقد كانت العربية لغة العرب الوافدين الذين اختاروا الحياة في المدن. وكذلك كانت لغة القبائل العربية التي نزحت إلى خراسان. ولكن بحلول القرن الثامن الميلادي تحول العرب لاستخدام العامية الدارة للشعب الإيراني الذي يعيشون وسطه، فتبناها القردية الفارسية الوسيطة التي كانت لغة البلاط الساساني، وبدأت الإسلام توسعت القردية وتحت بباقي اللهجات المحلية الأخرى. إذ أصبحت كثير من الأقاليم الإيرانية تتكلمها بدلًا من لهجاتها المحلية. سوف نرى فيما بعد أن في القرنين التاسع والعشرين استعادت الفارسية التي كانت لغة كلام فقط موقعها السابق كلهجات آداب في بلاط الممالك والإمارات المستقلة في شرق إيران.

وفي مصر، كما كانت الحال في سوريا، كانت اليونانية لغة الصفوة الهيلينية المحدودة، وإلى جانب ذلك كانت لغة الإدارة. ولكن معظم الشعب المصري كان يتكلم القبطية التي أصبحت في القرن التاسع لغة ثانية عندما تزعم الكتاب المقدس للهجة الصحابية. علامة على ذلك كانت القبطية لغة الدين للمؤمنين المجددين الذين لم يفهموا اليونانية. عندما بدأ عمر بن العاص فتح مصر بجيش عليل لا يزيد عدد رجاله على أربعة آلاف اتبع نفس سياسة التوطين التي اتبعت في العراق من قبل، وبذلك جعل من مصر القطب لل.Chrome إداره intermediate خليج القبطية مركز الإدارة الجديدة. وبسرعة ما توافد الأطفال على المدينة الجديدة وتزايد التواصل بين متكلمي القبطية ومتكلمي العربية في كل مكان. وبمجرد ما انخرأت مصر في سلك الإمبراطورية العربية الإسلامية بدأت هجرات من قبائل عربية تتوافد إليها بشكل عشائري.

في القرنين الأول والثاني من الحكم الإسلامي تبين على الآباء القبطين أن يتواصلوا مع الحكام العرب من خلال مترجمين، ولكن بحلول القرن العاشر، اختفى سوسير الآشوري صاحب سير الآباء والبطريرك من أن معظم القبط لم يعرفوا يفهمون اليونانية والقبطية، بل يتكلمون بالعربية فقط. قد يعني ذلك أن كل المسيحيين في مصر السفلي قد أتت عليهم للعربية وتركوا القبطية. ولكن الحال في صعيد مصر قد يكون مختلفًا قليلاً، إذ ظلت القبطية موجودة لفترة أطول. ولكن بحلول القرن الرابع عشر البلاد تقاس استخدامها وأصبح مقصورًا على بعض الجيوب اللغوية في الريف والكلية في الأديرة.
بالرغم من وجود بعض الإشارات لاستخدام القبطية في بعض القرى حتى القرن السادس عشر الميلادي فإن الاعتقاد العام أن استخدام اللغة في تلك الفترة كان مقصورًا على الكنيسة، كانت فترة الانزواءة اللغوية في مصر السفلى والتي دامت قرنياً أقصر من مثيلتها في سوريا وقد يكون ذلك هو السبب في التأثير الضعيف للقبطية على اللهجة العربية المصرية، فحتى عدد الكلمات المقتروحة من القبطية في العربية مصر محدود جدًا.

عملية تعريب شمال إفريقيا عملية خاصة جداً لأنها حدثت في موجتين، وكان الفارق الزمني بين الموجتين قرناً؛ أثناء الفتح العربي الأول احتلت الجيوش العربية المدن القبلية التي تركها السكان في ترحالهم في القرنين الرابع والخامس الميلادي، ولكن مركز نشر الثقافة واللغة العربيتين كان مدينة جديدة، وهي مدينة الفينيقية التي سرعان ما أصبحت أهم مدينة في شمال إفريقيا، ففي القيروان كما كانت الحال في المدن العربية الأخرى أصبحت العربية اللغة التواصلية، ذلك بالرغم من أن هناك بعض الإشارات إلى أنه في القرن الثاني عشر الميلادي كان هناك متكلمون للهجات البربرية مازالون موجودين، وظل معظم سكان الريف والقبائل البربرية يتكلمون القرطاجية حتى الفتح الثاني في القرن الحادي عشر عندما دخلت قبائل بنو سليم وبنو هلال المغرب، جاءت تلك القبائل من سوريا وشمال الجزيرة العربية في الأساس، ودخلت معهما قبيلة أخرى وهي قبيلة معقل التي تنتمي لأصل عربي جنوبي، هاجرت تلك القبائل لصار في بداية الأمر ولكن الهجراء القاطعتين رحلوها إلى المغرب، وأغلب الظن أن السبب في ذلك كان الخطر الذي مكن وجود عدد كبير من البدو في المجتمع المصري.

قدت المصادر العاصرة تلك الهجرات عند المهاجرين البدو بحوالي مليون وفروا على شعوب ينهازع الملايين السنة، ولكن ذلك الدخول القوي لم يكن حديثًا واحدًا، فقد استغرق الحدود عامين ليصلوا إلى تونس ولذلهم احتاجوا مائه عام ليدخلوا الجزائر، واحتاجوا كذلك شؤون عامًا أخرى للتوقف في المغرب. احتلت العرب أجزاء من المغرب الاقصى قبل ذلك بفترة فقد دخل بعض المهاجرين موريتانيا، حيث تابع الناس يتكلمون لهجتهم التي تسمى الحسانية حتى الآن، وقد أصبح العرب البدو عسكريًا عسكريًا مهمًا أيضاً حلاً، فلم يكونوا هم أنفسهم مهتمين بالمسائل السياسية، ولكن الجو السياسي في شمال إفريقيا بصراعاته الكثيرة مكتهم من تغيير تحالفاتهم طول الوقت.
كانت نتيجة غزو القبائل البدوية لتلك المنطقة أن قسمًا كبيرًا من الشعب البربري
في الريف تحول إلى العربية. أما اللغة البربرية فهي موجودة فقط في الجبال حيث لم
تستطع اللوحة الثانية من الفتح أن تعرق تلك المناطق، وإنما زادت هناك نسبة كبيرة من
الشعب، تتكلم البربرية كله أو كلمة واحدة، لا يوجد هناك أرقام محددة ودقيقة
ب شأن أعداد متكلمين البربرية ربما بسبب وضع اللغة والثقافة البربرية الحساس، ولكن
التقديرات العادية هي أن عدد متكلمين البربرية في المغرب يصل من 40 إلى 50 بالمائة،
وفي الجزائر يصل إلى 30 بالمائة، ويصل في تونس إلى 5 بالمائة ويصل في ليبيا إلى
5 بالمائة. أما في مصر فباللغة البربرية منتشرة مستخدمة في واحة سيناء فقط.
كان فتح شمال إفريقيا نقطة انطلاق لفتح شبه الجزيرة العربية، وبداية محاولة
لاحتراق أوروبا بعد ذلك، أصبح الوجود العربي في الأندلس من عام 711 ثابتاً وغير
منقطع حتى عام 1492 ميلاديًّا، وسرعان ما أصبحت اللغة العربية لغة الإدارة والثقافة
والدين وحتى لغة الكلام في معظم شبه الجزيرة. وفتح الأغلبية جزيرة مالطا من تونس
عام 569 هجريًّا، وسُوف تنعكس مع تاريخ العربية في تلك الجزيرة في الفصل
الثالث عشر.
وفي بدايات مراحل الفتح انتشرت اللغة العربية أساسا من الدن، سواء كنت
مدينة قائمة فعلًا مثل دمشق أو مساجد تجوب مدن كما هو الحال في عموم
الإمبراطورية العربية الإسلامية، وقد كانت تلك المعابر مكان معظم الاتصالات التي
جرت بين العرب والسكان الأصليين للبلاد المفتوحة، وسرعان ما نمت تلك المعابر
وأصبحت مدنًا كالبصرة والكوفة والفسطاط والقريان. وقامت الاتصالات بين
القافين والسكان الأصليين بشأن الضرائب والتجارة والإدارة في تلك المدن إلى نوع
من عمليات التطوير اللغوي من قبل السكان الأصليين. تذكر المصادر الجغرافية
العربية الفرق بين عربي أهل الدن وعرب الدن البيضاء كثيرًا، ولكن المصدر اللغوي
ال الوحيد الذي بين أديانهم في كلام العرب مع غير العرب هو القصص الكثيرة الموجودة
في الكتب عن لغة الموانئ، السيناريو الأساسي لاختلاف تلك القصص هو أن أحد المراحل
يصل على الخليفة فيحاول أن يتكلم باللغة العربية سليمة، ولكنه يفشل، وهذه القصص لا توثق

106
عامية الموالي الحقيقية، ولكنها توثق محاولتهم استخدام العربية الفصحى في بعض المواقف، بل إن تلك القصص تدل على أن العربية الفصحى بصرفها الإعرابي كانت متأملة متاحة في بدايات الفتح كنموذج لغوى يتبوع. فالخطا في علامة الإعراب يتأتي عندما يحاول فرد أن يقدد النظام اللغوي الذي يحتوي على تلك العلامات.

وعلى طول تاريخ البيات النحوية العربية كتب رسالة كثيرة في لحن العامة، بالرغم من أن فكرة يمكن أن نصل إليها من مصطلح "لحن العامة" فهي ليست رسالة معنية بالعاميات الدارجة على حدة ذاتها، بل إن غرض تلك الدراسات الأساسى هو الحفاظ على نقاء العربية الفصحى، بينما يمكن أن يكون سبب بعض تلك الأخطاء هو تدخل الععاميات، إلا أن من الخطأ أن نهزم أنتان تستطيع أن نعيد بناء عاميات تلك الفترة بناءً على المادة الموجودة في تلك الرسائل، سأقدم فيما يلي بعض الأمثلة المنحوتة من أحد كتب لحن العامة الأندلسية المكتوبة في القرن السادس الهجري، يشير ابن هشام النحاس (توفي عام 777 هـ) في كتابه "مدخل إلى تقويم اللسان وتعليم البيان" إلى عدد كبير من الأخطاء التي يرتكيها العامة، ويبدأها بقوله: "يقولون…… ثم يعطي الشكل الصحيح بقوله: "والصواب…… من بين الأخطاء في نطق الأصوات ذكره "مدعدع" بدلاً من "متضرع" ومن بين أخطاء الأفعال "أرسي" بدلاً من "رسا". قد تكون العامية الدارجة وراء بعض تلك الأخطاء ولكن الاهتمام الأساسي في تلك الرسالة هو الأخلاط التي يرتكيها المرأة في الكتابة، لذلك نجده يذكر من بين الأخطاء كتابة "نحو" بالباء المرتبطة بدلاً من "حولي" بالباء المقصورة. قد تعلمنا تلك الأخطاء بعض الشيء عن العامة التي كانت دارجة ساعتها وتدخلها السبل في استخدام الفصحى، ولكنها في مجموعها لا تقدم صورة كاملة عن بنية عامية الزمن الذي كتبته في الرسالة.

تعتبر نصوص العربية الوسيطة مصدرًا آخر مهماً جداً لإعادة تركيب عامية العصور الإسلامية المبكرة، وتنقسم تلك النصوص إلى البرديات كشقر أول والنصوص الأدبية التي تحتوي على أخطاء حيوية عن قواعد الفصحى الكلاسيكية كشقر ثان، يمكن تحليل بعض الأخطاء الموجودة في العربية الوسيطة بتفحص اللهجات الدارجة.
ساعة الكتابة، ولكن بما أن الكتابة كانت دائمًا مجالًا من مجالات الفصحي فمن الصعب أن تمدنا العربية الوسيطة بتطور تاريخي للهياجات الدارجة، الذي توثقه تلك النقوص هو تغيير قواعد العربية الفصحي.

وأحد من أبرز التغييرات في تلك النقوص هو استخدام الضعائر الشخصية العامة في كتابات المغرب العربي، بينما يوجد ضمير المتكلم الفرد المضارع أن أنه نقل بكثره في تلك النقوص فإن استخدام التوه في ضمير المتكلم الجمع مثل "نقولو نادر جدا في العربية الوسيطة، يمكن أن نفترض أن تفادى استخدام شكل الجمع من ضمير المتكلم يرجع إلى أنه لا يمكن ظهور مثل هذا الشكل في الكتابة، بينما يعتبر شكل الفرد من هذا الضمير العامي سكينا في الفصحي ولذلك يجوز استخدامه في الكتابة، إلا أن هناك بعضًا من ضمير المتكلم الجمع في النقوص المتأخرة، لا يعني ذلك أن هذا الشكل من الضمير قد تم إدخاله على العربية المغربية حديثًا بل يعني ببساطة أن قواعد اللغة المكتوبة قد تغيرت، وأن الشكل الحادث لم يعد مرفيضًا بنفس الدرجة القديمة.

1- النحو الجديد من العربية

مصدرنا الأساسي لإعادة بناء العملية التاريخية لظهور العاميات العربية هو اللهجات العربية الحديثة، سوف نستخدم هنا مصطلح "العربية الوغدة" للتعبير عن اللهجات الدارجة التي كانت موجودة أيام الفتح الأولي والتي تطورت إلى اللهجات العربية الحديثة، وهي في ذلك تتقابل مع "العربية القديمة" أي العربية التي كانت مستخدمة أيام الجاهلية، ورأينا سابقًا أن العلماء اختلفوا بشأن الوضع اللغوي في الجاهلية، ولذلك فإننا نعتن بمصطلح "العربية القديمة" لغة الفرسان والشعر الجاهلي وأي لغة من اللغات أنها كانت قائمة قبل الإسلام، على أي حال، نعتن بالعربية القديمة تلك اللغة التي تطورت فأصبحت اللغة الرفيعة الفصحي في الإمبراطورية العربية الإسلامية، وفي مرحلة ما بعد الفتح تجاوزت العربية الوغدة والعربية الفصحي القديمة في علاقة اجتماعية لغوية تسمى بالابتدائية اللغوية.
ومهما كانت أراهنآ بشأن الوضع اللغوي في الجاهلية فما زلت بحاجة إلى تفسير
لظهور العربية الولادة، فحتى لو كانت بعض سمات العربية الولادة موجودة في عربية
العصر الجاهلي كاحتمال غياب علاج الإعراب في اللهجات الحبورية فإن أحيانًا لا يزعم
أن كل سمات اللهجات العربية الحديثة يمكن ردها إلى عربية العصر الجاهلي، على
ذلك فإن كل نظرية تأخذ على عاتقها تفسير ظهور اللهجات الحديثة عليها أن تفسر
التفاوتات التي حدثت بعد الفتوحات، والتي تفصل العربية الولادة عن العربية القديمة.
وكل نفس الوقت لا يجب على تلك النظرية فقط أن تثير السمات المشتركة بين اللهجات
في مقابل الفصحى الكلاسيكية، بل يجب عليها أيضًا أن تقدم تفسيرًا للأختلافات
الكثير بين اللهجات نفسها. في الجاهلية كان من السهل تسبيًا على العرب من مختلف
القبائل أن يفهموا بعضهم البعض، أما في الوقت الحاضر فيصبح على العراقي
المغربي إذا تكلم لهجتهما ما يفهمها بعضهما البعض، ومن الممكن أن تقول إن
الفرق بين اللهجات العربية أكبر في تساوي الفروق بين اللغات الجرمانية والرومانية
إلى وقتها.

قبل الدخول في النظريات التي ظهرت لتفسير الوضع اللغوي الحالي للغة العربية
سوف نقدم السمات المشتركة التي تجمع اللهجات في مقابل الفصحى، لا تعكس كل
لهجة تلك السمات كلها ولكنها في مجموعها تعتبر قاسمًا مشتركًا بين اللهجات
المقدمة، في العموم تعتبر التجديدات مشتركة بشكل واسع في اللهجات الحضرية بينما
تنزع اللهجات البدوية لأن تكون أكثر محافظة، استخدمنا هنا أمثلة كثيرة من اللهجة
الحضرية السورية، تظهر عددًا من التغييرات في النظام الصوتى في اللهجات العربية:
- صوت الهجزة الذي لم يكن موجودًا في اللهجات الجاهلية الغربية اختفى تمامًا
من كل اللهجات الحديثة، انظر مثلاً الكلمة الفصحى "رأس" التي تحولت في السورية
إلى "رأس
- تحوال الأصوات الاحتكاكية الأسفلية إلى أصوات انفجارية في اللهجات
الحضرية، فتحول صوت التاء في الكلمة الفصحى "ثلاث" إلى التاء في "ثلاثة" العربية،
وطلت الأصوات الفصيحية موجودة عاملة في اللهجات البدوية.
* اندمج صوتي الضاد والظاء في القصحي في صوت الضاد في اللهجات الحضرية الحديثة. انظر كلمة ظهر القصحي التي تحولت إلى ضهر في السورية.

* وبقي فونيم الظاء في اللهجات البدوية عاملاً على نحو كامل.

* أعظم اللهجات الحديثة أصوات النين القصيرة في آخر الكلمات، وقصرت الأصوات اللينة الطويلة، انظر كتب التي تحولت إلى كتب وكتبوا التي تحولت إلى كتب في السورية.

* أصبح النين في اللهجات العربية انفجارياً بشكل أكبر كما يشهد على ذلك حذف أصوات اللين القصيرة من المقاطع المفتوحة، انظر كلمة "كاتبة" القصيرة التي تحولت إلى "كاتبة" في السورية، وفي لهجات شمال أفريقيا لم يبق إلا أصوات النين القصيرة النثيرة.

* انتهى في الكثير من اللهجات الحضرية التقليد بين صوتين أُو أُو واصبح صوتًا واحدًا. انظر الكلمة السورية "قصة" assa، ونواة المَر السورية التي هي في الفصحى murr، وكلمة "قصة" في الفصحى qissa.

* كنتيجة جزءية للتغيرات الصوتية حدثت اختلافات صرفية بين اللهجات الحديثة والفصحي الكلاسيكي:

* استخدام الكسر بدلاً من الفتح في سابقة الفعل المضارع، وهو تغيير حديث بالفعل في الجاهلية وخاصة في اللهجات الغربية.

* استخدام صيغة "فعل" بدلاً من "فعل" في جميع الصفات انظر صفة "كبار".

* النصيحة التي تحولت في السورية إلى "كبار".

* غياب صوت الهاء ضمير الوصل للغائب المنكر بعد الصوتيات.

* استخدام صيغة "فملا" بدلاً من صيغة "فملا" في الجموع الرباعية.

* استخدام صوت اللين - في النسبة بدلاً من - نين.

* ويعتبر تخفيض التصنيفات الصرفية بشكل كبير من أهم سمات النظام الصرف في اللهجات العربية الحديثة.
فقدت اللهجات الحضرية الفصل في الجنس بين المذكور والمؤنث في المتكلم والغالب في الأفعال والضمائر، بينما احتفظت اللهجات البدوية بهذا الفرق.

اختفاء تصنيف المثنى في الضمائر والأفعال، وفي الأسماء، احتفظت أسماء أعضاء الجسم المزوجة بالحالة المثنى التاريخية التي استخدمت بعد ذلك كلاحقة جمع للك诎 الناس، وطورت معظم اللهجات لاحقة مثنى جديدة لا تعبر إلا عن المثنى، وتستخدم مع تصنيفات أسماء كثيرة.

اختفاء الجهول العربي المصاغ بصورة فعل有一定 وحل محله في اللهجات الفعل، أو الفعل، انظر "النصر" السورية، وانظر "النصر" المغربية في مقابل "النصر" الفصيحية، والقواعد بعض اللهجات البدوية تستخدم الجهول الفصيح حتى الآن.

اختفاء صيغة فعل من اللهجات الحضرية، ووجودها في بعض اللهجات البدوية الحديثة.

اختفت صيغة فعل من صيغ الفعل الماضي الثلاثة، واندمجت أفعال تلك الصيغة في صيغة قعل.

اندمجت نهایات المؤنث الثلاثة في الفصيح في نهاية واحدة في اللهجات الحضرية وفي 

فقد الاسم الموصل (الذي، التي، اللذين، اللاتي) تصرفه في اللهجات الحديثة.

هذا وقد حذفت من اللهجات العربية الأشكال والصيغ الشاذة في الفصيح الكلاسيكي كان هناك تصنيف الفعل المعطل الذي ينتهي بواو والمعطل الذي ينتهي بباء، وكان الفصل بينهما واضحًا، أما في اللهجات العربية الحديثة فقد اندمج التصنيفات في المعلَّل بباء في آخره، لذلك تجد في اللهجة السورية "ليت" و"شيكت" و"يتسيت" و"تسيت" في الفصيح و"شيكت" و"تسيت" في اللهجات العربية الأفعال المضفعة مثل "رب" في الفصيح وتعاملاً معها كما تتعامل مع الأفعال معتلة الآخر بباء، لذلك تجد في السورية شكل الفعل كما يلي: "رديت" في المتكلم المفرد.
قطعت اللهجات العربية منفردة شوطًا طويلًا في توحيد نهایات الأفعال المعطئة والسائدة، وفي بعض اللهجات حللت نهایات الأفعال الصحيحة محل نهایات الأفعال المعطئة، فتجد في السيرة تملأ بين "زهو. وكتب" في مقابل الفصيح التي تفرق بين "زهو. وكتب". وفي لهجة أخرى كلهجة مشابهة ببغداد حللت نهایات الفعل المعطى محل بعض نهایات الفعل الصحيح، وفي لهجة يهود بغداد تعبس تلك الظاهرة في نهایات الفعل المضارع، أما في لهجة شيعة البحرین فقد أخذ التكلم المفرد في كل تصنيفات الفعل الماضي نهاية الفعل المعطى فتجد "كتبت وكتب".

تطورت اللهجات العربية الحديثة باتجاه نمط لغوي تحليلي وخاصة في بعض التراكيب النحوية، وفي هذا النمط يتم التعبير عن الوظائف النحوية باستخدام كلمات منفصلة بدلاً من مورفيمات متصلة بالكلمات، حيث ذلك في حالة اللهجات العربية وتم بعد ذلك تقسيم تلك الكلمات إلى مورفيمات نحوية في حد ذاتها، عندما اختفت علامات الإعراب عن اللهجات حل تركيب إضافة تحليل محل تركيب الإضافة العربي الكلاسيكي القديم. وفي هذا التركيب تحل أداة إضافة تحليلاً محل علامة الأعراب القديمة، أما في النظام الفعلي في اللهجات فقد اختفى الفعل بين صيغ المضارع الثلاثة، فقد استولى الفعل المضارع الحالي من أواحق الصيغ على معظم وظائف الصيغ في اللهجات العربية، هذا وقد طورت بعض اللهجات العربية مجموعة من الأنواع الجديدة للتعبير عن الزمن النحوي والوجه على الفعل.

تغير بناء الجملة العربية بشكل جذري في اللهجات الحديثة: فقد اختفى الفصل بين الجملة الإسمية التي تبدأ بـ"ب" والفعلي التي تليها فعل، وبدون أن تتم ترتيب الكلمات الأساسي أصبح الجملة الإسمية ولكن الجملة التي تبدأ بـ"ب" تظهر في بعض اللهجات لم تزل، وحتى في تلك الجمل التي يسبق فيها الفعل تكون هناك مطابقة كاملة في العدد بين الفعل والفاعل، ويعتبر ذلك أن تلك المركبات ليست مجرد ترجمة من الفصيح بل هي مركبات أصلية في اللهجات.

في الفصيح الكلاسيكي كان ضمير الفعل بعد حرف الجر حراً في الجملة، فتجد كلًا من "أريد أن أكتب لكم رسالة" وأريد أن أكتب رسالة لكم"، أما في اللهجات
الحديثة فهى الضمير مربوط بالفعل، وتختلف اللهجات بعضها مع بعضها الآخر في درجة حرية وجودة أمثال تلك الضمائر بعد الأفعال، فبعض اللهجات تحدد من هذه الحرية بينما تسمح لهجات أخرى بحرية أكبر في إضافة ضمائر المفعل بعد الفعل.

انظر هذا المثل اللغوي المعقد الذي تشارك فيه ضمائر مع إداة النفقي أما-ش: 

ما جدناتي فكش
وانظر المثل المصري التالي:
ما يتجيه بالناش

في التعبير عن صيغ الإرادة والتوجب وما شابه ذلك تستخدم الفصحي الكلاسيكية تركيبًا من فعلين مضارعين غير معلمين، تحكم أن الفعل الثاني فيهما وهو الفعل المنصوب، كما في المثل التالي: "يريد أن يقتني" استباثات اللهجات الحديثة هذا التركيب بتركيب آخر مكون من فعلين مضارعين غير معلمين، انظر مثلاً "يده يقتني" بالسورية. انظر المثل المصري: "لازم تعلي ده".

هناك مجموعة من الفردات موجودة في كل لهجة عربية حديثة تقريباً مثل: "جاب" و"شاف" و"راح" و"سوى"، كانت بعض تلك الكلمات مستخدمة في الفصحي الكلاسيكية بطريقة أقل عمومية، وأصابها في اللهجات توسيع دلالي، فقد كان "شاف" مثلاً مستخدماً بمعنى المراقبة من أعلاه، وكذلك كان فعل "راح" يعني الذنوب بالليل. ومن خصائص اللهجات المعجمية أيضًا أدوات الاستفهام فهي كلها تحتوي على جزء من الكلمة الفصيحية "أي؟" انظر "إيه" في اللهجة المصرية، او "ش" في المرجية، او "يش" في السورية.

1-3 نظريات ظهور العربية الوصلة

الرأي السائد حول الوضع اللغوي في الجاهلية هو أن التحول من العربية القديمة للعربية الوصلة حدث فلا في الجاهلية في شكل العاميات التي كانت قبائل العرب تتكلمها، ولكن المصادر العربية تنظر إلى تطور اللغة من منظور مختلف تمامًا، يقول النحويون العرب إنه لما كانت القبائل تعيش في الجزيرة كانت لها واحدة مع وجود
اختلافات بسيطة، ولكن عندما اتصل العرب بشعوب لا تتكلم العربية بعد الفتح فقد
نقولا لغتهم تلك الشعوب التي تحققها بكثير من الأخطاء. وفسدت اللغة بناء على ذلك،
فتدخل النحوين العرب لما ظهر خطر استيعاب القرآن الكريم على الفهم، يخص لنا
ابن خلدون (توفي عام 75 هجريًا) تلك النظرية كما يلي: "فلا جاه الإسلام وفارقو
المغاز وتخاذوا العجم تغيرت تلك الملكة بما ألقى إليها السمع من المستعرين وسمع
أبو الملكات السامية وفسدت بما ألقى إليها، ومسحت أهل العلوم منهم أن تفسد تلك
الملكة رأسًا ويطول العهد بها فينغلق القرآن والحديث على المفهوم فاستبطنوا من
مجري كلمتهم قوانين تلك الملكة مضطربة يقينون عليها سائر أنواع الكلام" (انظر
مقدمة ابن خلدون، طبعة بيروت ص 145).

ينبى هذا الاقتباس أن العرب تصويروا أن التغييرات التي حدثت في لغتهم وظهور
العِمَميات كانت مرتبطة بالوضع التعددي في العالم الإسلامي وظهور العربية كلغة
مشتركة.

وقد حاول بعض الباحثين أن يبرروا وجود سمات مشتركة كثيرة بين اللهجات في
 مقابل الفصحى الكلاسيكية باستخدام نظرية أصل واحد تقول بأن كل اللهجات الحديثة
قد خرجت من أصل واحد في مرحلة تاريخية معينة. يقول فرجمسون (1969) على
 سبيل المثال إن الأصل اللغوي الواحد للهجات العربية كان في المعسكرات التي أقامها
جيش الفتح في العراق حيث اختلف متكلمو مختلف اللهجات العربية، وقد أدى ذلك
الاختلاف بين الهجات إلى ظهور مزيج لغوي مشترك تطورت منه السمات المشتركة بين
الهجات الحديثة، بني فرجمسون نظرية على قائمة مكونة من 41 سمة لغوية زعم أنها
لا يمكن أن تكون قد خرجت من عملية تطور مستقلة في حالة كل لهجة على حدة، بل
لا بد أن تكون قد ظهرت من أصل واحد، من بين تلك السمات مثلا استخدام مفرداتي
"شاف" وأُجاب، واختفاء المثنى من الفعل والضمائر، واندماج الأفعال التي أخربها
واويا، و"

إذن ظهرت نظرية الأصل المشترك التي عرضها فرجمسون من أجل تبرير السمات
المشتركة بين اللهجات العربية الحديثة، وتفسر تلك النظرية الاختلافات بين اللهجات

114
على أنها نتجت من عمليات تشعب لاحقة ربما تكون قد نتجت عن تأثير اللغات الأصلية في المناطق التي دخلت العربية عليها. وقد اعتبر نقاد تلك النظرية بقولهم إن السمات المشتركة في اللهجات قد تكون ناتجة عن نزعة لغوية عامة أو عن عملية توحيد متأخرة جمعت شتات المناطق اللهجات المختلفة. يشير أصحاب نظرية النزعة اللغوية العامة إلى أن اللغات التي ليست لها علاقة بالعربية قد فقدت المثل، وذلك يصبح من الممكن جداً أن نتصور أن اللهجات العربية فقدت هذا التصنيف بشكل مفردي مستقل، ومتنازلة نظرية النزعة اللغوية العامة هي أنها لا تحتوي على قوة إقعاً وشرح كبيرة لأن حقيقة أن نفس الظاهرة تحدث في لغات مختلفة لا تفسر سبب الظاهرة.

يركز نقاد آخرون لنظرية الأصل المشترك على دور عمليات التوحيد المتأخرة في تطور اللغة العربية. يقول كوهين (١٩٧٠) إن الجيوش العربية كانت تتكون من خليط من قبائل مختلفة، لذلك تمت تسوية الاختلافات اللغوية بين اللهجات الجاهلية في تلك المعرك، وقد تطورت اللهجات الحضرية في البلاد المفتوحة من عمليات تخوم وارتقاء مستقلة ومختلفة. وفي مرحلة لاحقة بدأت عملية التجميع من خلال تأثير الفصول الكلاسيكية الكبير وانتقال التقدمات اللغوية من مركز حضاري آخر في شكل موجات، وأخذ المتكتمون تلك التقدمات وثبوتها لأنها من وآلات اللغة الرفيعة.

نتذكر نظرية التجميع إلى نشأة اللهجات العربية على أنها ناتجة من أصول مختلطة، فبحسب هذه الفكرة فقد تطورت كل لهجة عامة في كل إقليم بشكل مستقل، ولكنها تشابه بعد ذلك بسبب الاتصالات. بينما يمكن دون شك اعتبار بعض التشابهات داخل الإقليم الواحد ناتجة عن عملية تجميع نشأت من انتشار تقدمات لغوية من مركز حضاري معين. إلا أن هذه النظرية يصعب أن تفسر التشابهات بين الأقاليم البعيدة بعضها عن بعضها الآخر في العالم العربي، إذ لم تكن تلك الأقاليم متصلة بعضها بعضها الآخر.

مهما كان الأمر فهناك اختلافات كثيرة بين اللهجات، ينظر أصحاب نظرية التطور المستقل لهذه الاختلافات على أنها نتيجة طبيعية لنمو العمليات بشكل مفردي، ولقد كان المدخل اللغوي في كافة الأقاليم خارج الجزيرة العربية مدخلاً واحدًا، إلا وهو اللغة
العربية التي كانت الجيوش العربية تتكلمونها، ولكن الظروف الداخلية في كل إقليم كانت مختلفة بسبب وجود لغات أخرى، وعندما اتصل متكلمون تلك اللغات بمتكلم اللغة العربية بدواء يتلامون اللغة العربية بطرقهم الخاصة التي حرصوا على إنقاذ اللغة الأم التي عادة ما تحدث في كل عملية تعلم لغة ثانية. وتطورت هذه التدخلات بمرور الوقت إلى سمات محلية تأصلت حتى بعد أن انتقل متكلمون تلك اللغات إلى العربية كلغة أخرى.

في حالة اللغات البربرية فإن لغة السكان الأصليين التي ترى المزوم أنها سببت الاختلافات بين العربية المغربية واللغات العربية الأخرى والفصيح في أن مازال مستخدمة وردية، فإننا نتكلم هنا عن تأثير للغة معاصرة للغربية تثيرها على استخدام اللهجات العربية عند مزويجي اللغة وأحاديث اللغة متوسطة وحديث، لذلك تجد مركياس يتذاع بعض السمات التي يطلق أنها من أثر اللهجات البربرية في الجزائر، يتجلى التأثير البربري في وجود أكثر من 150 كلمة عربية من أصل جزائري تبدأ كلها بسوبة الم كلمة `من` مثل كلمة `خليج`، وقد تتوعد استخدم هذه السابقة في الكلمات عربية الأصل، فنجر مثل كلمة `بصیر` التي هي بالعربية `صدیر` وفي حالات كثيرة يمكن حذف هذه السابقة، لذلك تجد الكلمتين `صدیر` و`بصیر` موجودتين معًا في أن واحد، أصل تلك السابقة البربرية مجهول وغير واضح، ولكن متكلمي البربرية الحديثين ينظرون إليها على أنها أداة تعريف، فلا تجدها مجتمعًا مع أداء التعريف العربية في كلمة واحدة، يشير مركياس أيضًا إلى القليل من الظواهر التي فيها تأثير بريبي، فتجد بعض الكلمات العربية يختلف جنسها عن الجنس العربي بحسب جنسها في البربرية، ككلمة `جم` في العربية، تلك اللهجات الجزائرية مؤثرة مثل الكلمة البربرية `مام`، وكلمة `ام` في تلك اللهجات العربية كلمة مجمعة مثل معادلاتها الجزائرية، وفي تركيب الإضافة التي تحتوي على أسماء قراءة يحمل الاسم الأول ضميرا `man` متصلة، انظر `خوتو دا محمد` التي تعني `أخت محمد`.

الصلة بالبربرية واضحة من الأمثلة التي سبقناها من تلك اللهجة الجزائرية، ذلك لأن معظم متكلمين تلك اللهجة العربية يتكلمون الببرية أيضًا وأن تلك الظواهر لا تظهر في أي لهجات عربية أخرى، ولكن في حالات كثيرة في العالم العربي اختلفت اللغة

116
الأصلية لسكان المناطق بالكلية، كما هي الحال بالنسبة للسريانية والقبطية، وعندما نددع تأثيراً لتلك اللغات البائدة في تطور العربية فإننا نتكلم عن تأثير لغة تحتية أصلية في إشباعها من تأثير لغة حية مزمنة كالبربرية، فاللغة العربية التي تظهر في منطقة معينة ويمكن من حيث المبدأ أن نعزوها لتأثير اللغة العربية التي كانت متدلية في هذا الإقليم قبل العربية، أحيانًا ما تظهر في منطقة أخرى لم تكن نفس اللغة تحتية متدلية فيها. على سبيل المثال، اختفت من اللهجات العربية المصرية الأصوات الآسانية، وقد عزى بعض العلماء ذلك إلى تأثير قبطي، ولكن اختفاء الأصوات الآسانية ظاهرة موجودة في معظم اللهجات الحضرية العربية في أماكن لم تكن القبطنية متدلية فيها، وعلى ذلك فلا يمكن أن نعزو اختفاء الأصوات الآسانية إلى تأثير اللغة العربية بل يجب أن نذكر في تلك الظاهرة أنها نتاج لعمليات أوسع في إطار تعلم اللغة الثانية، وهي العملية التي تحتوي بمقتضاه اختفاء ظواهر غير الاعتيادية لصالح ظواهر اعتيادية.

نتوقع أن كانت هناك حالة من التعدد اللغوي بين الآرامية والعربية في المنطقة السورية مشابهة للكلاية الموجودة حالياً في شمال أفريقيا، بل ومتزلف تلك الحالة قائمة في منطقة جبال قلمون شمالي دمشق حيث مازال ثلاثة قرى بجوار معلمة تتكلم الآرامية الجديدة الغربية، في شكل جيوب لغوية محدودة، وتجد أن اللهجات العربية المستخدمة في القرى المحيطة بتلك الجيوب اللغوية تعكس تأثيرات آرامية. يقول أرنولد وبينيشتيد (1992) إن مناطق السمات الآرامية في تلك اللهجات تتزايد عندما نقترب من المنطقة التي مازلت الآرامية مستخدمة فيها. يخلص الباحثان إلى أن الآرامية ربما كانت لغة الحديث في الإقلیم كله حتى القرن الرابع عشر وبعد ذلك أجريت بشكل تدريجي على التراجع لمنطقتها الحالية. قد تساعدنا بعض ظواهر اللغة في عربية تلك المنطقة في استنفاذ أمر التأثير الآرامي المحتمل في لغة سوريا بوجه عام، بين أرنولد وبينيشتيد مثلًا أن ضمير الغائب لجميع المذكرين في تلك اللهجات "ضمي" والضمير "هنن" المتصل "هنن" قد يكون ظهر في بيئة متعددة اللغات كان ضمير الغائب الآرامي منتشرًا فيها.
من بين ظواهر اللهجة السورية الأخرى التي يعزوها العلماء إلى التأثير الأرامي المحتمل حذف أصوات اللين القصيرة أياً أو أياً، والنقاط المهمة لصوت القاف وغياب الأصوات التي تصدر من بين الأسنان، ولكن ظهور نفس تلك الظواهر في مناطق أخرى كثيرة من العالم العربي يبرز الحاجة إلى تقسيمات أخرى، ولكن ذلك لا يعني أن فكرة تأثير اللهجة التحتية مسألة غير ذات موضوع، فطبيعة الحال عندما يكون منكم لغة ما تحتوي على أصوات تخرج من بين الأسنان يتعلمون العربية، فليس لديهم حاجة للتخلي عن تلك الأصوات لصالح الأصوات الأسكانية، ولكن المسألة تختلف في حالة متكلمي لغات كثاسريانية والقبطية التي لم تكن تمتلك أصوات تخرج من بين الأسنان، ففي تلك الحالة لا يوجد هم في لغتهم الأسكانية يعيق اتباعهم للنزعات العامة في تبسيط نطق الأصوات التي تخرج من بين الأسنان، ولذلك يمكننا أن نقول إن بنية القبطية والأرامية ساعدت على تطورات كانت سارية في العربية أصلاً.

يمكننا أن نقول على وجه العمق إن فكرة تأثير اللهجة التحتية قد استخدمت كثيرًا في حالات اللهجات العربية دون أن تكون مباشرة، وقد تابع ديم في مقال كتبه عام 1979 كل حالات ادعاء تأثير اللهجة التحتية على اللهجات العربية، وقال إنه يسهم بمثل هذا التفسير بشرطين: الشرط الأول هو وجود ظاهرة لغوية معينة في اللهجة العربية الحديثة وفي اللهجة التحتية التي كانت مستخدمة قبل العربية في ذلك الإقليم، والشرط الثاني هو غياب تلك الظاهرة من أي إقليم آخر. وخلص ديم إلى أنه في معظم حالات ادعاء تأثير اللهجة التحتية على اللهجة العربية ما يمكن العثور على ظاهرة مباشرة في لهجات أخرى لم تكن اللهجة التحتية مستخدمة فيها قط، ولكن فضيحة تلك النظرية كبيرة في اللهجة العربية، ووافق ديم على وجود بعض الحالات القليلة لتأثير اللهجة التحتية على اللهجة العربية، وذكر عندما يتوافق فيها تركيب العربية مع تركيب اللهجة التحتية الأصلية كما هي الحال في حذف صوت الفتحة القصيرة في المقاطع المفتوحة في لهجات شمال لبنان، وقد يكون السبب في ذلك الحذف هو بنية فونيما اللهجية الأرامية المستخدمة في تلك المنطقة، وفي حالة تأثير البربرية على اللهجة شمال أفريقيا يذكر ديم بعض الظواهر مثل جعل صوت الناء احتكاكياً مع سمعه الالتفاحية الأساسية، ولكن يعود لثقل إنه من الصعب إبراز ما إذا كان هذا مثالًا على تأثير اللهجة التحتية أو تداخل لغة موجودة بسبب حالة التعدد اللغوي الطويلة التي يعيشها ذلك الإقليم.
من بين الظواهر المهمة تلك السمات الموجودة في عربية اليمن والتي يعزوها الباحثون تأثير اللغة العربية الجنوبية التحتية، يسهل وجود العربية الجنوبية الحديثة في تلك المنطقة تحديد تأثير اللغة التحتية إن يوجد، ومن بين الظواهر التي ذكرها يم
لهذا التأثير استخدام ساقيَة ١ وصيغة الجمع "فَعَّول"، وفي بعض لهجات اليمن هناك لاحقة -٢ في آخر الفعل الماضي في المتكلم والخاطب المفرد بدلاً من الناء الموجودة في العربية، وتظهر هذه السمة التي تشتهر فيها الهجات اليمنية مع اللغات السامية الجنوبية في منطقة الجبال الغربية، حيث كانت اللغة الحميرية مستخدمة كما تقول المصادر العربية القديمة.

تستخدَم صيغ الجمع "فَعَّول" و"فَعَّول" في منطقة اليمن فقط، بالنسبة للصيغة الأولى وجدهم أمثلة كـ"بُنْدْيَد" و"كِتَبَت". تتداخل تلك الصيغة مع صيغة جميع موجودة في اللغة المهرية، وفي تلك الحالة لا يصبح من الغريب أن نقول إن العربية اقتبست تلك الصيغة من العربية الجنوبية في فترة الاستقرار العربي البكرى في المنطقة، وبما كان ذلك قبل الفتح العربي، أما صيغة الجمع "فَعَّول" فهي موجودة في المناطق الجبلية التي استقرت بها أول قبائل عربية وفدات إلى الأقاليم، فتقدم لنا لهجة تلك المنطقة صيغ جمع مثل "طَرَقْ" بمعنى "طرق" - وهي صيغ تشبه جميع اللغات العربية الجنوبية الحديثة.

في معظم الحالات فإن التدخل الذي نتج عن الاتصال بين اللغات لم يؤد إلى حدوث ظواهر لغوية جديدة بقدر ما رجَح كفرة الميزان لصالح بديل من بديلين كانا موجودين، في هذه الحالة من الممكن أن تكون اللغة الأصلية لتعليم العربية قد أثرت عليهم في اختيار بديل وإملاء آخر، واحد من أهم الأمثلة هو حالة أنواع الاستفهام في اللهجة العربية المصرية، في تلك اللهجة ليس هناك تقديم لآدة الاستفهام في أول الجملة، بل تبقى في مكانها الطبيعي في الجملة، وانظر الجملتين التاليةين.

قلت له المعلم
قلت إيه للمعلم

119
في لهجات عربية أخرى، يعتبر ترتيب الكلمات هذا مقبولاً، ولكنه ترتيب غير اعتيادي، ويمكن في المصري أن تقول " إيه قلت للمعلم؟ " توجد تلك البديال في كل لغات العالم كظواهر خطابية لها علاقة بالتركيز على عنصر بعينه. وكان متكلمو القبطية معتددين على لغتهم التي لم تكن تقدم آدآ الاستفهام إلى أول الجملة، انظر مثلاً التي تعني " ماذا تقول؟ " تلاحظ أن ضمير الاستفهام يظل في مكان المفعول به ولم يتقدم، وعندما تعرف القبط على الاختيار بين الموجودين في العربية فقد اختاروا النوع المشابه للغتهم الأصلية - حتى ولو كان النوع الذي اختاروه غير اعتيادي بالنسبة لتكلمهم العربي.

ليس تأثير اللغة التحقيقية بتفسير كاف للاختلافات بين لهجات العربية، وكذلك ليس التجمع في مرحلة متأخرة تخسرها مقبولاً للسمات المشتركة بينها. هناك أمثلة كثيرة لتغيرات تركيبية حدثت في كل لهجات ولكنها أخذت شكلًا مختلفًا في كل لهجة عن الأخرى. من بين تلك التغييرات تركيب الإضافة وآليات الجملة. من أهم سمات العربية المولدة اختفاء علامات الإعراب - وهو ما يعتبره الكثيرون الفارق الأساسي بين اللهجات والفصيح الكلاسيكية. ( رأينا في الفصل الرابع أن هناك أسباباً كثيرة تجعل من التفسير الصوتي للكظاهر غير مقبول)، وفي اللهجات الحديثة حلت آدآ تطبيقية محل علامة الكسر في الفصيح، انظر:

الفصيح

بيت الملك

البيت بناة الملك

في تركيب الإضافة التحليلى تعبر آدآ الإضافة أبتاع أعن معنى الملكية، وهي آدآ تحل محل تركيب الإضافة التوليدي الذي تعبر علامة الكسر فيه من الملكية. هذا التركيب التحليلى المحدث في كل لهجات العربية ولكن تلك الهجات اختلفت في شكل آدآ الإضافة المستخدمة للتعبير عن الملكية، فلهجة مصر القاهرة تستخدم بتعاب، بينما تستخدم لهجة دمشق السورية "تبع"، وتستخدم لهجة الرماط المهنية "نيل"، وتستخدم لهجة ملطا "تاع"، وتستخدم لهجة السودان "قح"، بينما تستخدم لهجة تشاب "هن" وتستخدم لهجة قبرص "شييت". وتستخدم لهجة مرايم "مال" و"ليل."
أما بخصوص ظاهرة التطور الواحد نحو الأشكال المنفصلة الثانية فهي مرتبطة
بفقدان علامات النصب والجزم على الفعل، في القصري هناك فصل بين الفعل المفعوم
"يكتب" والفعل المنصوب "يكتب" والفعل الجزم "يكتب". أما في اللهجات فقد اختفى
تصنيف الصيغة الصرفية، ولذلك تجد شكل الفعل في الفلك دائماً "يكتب"، ولكن الفعل
المضارع غير الملف في معظم اللهجات قد اكتسب معنى صيغى، فتجد في اللهجة
المصرية مثلاً شكل الفعل المضارع "يثرب" يعبر عن سؤال عن رغبة الماضي إن كان
يؤد أن يشرب شيئاً. أما بالنسبة للصيغ، فقد طورت اللهجات علامات تدل عليها،
وكجها تلك العلامات في أساسها أفعالاً مساعدة أو أرواف زمن تجديده وأصبحت
جزءاً من الشكل الصرفي للفعل، علامة جيئة الاستمرار في العامية المصرية مثلاً هي
أبَّ أقبل الفعل وعلامة المستقبل هي هنا:

"يثرب"

هنا:

في هذا التطور أيضاً كل اللهجات العربية اكتسبت نفس التجديد، ولكن كلاً منها
انتخب شكلاً منفصلاً للأدوات الجهرية. معظم اللهجات تمتلك نظاماً مكوناً من أدواتين،
الأولى أداة اللغة الاستمرارية والأmitesية، والثانية لجهة المستقبل. ولكن الوضعية
الدلالة لكل من الأدوات تختلف من لهجة لأخرى، فنتستخدم اللهجة المصرية أعمًأ
التعبير عن الاستمرار، بينما نستخدم أبَّ التعبير عن الأحداث التي ينوي الشخص
القيام بها في المستقبل أو للأحداث الاعتيادية، وفي لهجة العراق نستخدم أبَّ التعبير
عن الاستمرار والعادية، وتستخدم الفعل غير الملف بما يشبه جيئة للتعبير عن الأحداث
الصحبة بشكل دائم والمحقق. في الكثير من الحالات لا يمكننا تحديد أصل تلك
الأدوات بدقة، ولكنه يبدو من الواضح أن أداة الاستقبال غالبباً ما تكون منحدرة من
أفعال تعني معنى الاستقبال كما هي الحال في لهجة بوروندي حيث يستخدمون
أبَّ الرجاء. أما الوضعية، أما السورين فيستخدمون أبَّ التعبير عن الاستمرار فبسبب
أنها من أفعال تدل على البقاء والقيام، انظر مثلاً أبَّ، أما التعبير في
عيدة أوزبكستان وأوزبكستانية التي تقوم بنفس الفرع.
نجد في حالات الإضافة التحليلية وأدوات الجهة نمط سلوك واحد: ظاهرة عامة
حدثت في كل اللهجات العربية، وكل منطقة عبرت عن تلك الظاهرة بشكل مختلف، لذلك
يجب على أي نظرية تحاول تبرير ظهور العربية المولدة أن تتخذ تلك الظاهرة بعين
الاعتبار. ويجب أن نضع في اعتبارنا أيضاً أن اختلاف التعبير عن نفس الظاهرة ينفي
أي اعتقاد يوجد عملية تجميع لاحقة تاريخيًا على اكتساب العربية، لأنه من الطبيعي
في حالة الاتصال بين اللهجات أن تكتسب لهجة من الأخرى علاماتها النحوية، ولكن ليس
من الطبيعي اكتساب تركيب يتم اختراع تعبير ينفي له في شكل علامة نحوية بعد ذلـك.

جدول سوابق الجهة في اللهجات العربية الحديثة:

<table>
<thead>
<tr>
<th>اللغة</th>
<th>المستقبل</th>
<th>الاستمرار بالعادة</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>اللغة العربية</td>
<td>أعم وأبأ</td>
<td>أراح</td>
</tr>
<tr>
<td>اللغة المصرية</td>
<td>أبأ</td>
<td>أحأ</td>
</tr>
<tr>
<td>اللغة المغربية</td>
<td>أت</td>
<td>مغ</td>
</tr>
<tr>
<td>اللغة العراقية</td>
<td>أراح</td>
<td>داح</td>
</tr>
<tr>
<td>اللغة اليمنية</td>
<td>أبأ</td>
<td>داح</td>
</tr>
</tbody>
</table>

أحد السيناريوهات المطروحة لتفسير ظهور العربية المولدة يربط بين أصل
التغيرات التي حدثت في اللغة وبين عملية تعلم العربية: ففي القرن الأول الهجري تعلم
الناس العربية كلمة ثانية بشكل غير منظم وبين عملية تعليمية، وكان التركيز
الأساسي على التواصل والفهم ولم يكن على الصحة اللغوية. أثناء فترة التعدد اللغوي
استخدم معظم الناس العربية كلمة ثانية، واستخدمتها أقلية من شعب الإمبراطورية
كلغة أم، في أمثال تلك الحالات تخفف الأشكال الزائدة، مما يؤدي لقدر أكبر من
الانتظام. ويكون التركيز على التركيب التحليلي، ويتم تقليص تصنيفات كثيرة ليسهل
تعلموا، وعندما تحدث عادة عملية إعادة بناء القاموس اللغوي حيث يتم إهمال المفردات غير الواضحة أو تلك التي تعبر عن أكثر من معنى ويستخدم مفردات واضحة بدلاً منها.

في مثل هذا السيناريو، كل عبء المبادرة واقع على سكان البلاد المفتوحة الأصليين، ومع ذلك فإن معظم نظريات نشوء اللغات العربية ترجع أسباب التغييرات اللغوية إلى نزعة طبيعية كانت قائمة في عربية العصر الجاهلي، وتفقد البحوث على وجه العودة أن كانت هناك أنماط لغوية مبسطة في بدايات الفتوحات العربية. ولكن تلك الأنماط اختفت دون أثر يذكر. تعمد تلك المساواة على تطور العربية الفصحى الكلاسيكية، فلن أكتساب العربية في بداية الأمر قد أدى إلى تغييرات جذرية في بنية اللغة وإلى قيام أنماط لغوية مبسطة فيجب أن نفترض أن تأثير العربية الفصحى في وقت لاحق وخاصة عربية القرآن قد أعادت تقديم كثير من سمات العربية الفصحى الموجودة الآن في اللهجات العربية. تفترض تلك النظرية أن سكان المناطق الحضرية في البلاد المفتوحة من غير العرب كانوا يتفاعلون مع العرب الفلاحين بلغة عربية مبسطة وأصبحت تلك الأنماط المبسطة في الدين العربي الباشي - التي كانت بوتقة تجمع المسلطات والأنس - اللغة الأم للأطفال الذين نتجوا عن زيجات مشتركة بين رجال عرب وسيدات من السكان الأصليين. وقل بين أناس من خلفيات لغوية متنوعة تجمع العربية بينهم كلفة ثانية لل التواصل.

وقد أدى انتشار الفصحى كلهة رفيعة للآلة والدهن إلى تقديم نموذج آخر في الوضع اللغوي تأثيرًا كبيرًا لدرجة أنه أقام تبريرًا من المستويات اللغوية التي تشبه حالة الإزدواجية اللغوية القائمة في العالم العربي حالياً. وقد أظهر المائمون المستويات الأعلى في ذلك الدور ليست المستويات العليا فيه، ولاستعمال الاستبدال تلك عملية عربية أو غير اعتادية من حيث المبدأ، فبالرغم من أنها لا توجد لدينا أي أدلة على عملية إعادة البناء تلك في العصور القديمة. إلا أن تلك الحالة يمكن مقارنتها لحالة بتدخيل العربة الفصحى في لغة الكلام في العصور الحديثة مما ينتج عنه تعديلات وتحولات في لغة متكاملة عملاقة. انظر على سبيل المثال إلى الكثير من متكاملي العربية المتعلمين الذين أصبح استخدام مركب الإضافات التوليدي القديم متجاوزاً في أفغام مع

123
استخدام المركب التحليلي العامي، فأصبح بذلك جزءًا من كفائتهم اللغوية، وتعد علاوة على ذلك أن استخدام هذا المركب بعينه يسرع بسرعة اللغة الأمية من أبناء اللهجات العربية الحديثة، ولكن الاختلاف الكبير من الحالة الراهنة والحادث التي كانت قائمة في القرون الأولى من الفتح هو وجود وسائل الإعلام في العصر الحديث.

تحتسر عملية مشابهة بين اللهجات بعضها مع بعضها الأخرى، ففي لهجات القاهرة العربية أدب تزايد الهجرات الريفية إلى المدينة الكبيرة إلى تهيئة السمات اللغوية المشتركة بين تلك اللهجة ولهجات الريف التي ورد منها المهاجرون. وكانت النتيجة أن أصبحت تلك السمات المهمة معدلة بالطبقات الدنيا، بل وقد تختفي تلك السمات تمامًا في فترة ما. تستطيع أن تسلوقي هذا مثلًا بسيطًا، ففي القرن التاسع وآين كانت كل اللهجات المصرية تستخدم أخمن أكلاصًا ضمير الفاعل الجمع في الفعل الماضي، ولكن تلك اللاحقة الآن مستخدمة في الأحياء القديمة في القاهرة فقط. هناك مثل آخر وهو ظهر الفعل المضارع المعلم بآ[/د أفي لهجات البدو في صحراء اللقب وسيران. يقول بالفا (1991) إن تلك اللهجات تنتمي لمجموعة لهجية لا تمثل تلك السائبة على المضارع، ويقول إنها ظهرت كنتيجة للتفرقة باللهجات الحضرية، ويمكن أن تلاحظ بعض الاختلاف والتنوع في استخدام هذه السائبة في حالات اجتماعية معينة، أي في حالات الكلام المهنى مع ضيوفين بينما يستخدم المضارع المعلم بآ[/د أمع البدو.

ويمكن التمثيل على اختفاء السمات اللغوية الدنيا التي تقبع في آخر مدرج الكلام بشكل درامي في حالة التطورات اللغوية في السودان. ما يحدث في السودان هو أن الأنماط المهنية التي تسمى "عربية جوبيا" قد بدأت في استعداد بعض تصنيفات اللهجات العربية الاغنية تحت تأثير لهجة الدير مختلطة والمحترمة، وتستخدم عربية جوبيا شكلاً فعليًا واحدًا تستخدمه بعض أهل الجهة المختلفة، وعندما تعرضا للتمول عربية جوبيا إلى اللغة العربية الفصحى ولهجة الدير من خلال وسائل الإعلام وتعرضا على تصريف الفعل العربي بالسواقي ولاحقة، فقد أعادوا تحليل السوابق الموجودة على الفعل المضارع العربي آب أو أتم أو أنت أو أنت وأن تكون ألوان جهة يستخدمونها بمعية الألوان الموجودة فعلاً في عربية جوبيا أو بدلاً منها دون أي
مراعاة السوابق، وفي مرحلة لاحقة استطاعوا أن يدركون الوظيفة الحقيقية للكثنى والحاضرة، ون행وا أن يستخدموها بشكل سليم، من الناحية التاريخية، يتلون هذا السيناريو أن مكلامية عربية جوفاء قد قدموا مقابلة بين الفعل الماضي والفعل المضارع، مما يجعل لهجتهم قريبة في بنيتها من اللهجات العربية العادية في ذلك المجال.

حدث هذا التطور الذي أصاب عربية جوبا في كلمات محدودة من المتحكمين، ولكن التعدد القائم في تلك اللهجة حالياً، يبين أن أي لهجة عربية تستطيع أن توفر الفرق بين المضارع والحادي، وستبقى، بعد ذلك عن طريق تدخل نمط لدوي فعلي ومحترم، وإن لم يكن لدينا علم بفترة لغة هؤلاء الكثيبيين السابقة، فقد تعتقد أنها مجرد لهجة إقليمية عربية من بين اللهجات الكثيرة، ولم تكن كل معلوماتنا عن اللهجات الدارجة في القرن الإسلامي الأول، مستفادة من المصادر المكتوبة الكلاسيكية القصيرة، في طبيعتها، يجب على الأقل أن نشجع بإمكانية أن اللهجات الدارجة كانت تشبه لهجة عربية جوبا غير المتأشة بالفصحي، وفي فترة لاحقة تم إدخال عناصر فصيحية عليها، في مرحلة أدري، وتعرف بفترة أصلية التي احتفلت بناءً على ذلك.

ووجه انتقادات كثيرة لسيناريو تدخل الفصيحى السابق، من بين الباحثين على قصور هذا السيناريو وجود عناصر قصيرة كلاسيكية في اللهجات، لا يمكن أن تكون قد دخلت إليها عن طريق التدخل سلائف النكر، يذكر فرسوسون (1989) حالة النك في اللهجات الحديثة كمثال، ويرفع فرسوسون أن معظم اللهجات تفرق بين شبيه المشي والمثلى الحقيقي، يستخدم شبيه المشي مع أجزاء الجسم المزروعة "إيدين-رجليين-ودنين"، وجميع تلك الكلمات، في حالة وجود ضمير متصل مع واحدة من تلك الكلمات، تكون نون المشي في أخرى، يحتوي المثلى الحقيقي على نفس نهاية شبيه المشي في الغالبية العظمى من الحالات، ولكن تلك النهايات لا تستعمل للجمع ولا يمكن أن يلحق بها ضمير متصل، في اللهجات المصرية مثلما عندنا "رجليين-كشبيه المشي، ونفس الكلمة كجمع، وفي حالة وجود ضمير متصل تحدث النون. فتصبح الكلمة "رجليك"، أما كلمة "ودنين" فهي كلمة مثلى حقيقي، وفي بعض اللهجات هناك فصل بين نوعي المثلى، فتجد في اللهجات المغربية مثلما "رجليين-كشبيه المشي" وتجد "ودنيين" كلمة مثلى حقيقي، المسألة المهمة هنا أن المثلى الحقيقي في اللهجات الحديثة يحصل على مطابقة عديدة.
في الجملة، ولذلك لا يمكن الزعم بأنه وارد من الفصحي الكلاسيكية، نبين الأدلة المأخوذة من نصوص العربية الوسيطة أن المثل أنه يستخدم كوسيلة لتفصيح الكلام أحيانًا يحصل على مطابقة مفرد مؤنث واختيارًا أخر يحصل على مطابقة جمع.

لذا يزعم فرجسون أن نواع المثل لا يمكن أن يكون إلا اسمة قديمة من اسماء اللهجات العربية، ولأنها كنا مستخدمين مع اسماء مجموعة فإنها يحصلان على مطابقة جمع.

يشير فرجسون كذلك إلى وجود نمط مطابقة عامض كدليل لطابعة الجمع في اللهجات، فيمكن أن نستخدمن في لهجة دمشق وثلاً وصورة من مطابقة الجمع بين البداية والأخيرة ونمط مطابقة مختلف في: "أجناة مكتبتين كبيرين" أو "إنجنتان مكتبتين كبيرتين". يبدو أن نمط المطابقة هذا مشابه لنمط المطابقة في الفصيح في جملة كهذه، ويمكننا أن نذكر أن نعرف وجود تلك السمة إلى تنقل من الفصحي الكلاسيكية، ولكن فرجسون لا يعتقد أن تلك السمة إعادة تقدير اسم الفصحي الكلاسيكية في اللهجات، لأن نمط المطابقة اللهجاتي "إنجنتان مكتبتين كبيرتين" لم يختلف كما هو متوقع بل على العكس ازداد انتشارًا على حساب النمط الفصيح، ولكن في ظل غياب أي مادة مجموعة للهجات تجمع بإجراء نسب توارد فإن الحكم على صحة تلك الحجة عند فرجسون ليس ممكنا.

ولكن الملاحظة الجدير بالملاحظة في كلام فرجسون هي أنه ليس بالضرورة في كل الانتقال بين عامية وفيصحي أن يكون التطور ناحية الفصيح وإهمالاً للعامية. في بعض الحالات يكون من الممكن جداً أن تسري التطورات باتجاه اللهجة، ولكن التدخل من الفصحي الكلاسيكية يؤدي إلى عملية إعادة توزيع في الوظائف النحوية. ففي حالة مطابقة الجمع في اللهجة السورية ربما يكون هناك اختلاف دلالي، فتستخدم مطابقة الجمع للأسماء الجمع التي يمكن عدها، بينما تستخدم مطابقة المفرد المؤنث مع اسماء الجمع.

هناك وجه نقد آخر لنظري تدخل الفصحي في اللهجات، وهو ينص على إنكار فترة الفصحي الكلاسيكية على التأثير في تراكيب اللهجات وبيئتها، يشير ديم (1978) إلى أنه في معظم المناطق اللهجية هناك مستويات، اللهجة الأولى من الفتح أدت إلى
قيام اللهجات الحضرية التي تحتوي على الكثير من التجديدات اللغوية. وانتشرت تلك اللهجات إلى المناطق المجاورة للمدن، ولكن موجة ثانية غير مفاجئة من التعرفة غزت على موجة اللهجات الحضرية البكرية، وقد نتجت تلك الموجة من الهجرات المستمرة التي قامت بها قبائل البدو العربية من شبه الجزيرة إلى خارجها. ففي العراق على سبيل المثال غزت موجة لغوية بحرية نسبية للهجة "جلت" على اللهجة الحضرية المبكرة التي تسمى اللهجة "قلت". وكذلك في مصر كانت هناك اللهجة حضرية دخلت على مصر السفلي في الموجة الأولى من الفتح العربي، ولكن الريف المصري والصعيد تم تعريبه بواسطة موجة أخرى من الهجرات البندوية من شبه الجزيرة، وفي شمال أفريقيا لم يتم تحقيق تعريب الريف بشكل كامل إلا في القرن الحادي عشر مع هجرة بني هلال. تقول نظرية ديم إن موجة الهجرات البندوية الثانية حققت بعض التحسين في اللهجة العربية خارج شبه الجزيرة، بالمقارنة لتطور اللهجات الأورامية التي أنتجت أنماطًا شرقية وغربية شاملة الفوارق فإن اللهجات العربية متشابهة بشكل مثير من الناحية الطبوغرافية. وقد تنتج تلك التشابهات في وجهة نظر ديم من خلال التجمع الذي حدث في فترة تشكيل تلك اللهجات، وحسب هذا السيناريو يكون للهجة البندوية دور في توحيد اللهجات الحضرية أكثر بكثير من دور العربية القصصية الكلاسيكية.

يضيف باحثون آخرون من أمثال هولم (1995) إلى الاعتراضات على نظرية تدخل الفصحي اعتراضًا ذي طبيعة اجتماعية، فهو يعتقد أن الوضع الاجتماعي في البلاد المفتوحة عقب الفتح مباشرة لم يسمح للأنواعة اللغوية البندوية بأن تتطور فتصبح لهجة حديثة كاملة. يؤكد هولم على أنه في الفترة المبكرة للفترة كانت هناك تدعيمات لغوية فعلاً، ولكن المعلومات اللغوية البيكرا والسجلات التاريخية لا تسمح لنا بالاعتقاد بأن اللهجة البندوية حافظت على نفسها لفترة طويلة من الزمن. يقول هولم إن البريديات بيئة وجود حالة انتقالية ناحية التعقيد اللغوي لم تثب فيها بعد الأسس والممارسات اللغوية، فلا توجد أن البريديات في أي تغيير جذري شاملي في اللغة. لذلك يفترض هولم وجود عملية انتقال تدريجية من بداية تعلم العربية بإتجاه الوضع اللغوي الراهن والشكل اللهجاتي الحالي، فبينما تعلمت مجموعة قليلة من السكان الأصليين
الفصحي الكلاسيكية لأنهم محترفون في ذلك المجال فإن عامة الشعب لم تع وجود أي نموذج لغوي فصيح، باختصار عندما تعلم الناس العربية تعلموها كلفة ثانية ولم يتعلموها كلفة مؤقتة.

هناك طريقة للتوافق بين وجهتي النظر المتعلقتين بتأثير الفصحي الكلاسيكية، وهي تصور أن اللوجة الثانية من الهجرة البدوية هي التي جلب المنام الكلاسيكي في اللهجات العربية، لم يكن البدو الذين يتكلمون لهجات يدوي قد تأثروا بعد باللهجات الحضرية واستطاعوا أن يفرضوا لهجاتهم، لا تعتبر عملية تدونية للهجة عملية غريبة حتى في العصر الحديث حيث تتحول الجماعات السرية إلى لهجات أكثر بديوية من اللهجات الحضرية التي تملك بها المسيحيون واليهود، أما بالنسبة البدو أنفسهم فقد أفلحوا في الاحتفاظ بهجتهم بعيدًا عن التأثير الحضري نوعًا ما، علامة على ذلك فإن نمط السمو والاحترام قد تغير عبر الزمن، ففي الماضي لم يكن اللهجات الحضرية تتمتع بنفس درجة الاحترام التي تحظى بها الآن، ولذلك لم يكن تأثر في اللهجات البدوية، وفي مرحلة لاحقة أصبحت المناطق الحضرية مركز الإمبراطورية ومقر الحكم، وذلك أصبح من الصعب على البدو تجن تدخل اللهجات الحضرية في لغتهم.

وفي الختام أود أن أقول إننا لا نعرف الكفاية عن عملية قيام اللغة الفصيحة الكلاسيكية لتعريف أثرها على اللهجات، ولاننا لا نعرف إلا نتيجة عملية التعلم، والتطور اللغوي ولهجة العربية الحديثة فإن مسألة دور الفصيح في تكوين اللهجات العربية مهمة جداً إذا كان لنا أن نستطيع تركيب اللهجات العربية المبكرة من اللهجات الحديثة، وفي نفس الوقت لا تقدم أي نظرية موجودة لتفسير اللهجات العربية الحديثة تقضي، وتبرز كنها لأسباب ووجودها وتركيبها الحالي بالرغم من أن كل نظرية تقضي جزءًا من هذا التطور، يجب أن نقول إنه في تلك المرحلة لا يمكن الاعتماد على دراسة تاريخ العربية فقط للحصول على إجابة عن سؤال لماذا قامت اللهجات بهذا الشكل وكيف، بل إننا بحاجة إلى معلومات كثيرة عن الوضع الاجتماعي في الإمبراطورية الإسلامية المبكرة وأماكن توطن العرب وأساليب هذا التوطن، ونحتاج أيضاً إلى مساعدة علم اللغة التاريخي العام ليقدم لنا أنماط تطور أكثر كفاءة أو أدلة أكثر على التطور اللغوي.
الفصل السابع

اللغة الوسيطة

1- تعريف العربية الوسيطة

ناقشنا في الفصول السابقة كلًّا من تطور العربية كلغة كتابة أدبية وظهور اللهجات العامة، ولكن السؤال الذي يبقى علينا الآن أن نتعامل معه هو ما العلاقة التي تجمع بين النصائح اللغوية في مجالات الكتابة الأدبية وغير الأدبية في القرن الأول للفتح الإسلامي. تجد اللغة الكثير من المصادر العربية المكتوبة التي وردت لنا من تلك العصور لا توافق قواعد العربية التي رسمها النحاة. ينطبق هذا على كل من اللغة الأدبية الرسمية التي ظهرت في العصور المتأخرة ولغة البرديات؛ فلن تجد نحوًا يستخدم مثلًا تركيبًا مثل "يكتبون" بدلاً من "يكتبوا" في حالة الفعل المرفوع، ولكن هذا الشكل من الفعل يظهر كثيرًا في كل من البرديات وبعض التصوص المكتوب، ولا يمكن أن نقول إعادة ظهوره في النصوص المكتوبة أنه انعكاس للكتابة الكاتب الدارجة، وسوف نفهم في هذا الفصل تلك الأنماط المختلفة للغة الفصحى الكلاسيكية في التصوص المكتوب.

المصطلح الذي يجمع كل التصوصات التي تحتوي على أنماط مغايرة للفصحي الكلاسيكية في الدراسات الحديثة هو "اللغة الوسيطة"، وقد أدى هذا المصطلح في حد ذاته إلى اضطراب كثير وغير很清楚، ولكن من الأول أن نشرح ما لا يعنيه المصطلح.

في تاريخ اللغة الإنجليزية هناك الإنجليزية القديمة والإنجليزية الوسيطة والإنجليزية الحديثة، وهي حقب زمنية في تاريخ تطور اللغة الإنجليزية، وقد يحاول البعض أن يتصور
أن العربية الوسيطة هي مرحلة متوسطة بين كل من العربية الفصحى الكلاسيكية والقصصى المعاصرة، أو قل من الفترة بين ٨٥٠ و١٨٠٠ ميلادية مثلاً، في كتاب بلو عن العربية الوسيطة عند المسيحيين (١٩٦٧) المجلد الثاني، ص ١٣٠. يقول المؤلف: إن العربية الوسيطة هي الحلقة المفرغة بين العربية الكلاسيكية القديمة والمحتجات الحديثة، ولكنه كان استخدام المصطلح في منشوراته التالية على هذا الكتاب ليتفادي أن سوه فهم المصطلح. يمكن أن تظهر أخطاء في نصوص العربية المعاصرة بنفس درجة السهولة التي كانت تظهر بها في النصوص القديمة، وإذا بتصبح من الخطأ أن نفهم من مصطلح العربية الوسيطة أي مدارس زمني تاريخي. فسوف نرى فيما بعد أن الأخطاء الموجودة في نصوص العربية الحديثة تشبه تلك الموجودة في النصوص القديمة.

يعتبر بعض الباحثين العربية الوسيطة نصاً فعلياً مستقلًا، أي نوعًا خاصًا ما بين العربية الفصحى والمحتجات اللسانية. ولكن تلك الفكرة لا تتفق مع طبيعة تلك النصوص الحقيقية. فكل فرد يريد أن يكتب باللغة العربية يكتب بالقصصى في ذهن، وتختلف درجة البعد عن النص الفصحي في النص المكتوب والاقتراب من العربية بقدر تعليم كاتب النص. لذلك تعكس بعض نصوص العربية الوسيطة أخطاء محدودة ومتناثرة. بينما تكون بعض النصوص الأخرى مرتبطة باللغة العصرية. ولكن حتى في أقصى حالات تدخل العربية في النص لا يمكن اعتباره نصاً عاميًا لهجائيًا لأن كل النصوص المكتوبة تقولن تقولن تحوي ذكر العربية في الاسم حتى ولو كانت هناك عناصر عامة في النص. عندما حقق تاندبير واحدًا من أوائل نصوص العربية الوسيطة عام ١٨٨٨ فإن أنه أمام مثل حقيقة نص مكتوب باللغة المصرية في قصة باسم التي حققها في حقيقة الأمر بالرغم من أنه من السهل أن نرى في بعض أجزاء تلك القصة لهجية مصرية حقيقية فإن الكاتب في معظم الأجزاء لا يستطيع أن يقل من قواعد الفصحى، وربما لم يكن يريد أن يفعل منها أصالة. ولكنه كان من الغريب أن يرى تاندبير ساعته نصاً فيه عناصر عامة، ولذلك كان من السهل عليه أن يظن أن النص مكتوب باللغة المصرية.
في كل جماعة لغوية هناك فارق بين لغة الكتابة واللغة العادية الدارجة. في الهجاء والمعجم وحتى في التراكيب، ولكن في المجتمعات التي يكون فيها فارق مؤسسي بين نمط عال ونمط منخفض، فاللغة الكلامية فيهما فارقة بين لغة الكتابة فيها وبين لغة الكلام كبيرًا. وإذا كانت م-calendarات التعلم في مثل تلك المجتمعات منخفضة، يصبح التمكن من لغة الكتابة أمرًا محدودًا جدًا. وفي نفس الوقت يرتبط النموذج المكتوب بشكل ثقائي باستخدام وسيلة الكتابة، فإذا كان شخصًا يكتب بالعربية فلن يجد أمامه خيارًا سوى الكتابة بالنحو الذي يعرف عليه. ولكن المشكلة أن هناك أيضًا من المستوى مصادره غالبًا لغتهم الدارجة، وهي أن مستوى لغة الكتابة أعلى بكثير من مستويات معظم الناس. ففي بعض الأحيان في كتابة العربية يكتب أخطاء لغوية يكون مصدرها غالبًا من الظبي. أما من الأمثلة أيضًا ما يسببه اختيار لواحق الصيغ في اللهجات فيختار الكتابة التي يستخدمون "كتبوا" ومتى يستخدمون "كتبوا".

من الخطا أن نفترض أن كل مشكلة ترد في نص من النصوص تابعة من العامية. بما أن الناس يعرفون أن هناك فارقًا بين اللغة المكتوبة ولغة الكلام فإنهم سيجروا جهداً واعياً لكتابوا بشكل سليم. ولكن عندما يображен يكتبون في ذلك أحيانًا ما ينتجون أشكالًا لا هي بالعامية ولا هي بالعربية. في حالة لواحق الصيغ التي تكلمنا عنها سالفًا يكون النشاط الصحيحة في حالة الجزم هو "لم يكتبوا". ولكن لأن الناس يخفون من تدخل العامية في كتابتهم فإنهم أحيانًا ما يستخدمون شكلًا مثل "لم يكتبوا". في بعض الأحيان يجرونيفون بالقواعد الصحيحة، تسمى أحيانًا كنداة بأخطاء "شبه الصيغة"، في داخل أخطاء شبه الصيغة هناك تقسيم أن تحيتان: هما الصيغة الزائدة والصيغة الناقصة. يعتبر المثل الذي قدمته سالفًا حالة جديدة من حالات الصيغة الزائدة، فعندما حاول الكاتب إصلاح الشكل الناقص وغالبًا ما ينتج بذلك "لم يكتبوا". أما في حالة الصيغة الناقصة فتصحيح الشكل العامي يكون عادة غير كامل. الشكل الأساسي للفعل الذي يشير إلى المثنى في نصوص العربية الوسطى هو الجمع، فتوجد "الرجلان يدخلوا". عندمًا يحاول الكتاب إصلاح هذا الشكل الخاطئ.
ولكن يقصر عن إصلاحه بشكل عام ينتج شيئاً مثل "الرجلان يدخلاً"، وهذا شكل ليس عامياً ولكنه في نفس الوقت ليس فصيحاً، لأن الفصيح يستخدم في مثل هذا التركيب "يدخلان". هناك مثل آخر للإصلاحات الناقصة في تغيير تركيب كلمات الجملة ليبدو فصيحاً، فتجد الكاتب يستخدم تركيباً مثل "يدخل الرجلان"، فعندما حول الكاتب الجملة من اسمية فعلية لم يحول الفعل من حالة المثيل لحالة المفرد كما تحتوي قواعد الفصيح التي تستخدم شكلًا مثل "يدخل الرجلان".

ليس استخدام شبه الصحة مقصوراً على اللغة المكتوبة وحدها، فلما كان الشكل الكتابي الفصيح هو في نفس الوقت نموذج الكلام الرفيع الراق فقد يجد المرء كثيراً من أمثلة الصحة الزائدة في لغة الكلام. انظر مثلاً المصريين الذين يعرفون جيداً أن هناك تعداداً بين صوت الفاعل الفصيح وصوت الهزة العامي البديل، عندما يريدون أن يبدوا متعلمين فإنهم يضعون صوت الفاعل مكان كل هزة، ليس هذا في الكلمات الفصيحية التي تحتوي على الفاعل فحسب بل أيضًا في الكلمات التي لا تحتوي فقط على صوت الفاعل. وإذا لبس من النادر أن تسمع كلمات مثل "قرقان" بدلاً من "قرآن".

بجانب نقص المعرفة بالفصيح والذي يتمثل في الأخطاء الصريحة وفي شبه الصحة، ربما يكون هناك مصدر آخر يسبب الصعوبة في تعلم الفصيح، بسبب البعض الكبير بين لغة الكلام ولغة الكتابة يصبح من الصعب تسجيل حوار حتى بين أتّاس حقيقيين بشكل مكتوب. هذه مشكلة كبيرة في الأدب العربي الحديث وقد ألهمت حواراً وجدلاً كبيرين، وربما كانت تلك المشكلة قائمة في العصر الكلاسيكي أيضًا، خاصة في حالات الفصيح التي كان من المفترض أن تلتئ على جمهور المستمعين. نتيجة لذلك كانت هناك دائماً نزعة في تلك التصورات لطيف الحياة في تلك الحوارات بإضافة كلمات أو تركيبات عامة، في قصة باسم التي تكتمل منها سالفة نجد مثل في حادثة بين الخليفة هارون الرشيد وزوجه جعفر وخادمه مسرور أمثال التعبيرات التي سنوردها تزوي. بدأ الوزير أولاً يقول: "يا أمير المؤمنين مسرور عمّال يقول لي ربما أن الملك يجاه اسائه الرجوع للسرايا ثم يرد مسرور على ذلك بقوله: "أنا قلتُك ولا أنت بتقولُ لى، فإنيقل الخليفة: "�ةيش جيمن خلوا نتفرج".
يستخدم كل المشتركون في تلك المحادثة تعبيرات عامة كالضارع السمر
السويق بعلامه الجهة "عالٌ بقولٌ"، ويستخدمون كذلك ك"بلٌّ" من "ليّ"، وكذلك
استخدموا تعبير النفي الإسمي "ماتيش"، ولا شك أن من يقص تلك القصة على
المستمعين سيحاول أن يطوع الأصوات للدرجة بشكل أكبر، من الواضح أن القاص
كان على علم تمام بالأشكال الفصيحة ولكنه اختار أن يستخدم نظائرها العادية ليمعن
في تسلية مستمعيه. في بعض الأحيان تشعر بأن النكل يستخدم جملة فصيحة كاملة
ويختبئها بكلمة أو كلمتين عاميتيين لزيادة من درجة تسلية المستمعين. أظن المستمعين
كانوا يضحكون عندما يدركون أن شخصاً عظيمًا يتكلم باللغة العربية.
وفي النسخة السورية من نفس القصة، نجد التعبيرات العربية العالية قد تحولت لتعبيرات
سورية.

وفي قصة معتمدة أخرى تدور أحداثها حول طبيب وطاه، من تحقيق نواده
1891 نجد أن الجدير عن الفصيح لم يكن مقصودا: "وهذه الجسور مراكب مرتبطة
في بعضها البعض وتتشي الناس عليهم ليقف بفضلهم... . . . وبينما هو في
ذات يوم يتفرج في الأسواق فلا يراه على دكان طباع.

من الواضح أن كاتب تلك القصة كان يحاول أن يكتب باللغة الفصيحة ولكنه
لا يستطيع أن يطب قواعد تلك اللغة، فتجده يشير إلى كلمة "جسور" بعض الأحيان
بضمير الجمع المذكر وأحياناً بضمير الفرد المؤنث، ويستخدم أيضاً المضارع المرفوع
مكان المضارع المنسوب بعد اللام، وفي الجملة بعد "بينما" يحاول المؤلف أن يرفع من
درجة فصاحة جملته بوضع ألفاء قبل المركب الرئيسي، ولكن الكاتب هنا ليس مهتمًا
بوضع عناصر عامة ليس مستعميه.

ربما كان هناك سبب ثالث لظهور الأخطاء اللغوية في نصوص العربية الوسيلة.
وربما كان هذا السبب متعلقًا باللغة الفصيحة كلمة كتابة داخل جماعات ممنيّة في
القرنين المبكرة، لما كان نموذج القرآن اللغوي أضعف تأثيريه على اليهود والمسيحيين
في الدولة الإسلامية من على المسلمين العرب، فقد شعرت تلك الجماعات بضرورة أكبر
من تلك التي شعر بها المسلمين في استخدام أسماء دارة في لغتهم المكروية، وفي
هذا السياق يجوز التحدث عن العربية وسيلة خاصة باليهودية وعربية وسيلة خاصة

133
بالسيحين كلمة جمعها مستقلة داخل مجتمع ما بالضبط كما كانت الحال في لاتينية
المسيشين في الإمبراطورية الرومانية.

بينما وضع مصطلح العربية الوسطى لتعريف النصوص التي ظهرت في الفترة
ما بين القرنين السابع والثاني عشر الميلاديين، فإن معظم الدراسات التي تناولت
العربية الوسطى تناولت النصوص المبكرة منها، ذلك لأن الباحثين استخدموا تلك
النصوص المبكرة ليعودوا بعد مرحلة نشوء اللهجات في تاريخ العربية. ويرجع هذا لأن
الباحثين يظنون أن الأخطاء اللغوية والعناصر اللهجاتية الموجودة في تلك النصوص
إنما هي عواكس لمراحل تطور تاريخي في العربية، ومع ذلك فإن قيمة نصوص العربية
الوسطى محدودة بالنسبة لعلم اللغة التاريخي بسبب طبيعتها. فيعتمد خلط العناصر
اللهجاتية مع العناصر الكتابية في تلك النصوص على قيمة المؤلف الفرد، فحضور أي
سمة أو غيابها لا يخبرنا شيئًا عن الموقع الحقيقي في اللهجات ساعة كتابة النص،
وسبب الطبيعة الفردية لسمات تلك النصوص لا يعبر ارتفاع نسبة ظاهرة معينة عن
تطور لفترة أصاب اللهجات على مر الزمن ولكنه فقط يشير إلى تغيير في القاعدة
اللغوية. اقتصر هذا الاستخدام لتركيب الإضافة التحليلية، ستجد أنه يندر استخدامه
في النصوص المبكرة ويكدر في النصوص المتأخرة، ولكن تلك الحقيقة في حد ذاتها
لا تعكس الإكثار من استخدام نفس التركيب في اللهجات بقدر ما تعكس تغيير نمط
قواعد الكتابة نوعًا ما.

علوًة على ذلك رأينا سالفًا أن بعض أسباب ظهور سمات حاصلة عن قواعد
القصصي في الكتابة هو إشباه الصحة، وهي سمات لغوية وأشكال ليست موجودة في
القصصي أو في العامية، ولكن كل ذلك لا يعني ألا تستخدم نصوص العربية الوسطى
كائنًا لغويًا، بل يجب أن تستخدمها ولكن بحرص، فمن الخلاط بين الضاد والطاء في
العربية الوسطى مثلًا يمكن أن نقصص إلى أن هذه النصوص تبدو مشابهة عن العامية.
ولكن العربية الوسطى تخبئنا بهذه المعلومات دون أن نخبرنا عن الفترة التي ظلت فيها
تلك السمة قائمة في اللهجات.
نتطبّق تلك الخلاصة أيضاً على النصوص العربية القليلة المشكلة المكتوبة بخطوط غير عربية. أشهر تلك النصوص نص من الكتب المقدس مكتوب بالخط اليوناني حقيقه فيويليت، يعتبر هذا النص الذي يرجع تاريخه إلى بداية القرن التاسع نصًا فريداً لأنه يقدم لنا بعض الأفكار حول طريقة تطبيق أصول اللغة العربية في تلك الفترة، فهو يبين مثالاً اختياريًا للغة القصيرة في أواخر الكلمات، وتتفق أيضاً الإملاء في هذا النص بشكل كبير في مثال: كنّ مكان كان، يتبني من النص أن اللغة المكتوب بها كانت تحتوي على نسبي الوقت، أنظر مثالاً كلمة مكتوبة التي تعني "يحفظوا". ولكن مع ذلك فإن النص نفسه لم يلاحظ عامية، بل ربما كان أمام المترجم توهج عرفي لأن أداة التحريض في كلمة مثل "التراب" مكتوبة وليس مضمنة بسبب صوت النهاية الشعرية، وكذلك تبدو النص الموجود مع هيئة الصل المكتوب وليس محتوى كما في لغة الكلام.

كانت هناك أيضًا نصوص عربية مكتوبة بخطوط أخرى كالقبطية والسريانية والفارسية واللاتينية والعربية والأرمنية والعربية الجنوبية. ولكن تلك النصوص متاخرة ولذا ليست مفيدة جداً في إعادة تركيب نطق العناصر المبكراً، وسوف نناقش في باقي أقسام هذا الفصل النصوص العربية المكتوبة بالخط العبري والنصوص المكتوبة بالخط القبطي.

العربية الوسيطة عند المسلمين

هناك نوع من النصوص يقف متمührداً عن باقي نصوص العربية الوسيطة التي ذكرناها هنا وهي نصوص البرديات الكثيرة. ترجع أقدم نسخ الخطوط العربية الفصية الأدبية ولاكتوبية القرن الثالث الهجري، ولكننا كان من الممكن أن تحتوي تلك النصوص على تعديلات أو إصلاحات أجراها النسخ أو الكتابة فإنه من الخطر أن نستنتج منها أي خلاصة بشأن الوضع اللغوي في زمن كتابة تلك النصوص، ولكن البرديات وثائق أصلية، وقدر الباحثون عدد الخطوط البردية التي حفظت لنا بحوالي ستة عشر ألف وثيقة، وحوالي 22 ألف نص مكتوب على ورق، وعلاقة على ذلك هناك.
عدد كبير من النصوص مكتوبة على مواد أخرى غير البردي كالجلد والخشب والزجاج والعملات المعدنية. كما أن هناك كمية كبيرة من النقوش.

يرجع تاريخ أقدم البرديات العربية إلى العام 22 من الهجرة، وهي بريدينان عربيتان ونص عربي يوناني. هناك أرشيف نسائى الذي يرجع تاريخه إلى الفترة ما بين عامي 64 و70 هـ. يرجع تاريخ أرشيف أفروديوتو إلى الفترة ما بين 90 و91 هـ. وهناك تزايد مستمر في عدد البرديات التي يرجع تاريخها لفترة ما بعد القرن الأول الهجري، ولكن أكثر فترة ظهرت فيها نصوص كانت القرن الثالث الهجري الذي من بعده بدأ عدد البرديات في التنامى، تناحر معظم النصوص من مصر، وكتب معظمها كتابة مسلمة في أعراب غير ألمبية، أي أعراب تجاري أو إداري.

يرجع أهمية البرديات إلى أن لغتها تعكس سمات نصوص العربية الوسيطة المنتشرة بشكل أو بآخر، مما يعكس أن نصوص العربية الوسيطة كانت منذ البداية حادثة عن تغيرات في العامة حدثت منذ وقت مبكر. ولكنا لا يجب أن نتذكر من حجم التأثير العامي لأن نصوص البرديات تلك لا تخلو من تأثير الفصحي، ليس هذا غريبًا إذا وضعنا في اعتبارنا غرض كتابة نصوص القراءة؛ فهي نصوص كتبها كتاب وناس مختصون. هم رجال حصلوا على قسط من التعليم. وكتبوا تلك النصوص لأغراض رسمية بلغة لا تخلو من أشكال جامدة نعمة. ولذلك إذا ما وجدنا مثلًا المبنى للمجهول أو المثلي المستخدمين بكثرة في البرديات فإن ذلك لا يعني أن هاتين السماتين كانتا مستخدمتين بكثرة في اللهجات الدارية في وقت كتابة تلك النصوص. تلك السمات أمثلة نمطية لعلامات الفصحي في الكتابة العربية في الماضي وفي الحاضر على حد السواء. تؤكد تلك الفكرة حقًا وجود الكثير من أخطاء أشباه اللغة الفصية في البرديات، من أمثال تلك الأخطاء استخدام آلف القلم مع بعض الأسماء المرفوعة واستخدام الفعل المرفوع بثبوت التون بعد المهم ولا توجد أمثلة على مركب الإضافة التحليلي أو سوابق الحياة وأنواعها، ولكن ذلك ليس غريبًا لأن تلك العلامات تنتمي لأنشطة اللغة غير الفصية.
علاوة على البريدات هناك أنواع أخرى من نصوص العربية الوسيطة في العصر ما قبل الحديث. من أشهر تلك النصوص نصوص ألف ليلة وليلة، وقد نشأت معظم تلك النصوص في الفترة ما بين القرنين الثاني عشر والسادس عشر، ولكن المخطوطات التي يتم فيها علما تلك القصص يرجع تاريخها إلى الفترة ما بين القرنين الثالث عشر والتاسع عشر. يبدو أن تلك القصص قد مرت بمرحلة تحسين أدبي وتهيئة، ويتضح ذلك من شكلها الذي هي الآن عليه، فمن الواضح أن العناصر الأدبية تمثل محاولة واعية لإحياء النص، ولكن معظم النصوص الحديثة قد نقحت المخطوطات وهبتهما بحسب قواعد العربية القصصية. ولكن أهم نسخة ألف ليلة وليلة موجودة لدينا هي طبعة محسن مهدي التي صدرت عام 1984، وهي الطبعة المحدثة محسن مهدي اعتماداً على المخطوطات بشكل أساسي ومباشر، انظر الافتراضات الأخرى التي نسقناها هنا من نسخة أخرى ألف ليلة وليلة كمثال على أسلوب كتابة تلك القصص، وهو أسلوب يعتمد على إدخال بعض السمات الأدبية في الحوار كاستخدام أداء النفي أما "أكلنَ الريح من هو أخبرني به فقال يا مولانا ما ينفه كلام مسروق فقال منى أعزق به فقال مسروق يا أعزق، يا رشيد يا جعفر ادخل بالله وأيضر من هو الذي قد ضرب مسروق وهذه خاتمي أمضى بها إليه وأيضى به فقال جعفر يا مولانا مسروق يجي أصلح.

ولكن ألف ليلة وليلة تختلف عن القصص الشعبي العربي الحقيقى في أن ذلك الأخير ينبع من ثراء شعري وقصصي شفاهي ينتمي قصاصهون محترفون في تجمعات الناس وفي الأسواق، ومن المفترض أن تكون تلك القصص الشعبية أصلاً محكية بالدارجة. ولكن عندما جمعها الباحثون المهتمون بعد ذلك لم يستطيعوا التخلص من تأثير القصص، ولذلك لا نستطيع أن نجزم بأن تلك الحكايات الشعبية في شكلها الحالي نموذج على الكلام الدارج، ما يزال الكثير من تلك الحكايات الشعبية موجودة في مخطوطات لم تطبع بعد، وهي مركزة خاصة في مكتبات موسكو وكمبردج.

استخدم الشعراء على مر العصور العاميات كوسيلة للتعبير عن مشاعرهم، ولكن ذلك أدى إلى ظهور نوع من الدارجة الأدبية وليس إلى عكس حقيقي لامعة الشعراء وشعبه. وقد حفظ الزمن لنا قصائد من الشعر العامي كتبها الشعراء السوري.
عمر المحار في القرن الثالث عشر والشاعر المصري علي بن بوبون في القرن الخامس عشر والشاعر الحضرمي السعد بن سويحه في القرن الخامس عشر أيضا. وكان هذا النوع من الشعر منتشرًا بشكل كبير في المغرب العربي، حيث تدخلت عناصر منه في الشعر الكلاسيكي، فقد أصبح من العادي في شعر الموشحات أن يضيف المؤلف مديبا عاميا إلى قصيدته، وكانت المذاهب العامة عادة ما تكون عربية أو بلجية، رومانية من اللهجات التي كانت مستخدمة في الأندلس.

في أنواع نصوص العربية الوسيطة التي ذكرناها حتى الآن، كانت العناصر العامية مرتبطه بوظيفة تلك النصوص القصصية والأدبية، ولكن في الرسائل العلمية العربية التي يكون موضوعها فنياً بحثًا وليس لجمهور المثقفين العاديين به اهتمام كبير تجد أن العناصر العامية عريضة بدرجة ما، ففي مجالات الطب أو الصيدلة أو في مجالات العلوم التقنية المختصة جدا كالرياضيات أو الفلك أو الكيماوي لا يقع المؤلف تحت تأثير قواعد الفصحي الكلاسيكية، بل أن الكاتب فضل استخدام قواعد العامة بدلاً من قواعد الفصحي لما له أحد على اختياره. وفي النصوص التي اختار كتابها عدما أن يستخدموا وسيلة لغوية غير رسمية تجد العناصر العامة بكثرة، ولذا في نفس الوقت لا تجد أخطاء أشباه الصحة إلا فيما ندر.

سوف نسوق فيما يلي مثلًا من عربية المثقفين المسلمين الوسيطة، والنص التالي من مذكرات أسامة بن منقذ (توفي عام ٥٨٧ هجرياً). فلما وصلنا عقلنا سحرا ووضعنا أثقالنا عند المصلى صبحنا الإفرنج عند طول النهار فخرج علينا ناصر النوبة يا قومي وانسلخنا فقالوا أرفعوا أرفعوا أرفعوا ناصلفة تخفيف لا يظلمونا الإفرنج عليها قال نعم قلت لا تخفونا فهم بوننا في البرية ويعارضونا إلى أن وصلنا إلى عقلان ما خفناهم نخفافهم الآن ونحن عند مدنيتنا؟ "(كتاب الاعتبار، تحقيق فاضق السامرائي، طبعة الرياض عام ١٩٨٧).

إننا في هذا النص نوع اللغة التي تتوقعها من رجل عربي من عيلة القوم كاسامة بن منقذ. درس النحو العربي ولكنه لم يكن قط متشددًا في علمه، فلم يجد غضامة في إهمال علامات النصب على الأسماء واستخدام متابعة كاملة للفعل والفاعل.
وعند استخدام لاحقة واو الجماعة في الفعل المضارع فيما جمع الفصحي استخدام الفعل المضارع المرفع يوجد بثيرت الذين فقد حافظ الكاتب في هذا النص على نمطية عامة دون أن يفقد صلته بالفصحي، واستخدام حرية كاملة في تغيير القواعد دون أن يشعرنا بأنه جاهل بها، والسمة المشتركة بين هذا النوع من العربية الوسيطة والأنماط التي ذكرناها سالفًا هي وجود اختلافات مع قواعد الفصحي. ولكن أخطاء أشباه الصحة منعدمة تمامًا في نثر أسامة بن منقذ ومن هم على شاكلته من الكتب.

3-7 عربية اليهود

كما رأينا سابقًا فإن العربية الوسيطة ليست نموذجًا فقيعًا خاصًا في العربية ولكنها تسمية لثور من النصوص يحتوي على عناصر حيوية عن قواعد الفصحي. ومع ذلك فتثبت اليهود أو السجاحون بالعربية فإنه من المثير أن ننظر إلى عربتهم المكتوبة تلك على أنها نمط خاص من أنماط العربية. ذلك لأن نمط العربية الذي يستخدمونه في الكتابة يصبح نمطاً محدوداً بمجموعة لغوية معينة. وكثيراً ما يشار إلى النمط اليهودي في العربية الوسيطة باسم عربية اليهود، ففي بدايات الفتحات الإسلامية كانت لغة اليهود في البلاد المفتتحة هي الآرامية، وكانت العربية لغتهم الدينية واللغة التي كانوا يكتبون بها شعرهم، ولكن العربية لم تكن قط لغة كلام في أوساط اليهود في العالم العربي الإسلامي، لا تعرف حتى الآن حتى تحولت لغة الكلام عند اليهود من الآرامية إلى العربية، ولكن ذلك لا يكفي قد حدث في مرحلة مبكرة بعد الفتح، يرجع تاريخ أقدم كتابة أدبية يهودية باللغة العربية إلى القرن التاسع الميلادي، ويرجع تاريخ معظم الوثائق غير الآرامية لتلك الجماعة إلى فترة بعد العام 1000 وقد تم اكتشاف معظم تلك الوثائق في القاهرة، وهي مما تسمى بوثائق الجنبية. ولا لم تكن العربية الفصحي معيارًا حتميًا وضرورةً بالنسبة اليهود الذين كانوا يتكلمون شكلًا دارجاً من العربية فقد ظهرت في نصوصهم سمات عامة أكثر مما ظهر في النصوص التي كتبها المسلمون. ولكننا لا نستطيع أن ننظر أن تلك السمات على أنها أخطاء لغوية أو دليلًا على قصور اللغة بالفصحي وقواعدها، فعوضى بن ميمون (توفي عام 1204 ميلاديًا) على سبيل المثال كان يستخدم عربية فصيحة سليمة جميلة في رسائله التي

139
وجههما لمسلمين، ولكن عندما كان يكتب لبني دينه كان يستخدم لغة تحتوي على كثير
من سمات نصوص العربية الوسيطة الأخرى.

تتميز العربية التي استخدمها الكتاب اليهود بسمتين مميزة هما: أولًا، مسألة أن
كتابات اليهود كانت بالخط العربي، والسماة الثانية وجود قدر كبير من الكلمات عبرية
الأصل في تلك النصوص، وثانيًا هو تتسجيل اللفظات العربية بحروف عبرية مساعدة تغيير
حروف، فكل حرف عربي كان يقابل حرف عربي في عملية مقابلة محكمة، وليكنت
الألفاظ العربية أقل عدداً من ممثلاتها العربية فقد احتاج اليهود بعض التعديلات
لإيجاد تلك المعاني. من أبرز التعديلات التي أجرياها الكتابة اليهود هو استخدام رموز
الوفظات العربية للتعبير عن فوائديات عربية. يوجد في العربية للألفاظ الافتراضية
الألفاظ احتمالية، تظهر في بعض الأمثلة الصوتية المحدودة، ويعبر عنها في الخط
العبري بنظام مع الحروف، وفي عملية نقل الكتابة العربية بحروف عبرية استخدمت الكتابة
رمز تلك الألفاظ للتعبير عن أصوات عربية قوية ولكنها ليست موجودة في الخط
العبري. ولكنه قد تلخص في الخطوط المتزامنات الأصوات على تلك الحروف محدودة، ويضفي
ذلك على النص بعض الغموض، وفي حالة الأصوات والحروف العربية التي لم يشتر
هم تقديرها بهذا الشكل استخدم اليهود الرموز العربية للأصوات المحدودة وأضافوا
إليها نقطة. لذلك تجد الفصل العربي وفوقه نقطة تعبير عن صوت الضاد العربي،
يعكس فصل الكتابة اليهود بين الضاد والضاء في نقل حروف العربية للعبري حقيقة أثنا
تعمل هذا مع حالة نقل كتابة لكتابة، لأن الفوائد قد انحدرو تماماً في العاميات
الدارجة، وهي الحقيقة التي يعكسها أيضاً حرص الكتابة اليهود على تسجيل أداة
التعريف العربية حتى في الليينات التي تضمن فيها فيما يليها من أصوات.

ولكن هناك بقايا لتفسير نظام نقل الحروف هذا، فتشمل الآثار على أن
عملية كتابة اللغة العربية بحروف عبرية كانت تم على أساس لغة الكلام، بالرغم من أن
معظم النصوص العربية اليهودية ترجع إلى ما بعد العام 1000، فإن لدينا بعض
البرمائيات العربية اليهودية المصرفية التي يرجع تاريخها إلى القرن التاسع الميلادي، ولم
تبق تلك النصوص ضحية تأثير نظام الكتابة العربية الفصيحة. من أهم سمات تلك
النصوص أن أصوات الضاد والضاء العربية كانت تكتب باستخدام رمز الدالت العبري

140
الذي كان أقرب معادل صوتي للصوت العربي الذي يسمعونه. على ذلك كانت تلك النصوص تعبير عن أداة التعرف في شكلها المضغوم في حالة الإضظام ويشكلها الصريح في حالة مجاورة الأصوات القرمية. يعني ذلك أن الكلمة اليهودية، بدلاً من الأمر كانوا يستخدمون نظام نقل اللغة العربية يقوم على معايير الكتابة العبرية والأرامية ليسجلوا محتوى لغة الكلام الصوتي. اختفت هذا النظام في القرن 1000 وحل محله نظام آخر قائم على نظام الكتابة العربية أساساً، وقد يكون السبب في ذلك التأثير الكبير الذي كان لترجمة الكتاب المقدس في القرن العاشر الميلادي. وهي الترجمة التي استخدمت هذا النظام الجديد، في بعض النصوص المبكرة حاول الكتاب اليهود تسجيل أصوات اللين العربية القصيرة بحروف أصوات اللين العبرية، ففي جزء من ترجمة الكتاب المقدس، هناك تسجيل لعلامات الإعراب على أواخر الكلمات كما يجب بالنسبة لترجمة كتاب مقدس، ولكن بعض أصوات اللين القصيرة الأخرى على أواخر الكلمات قد حذفت من هذا الجزء. في هذا النص هناك تسجيل للإملاء وأداء التعرف العامية أبل أوحرف العطف أو التعلمي.

المعتقد أن السبب وراء استخدام الحروف العبرية في كتابة اللغة العربية هو الوضع الخاص للجالسات اليهودية في الإمبراطورية الإسلامية. بالرغم أنه من الواضح أن نقول إنهم قد تحرروا تحت مزحة تلك الإمبراطورية التي كان يحميها خليفتها، وبالرغم من أنهم كانوا أحراراً في ممارسة شعائرهم الدينية إلا أن الغواصات الاجتماعية بين المسلمين واليهود كانت كبيرة. ولا شك أنهم ظلوا جماعة ذات ظروف خاصة. وقد كرس استخدام الحروف العبرية شعورهم بالجماعية، وقد تقلوا الكثير من النصوص العربية للحروف العبرية أو تجموها لغة العربية.

السمة الأخرى التي ميزت النصوص العربية اليهودية عن باقي الكتابات العربية هي استخدام كلمات عربية بكثرة. من خلال استخدام تلك الكلمات العربية أصبحت لغة الأدب والعلوم العربية اليهودية غير مفهومة للمسلمين أو كل أصبحت غير اعتيادية على الأقل، لذلك بالرغم من أن العربية اليهودية كانت تشبه العربية المسليمة الوسيطة أو عربية المسيحيين الوسيطة من حيث النبات، فإن وجود الكلمات العربية كان يميز هوية النص على أنها نص كتبه مؤلف يهودي، ولم يكن استخدام الكلمات العبرية محدوداً.
بلغة الكتابة فقط كما تبين لنا لهجات اليهود العربية الحديثة، كللهجة يهود تونس مثلاً.
ففي عامية اليهود العرب الحديثين هناك الكثير من الكلمات العبرية وخاصة في المجالات العقائدية والدينية.

في بعض النصوص العربية اليهودية هناك فقرات عبرية كاملة في وسط فقرات عربية، يكتر ذلك في تفسيرات التلمود لمثلها وخاصة عندما يقتبس الكاتب النص التلمودي العربي أو الآرامي الأصلي ثم يشرحه بعد ذلك باللغة العربية. ولكن النصوص العربية الكاملة تعتمد بالكلمات العبرية المستمرة. عندما كان الكتب اليهود يستخدمون كلمات عبرية في شكلها العربي أي ليس ككلمات مستمرة ومُحرِّفة لتناسب بنية اللغة العربية تجدها معدلة نحوياً. ولكن في معظم الحالات يعد الكتب أيضاً الكلمة العبرية من الناحية الصرفية والصوتية تظهر على أنها صاحب كلمات ضمن معجم عربي قائم. وكان كتابة العربية اليهودية واعين بوجود مفردات عربية وعبرية مما سمح لهم بتعريب الكلمات العبرية، فقد كانوا ينقلون الكلمات العربية التي على زرن إلى "hitpashot" وزرن ""تهليل" العربية، فتجد الكلمة العبرية ""يحزن" قد أصبحت ""باب" في العربية اليهودية. وعلاوة على ذلك كان الكتاب اليهود يضعون السوابق والواحقيات العبرية على الأفعال العربية.

وبنفس الطريقة قد يضع الكتاب للأسماء العربية ضمن جمع تكسير عربية بدلاً من جمعها العربية، وقد يستعجض الكتاب بأداء التعريف العربي عن مثيلتها العربية حتى ولو كان السياق كله عبريًا، وهو ما بين أن أداء التعريف العربية قد أصبحت جزءاً من "العمل" هناك نص من نصوص الجينية التي اكتشفت بالقاهرة يكتب كاتبه العناصر اللغوية العربية بالخط العربي والعناصر العربية بالخط العربي، ويستهل بطيعة الحال من خلال ذلك النص أن نعرف العناصر التي أعتبرها الكتب والكتابة عبرية، فتجد في هذا النص خليط من الأدوات العربية والاسم العبري مكتوب بالعبرية.

وتنضح الطبيعة الاعتراضية العشوائية لاستخدام الكلمات العربية مكان الماردات العربية من خلال النصوص التي تحتوى على الترجمتين بشكل غير مثير فتجد في تلك النصوص كلمات من أمثال "زوج ثانٍ" وفي السطر التالي تجد "يعلِّها الثاني" نومنا
atsby, يحدث هذا الخلط أيضا مع أسماء الأعلام فتجد في نص من النصوص اسم شخص مكتوب بشكله العربي، وتجد نفس الاسم في نفس النص ولكن في موضع آخر مكتوب بشكلة العربي. ولكن يمكننا أن نقول إن معظم الكلمات المقتrita من العربية في العربية كلمات تنتمي لمجالات الدين والعبادة، ولكن ذلك ليس قاعدة مطلقة.

من الصعب تمييز تربيعات إقليمية داخل تصنيف العربية اليهودية. فقد أصبح استخدام العربية اليهودية في الأغراض الكتابية مقعدا وممطا، بل وظهر نوع من العربية اليهودية القصصية العالية في عموم العالم العربي. ومن ناحية أخرى كانت أنماط هجرة اليهود وتنقلهم من منطقة لأخرى في العالم الإسلامي كثيرا ما تغير الصورة اللغوية، لذلك تجد أن اليهود المصريين كانوا يكتبون بعربية تشوبها عنصر مغربية أكثر من المسلمين المصريين. وختاما، لم تستطع الكتابات العربية اليهودية منها في ذلك مثل كل أنماط العربية الوسيطة الأخرى أن تخلص من تأثير العربية الفصيحي.

7 - عربية المسيحيين الوسيطة

كما كانت الحال مع نصوص العربية اليهودية الوسطى كانت العربية التي كتبتها السيوبيون أقل تأثيراً بقواعد الفصيحي من النصوص التي كتبتها المسلمون، تتبع معظم نصوص العربية الوسطى المسيحية من منطقة جنوب فلسطين وبيتانيا، معظم تلك النصوص محفوظة حاليا في دير سانت كاترين في جنوب سيناء، من السمات المميزة للعربية الوسيطة المسيحية هي أن معظم النصوص تترجم إما من اليونانية أو من السريانية، والقليل من تلك النصوص كتب بالعربية في الأصل، تضفي تلك الحقيقة بطريقة الحال إلى الطبيعة اللغوية للعربية لتلك النصوص، أحيانا يصعب التفريق بين العناصر الناتجة عن تداخل اللهجات الدارجة وتلك العناصر الناتجة عن الترجمة. فقد كانت الترجمات في كثير من الأحيان خفيفة وتبني تراكيب مستعارية من الأصول اليونانية أو السريانية، وقد كان وقت تلك التراكيب غريبا في سياق اللغة العربية، ولكن تلك التراكيب أصبحت منبتة ونشطة في سياق تلك النصوص الوسطية بنفس الطرق التي أصبحت بها السمات المقتrita من ترجمات الإنجيل فاعلة ونشطة في اللغات
الأوروبية في مراحل تكوينها المبكرة بالرغم من أنها كانت مجرد نسخ من التراكيب العربية واليونانية.

ترجم الوثائق العربية المسيحية إلى حقيقة تاريخية أقدم من الوثائق العربية اليهودية، بل إن بعضها يرجع أحيانًا إلى القرن الثامن الميلادي، كانت الأدبية في تلك الفترة لغة حية لم تزال، وكان الكثير من الكتب المسيحيين يتكلمون باللغة الأرامية أو السريانية والعربية معًا، ولذلك قد يعكس استخدامهم للعربية بعض التدخل المباشر من لغاتهم الأصلية. بعض تلك النصوص كتب بالخط السرياني، وهي النصوص المعرفة بنصوص الخرشوني، كما أن هناك نص بالخط اليوناني، بل إن هناك القليل من تلك النصوص التي حفظت لنا حتى الآن مكتوب بالخط القبطي.

من بين نصوص العربية الوسيطة المسيحية ترجمات كتب السير كتراجم القديسين مثلًا، وتمثل نصوص العظات وكتب الإباء أمّ تلك التصوص، وكان هناك أيضا عدد كبير من ترجمات الكتب المقدس بعدها القديم والجديد، ولكن من المشكوك فيه أن تكون تلك الترجمات راجعة لمراحل ما قبل الإسلام لأن ترجمتها تحتوي على أخطاء أخطاء شبه الصحة الموجودة في نصوص العربية الوسيطة التي ظهرت في مرحلة التقدم اللغوي. بعض تلك النصوص كتب بالعربية أصلا ولم يكن ترجمة عن أصل يوناني أو سرياني، والكثير من تلك النصوص رسائل مسيحية كتبها مسيحيون عرب. من بين تلك الرسائل الرسالة التي كتبها تيونير أبو قرة (توفي حوالي 280 ميلاديًا) تتضمن النصوص العربية غير الأدبية التي كتبها المسيحيون كتبها في التاريخ كرسالة يحيى بن سعيد الأندلسي في القرن العاشر أو الحادي عشر.

في نصوص جنوب فلسطين التي تنتسب للقرن الثامن والتي استخدمها بلان في كتابة قواعد العربية المسيحية تحتفظ بعض سمات العربية الوسيطة تمامًا، يشير بلان مثلًا إلى ندرة أدامة الإضافة التحليلية الشديدة في تلك التصوص، وفي الجزء الأقدم من تلك النصوص كان الكتاب يراعون قواعد الفصحى بشكل كبير. ولا تظهر بعض سمات العربية الوسيطة إلا مؤخرًا عندما تكون قوة الفصحى تتأثر بها على تلك النصوص قد تبداء. فتجد في أحد النصوص العربية المسيحية المكتوبة بالقبطية والذي يرجع تاريخها
إلى القرن الثالث عشر الميلادي أثار وضاحة لنطق العامية الدارية، ولكن بالرغم من أن هذا النص مكتوب بخط أجنبي إلا أن القواعد النحوية وبعض القواعد السريفة فصيحة تمامًا، وبدلاً ولد بعض أخطاء الصحة اللغوية على نزعة الكاتب تجاو استخدم النموذج الفصيحة.

بالرغم من أن هذا النص المكتوب بالقبطية والذي ربما يكون سيرة حياة القديس بخوم لا يعكس حيوانًا كبيرًا عن قواعد الفصحى الكلاسيكية فإنه وثيقة رائعة على عربة القرن الثالث عشر وسبب أهمية تلك الوثيقة كتابة أصول الدين، فالإنجليز من أكثر السمات الصوتية واضحة في هذا النص، حيث تجد دافعًا كل صوت مفخم، وإذا كانت أداة التدريب الموجودة في النص مكتوبًا دائمة باستخدامها حتى في جوانب الأصوات المفتمة، فإن ذلك يعني أن هذه الأداة تترجم للADAة العامية وليس لADAة الفصحى داخل عليها الإشارة، وكان رمزًا أيضًا يستخدم مكان أصوات الدين الفصحى latex المحدودة في العاميات الحديثة كما هي الحال في كلمة"الशيوخ" حيث لا توجد ضمة على أياً من الأحجار في هذا النص استخدم لاحقة تاء على أواخر الكلمات، وأحيانًا تكتب ككلمة مستقلة، وهي لاحقة تستخدم بعد الأسماء النكرة يحض النظر عن موقعها في الجملة للتعبير عن دخول صفة عليها كما هي الحال في رجل قديس أبيضر، ربما تكون تلك اللاحقة مستدمة من تونين الكسر الفصيحة ولكنها تطورت في اللغة المصرية لتعبر عن إلحاق صفة باسم بناية وعلى ذلك تشبه تلك اللاحقة في وظيفتها التنوب في لهجات شبه الجزيرة العربية المبكرة الحديثة.

عندما ننظر لنصوص العربية الوسيطة السامية المتأخرة فسنجد ظواهر ثبوت هذه القواعد الفصحى الصريحة، فإذا أردت أن تجر أمثلة على الإضافة التحليلية فانظر المخطوط الذي يحتوي على سيرة حياة القديس ميناس الذي يرجع إلى القرن الثامن عشر. سوف تجد فيه مثالًا ما يلي: "بالحقيقة قد هدم هذه الأسماء من الشهداء بتاعنا" (النور جارنيزر 1993: 454). يوجد من تلك السيرة نسخ كثيرة جداً، ويحتوي معظمها على أخطاء صحة لغوية كثيرة، فالمثال الشهير في البرية وحدها
ويه بالقرب من بيعة القيديسة تكلا نحو ميل ولم يكن أحدا من الناس يمشي معها وإذا بجندى من حرس الطريق قد دخل فيه الشيطان ففسكته وقال لها إلى أين ماضية فضدت أنه يجعل لدي أخذت معها فقاتله أنا ماضية يا سيدى إلى بيعة الشهيد العظيم أبو مينا.

في هذا النص أسلة متعددة على أخطاء الصحة اللغوية في النصوصات وأشكال خاطئة للفعل واستخدام آن أبدلاً من آن أن استعمل تركيب اسم الفاعل بشكله العالي بدون فاعله. وذلك بالإضافة إلى مشاكل الكتابة كاختلاف الذال والفاء على سبيل المثال.

تبين تلك الأمثلة أن الكتب المسيحيين أحسوا بضغط النموذج القديم وإلا ما اضطرروا إلى ارتكاب أخطاء صحية لفوية، كما تبين أن قواعد الفصحى نفسها أصبحت أقل حدة وإلا لما ظهرت أي أمثلة على الإضافات التحليلية في تلك النصوص، بالرغم من أن الشرح المكتوب على الأيقونات القبطية من القرنين الثامن عشر والتاسع عشر تنتمي لسياق ديني فإنها تجد فيها أمثلة على عناصر غابية في التصويب العربية الوسيطة عند المسلمين مثل استخدام الفعل المضارع السباق بالباء.

7 - 5 العربية الوسيطة المعاصرة

اعتمادًا على تعريف العربية الوسيطة السابق يمكننا أن نعتبر النصوص المعاصرة ذات الأساليب المختلط نوعًا خاصًا من العربية الوسيطة، المختلفة تظهر تلك التنويع من النصوص في عصر انتشار في التعليم وزادت نسبة الناس الذين يملكون ناصية العربية القصيرة بقدر أو نادرة، فهناك الكثير من أنصار المتعلمين الذين يستطيعون كتابة نصوصاً بسيطة ولكنهم لا يتقنون قواعد الفصحى السليمة. عندما يكتب هؤلاء الناس العربية فإنهم ينزعون لارتكاب نفس الأخطاء اللغوية التي نجدها في العربية الوسيطة القديمة.

من أهم سمات العربية الوسيطة القديمة والحديثة معا سمة التبذير وعدم الانتظام في السمات النحوية، مما يؤكد أن تلك النصوص ليست مكتوبة بنوع
مستقل وخاص من العربية، فقد يتكرر خطأ ما في جملة ما بشكل صحيح في جملة
لاحقة، فبإمكان أن تجد كلمة المطبقة الفصيحة مهملة في جملة ومتبقة بعناية في جملة
أخرى، بل وفي حدود جملة واحدة يمكن أن يشير إلى شخصين باستخدام المثل مرة
وباستخدام الجمع مرة أخرى.

في التعريف الأصلي للعربية الوسيطة تحتوى تلك النوعية من النصوص على
نصوص أدبية ذات عناصر عامة كما كانت الحال مع مذكرات أسامة بن منظد، ولكن
هناك فرقًا كبيرًا مع ذلك بين النصوص الأدبية الكلاسيكية المختلطة وأمثلة الأدب
المعاصر. بعد عصر النهضة أصبحت مسألة استخدام العامية في الأعمال الأدبية محل
النقاش ساخن لدى المؤلفين في العالم العربي، ففي مصر حفز مبدأ التصوير الكثير من
الكتاب أن يكونوا وضع الازدواجية اللغوية القائمة في مجتمعهم. فقد شعر بعض
الكتاب أن استخدام العامية في الحوار الأدبي أمر محتمل عندما ينقل الكاتب كلام
شخص جاهز ويدو يستخدمون خليطًا بين العامية والفصحي، وبالرغم من أن
المتعلمين أيضاً يستخدمون العامية في كلامهم اليومي فقد كان هناك شعور بعدم
الارتياح أو استخدموا تلك العامية عندما كانوا يتكلمون على الورق وفي الأعمال
الأدبية.

وبعد مرحلة بدايات القرن العشرين حيث حاول الأدباء دمج العامية والفصحي في
الأعمال الأدبية أصبحت النزعة القومية العربية عاملاً مثيراً في تقبل المجتمع للعناصر
العامة حيث أصبح وجودها في النص جديداً، وحتى الكتاب الذين استخدموا العامية
في أعمالهم المبكرة كتوفيق الحكم أعلنوا تخليهم عن هذا الخط ونزعوا لاستخدام
فصحي صرف. ولكن هناك نقطتين جديرتين بالذكر هنا، أولاً، كما أن الكتاب الذين
أصدروا على استخدام العامية في كتاباتهم لم يستطيعوا الهروب من تأثير الفصحي
كلية. وذلك يجعله غير مقبول للفهم مثلاً على العامية الصرف. فغالبًا ما يكون استخدام
العامة قاصرًا على تضمين النص للسمات العامة فقط.

ثاني نقطتين أن كتاب النثر العربي الأدبي غالبًا ما تكون لهم معرفة حديثة
بالفصحي ويكون استخدامهم للفصحي استخداماً داخلياً ومقصود، وذلك يصعب أن
تجد في كتاباتهم أخطاء الصحة اللغوية بكثرة لأن معرفتهم بالفصحي واسعة وتعليمهم
وافر، ولذلك يمكننا أن نعتبر أن هذا النوع من العربية الوسيطة يقع ضمن نصوص العربية الوسيطة التي ضمنها كتابها عناصر عامة لإضفاء صبغة محلية على نصهم، بل إن بعض الكتب العربية الحديثة يُخزّون بقدرهم على كتابة مسرحيات كاملة بالعربية العالية. بينما هم في الحقيقة قد طوروا نمطًا إبداعيًا من تلك النمطية ليس غير، في حقيقة الأمر تمثل مصر حالة فريدة في استخدام النمطية لأن موقع اللهجات المصرية يختلف عن موقع باقي اللهجات العربية، ولكن حتى في مصر لا تشبه اللهجات المكتوبة.

هناك معايير أخرى للكتابة العربية وهو الإذاعة، حيث تستخدم النصوص الشاملة البرامج بصورة مرحلة. فتوجد المذيع في بعض الأحيان يحاول أن يحول نص البرنامج المكتوب أمامه إلى كلام عامي. يعراض النص الإذاعي أكثر حضوري، ولكن النص التالى المأخوذ من برنامج "روب البيوت" تُميّز أكبر محطة تلفزيونية في أوروبا أريت دراسة عن المرأة، دراسة غريبة ومفيدة، وليست مسيرة لأنها تكلم عن النساء التي يجعلن المرأة شخصية لا تنسى، شخصية محدش أبدًا يُؤثر بسهامها.

تحاول المكتوبة في هذا النص أن تتخدم النص العامية بل وتشعر أنها فعلاً تتعمدها، ولكنه من الواضح في نفس الوقت أن النص الأصلي المعد للبرنامج نص فصيح، والدليل على ذلك وجود البنى المجهول في "لا تنسى واستخدم لأنها" من "أيضاً" للفصيحين. يبين هذا النص السطوة الفصيح على السياق اللغوي في المجالات الرسمية حتى عندما يحاول المكتوبين استخدام النص العامية.

يمكن وجود معايير أخرى لتلك الظاهرة في الكتب العربية التي تصدرها الحكومة لل.GetInstanceة العامة المقيمة في هولندا، اختارلرد الكتابة الهولندية لأسباب أديولوجية أن تستخدم اللهجات العربية في تلك الكتب، ولكن في حقيقة الأمر لا يبدو استخدام النص العامية هذا إضافة بعض السمات بينما يبقى تركيب النص فصيحًا سليماً. انظر المثل التالي المأخوذ من كتب عن الضرائب في المملكة الهولندية: "كما تعرفون إن"
الأجنبي كيتمنج كثير الصعوبات والتغيرات في الحياة ديالي وبالخصوص مع الأولاد على كيتمنج للمدرسة ولذاك فلن الواجب عليها باش تعرفوا النظام وكيفية التعليم في الهولندا.

بالرغم من المحاولة الجادة لاستخدام العامية المغربية في هذا الكتيب المكتوب أصلا بالهولندي فإنه الترجم لم يطلع في الفكاك من قواعد الفصحي في الصياغة وتركيب الجملة، وفي بقية النص هناك تزداد بين العناصر العامية والفصيحة، وهو ما بين عجز الترجم عن التخلص من العربية الفصحي.

من المؤكد أن النص الذي اقتبسناه سالفًا لم يكن له نسبيًا عربيًا وسيطًا، ولكن هناك سمات مشتركة مؤكدة بين نصوص العربية الوسطى المعاصرة وتلك النصوص التي ناقشناها في الأقسام السابقة من هذا الفصل، فالقاسم المشترك بين كل النصوص التي تختلط فيها العامية بالفصحي على كل المستويات الكبيرة هي قوة الفصحي وسطتها على النص، وإذا كان الكتاب يستخدمون العناصر العامية عميدًا أو حتى فشلوا في الحفاظ على قواعد الفصحي فنتج عنصر عامي بدلاً منه فإن كل تلك الكتابات تقع في دائرة الفصحي وسوف نرى ظاهرة شبيهة في إنتاج العامية في الفصل الثاني عشر.
الفصل الثامن

دراسة اللهجات العربية

8- دراسة اللهجات العربية

ركزنا النظر في الفصول السابقة على العناصر التي تتشابه فيها العاميات في مقابل الفصحي. لقد بنا على هذا السياق أن تلك اللهجات أشكال مختلفة ومستقلة عن العامية ليست مجرد تنويهات على الفصحي. سوف نركز في هذا الفصل الذي يليه على الفروق بين اللهجات، وخاصة تحديد الفروق الجغرافية والمناطق اللهجاتية التي تنقسم إليها درجات العربية، سوف ننظر بالعناصر الاجتماعية في اللهجات العربية في الفصل الحادي عشر.

تعتبر الدراسة المنظمة لجغرافيا اللهجات اختراقًا لعلم اللغة العربي الأوروبي في القرن التاسع عشر، ولكن من الخطا أن نزعم أن العرب أنفسهم لم يروا الفروق بين اللهجات في العالم العربي. رأينا سالفة أن النحويين العرب كان يتقابلون التنوع والتأتيقة في لهجات الجاهلية، بل وهم من جمع أشكال ذلك التنوع لأنهم فكروا في تلك الأنماط المتباعدة على أنها من ضمن جمهورية الفصحي العربية التقليدية، ولكن النحويين لم يكونوا مهتمين بتسجيل اللهجات الحضرية التي ظهرت في عصور الإمبراطورية بعد الفتح. بحسب نظرية النحو العربي القديم كانت تلك اللهجات الحضرية لاحقة ولذلك تجنبوا دراستها بل وحتى ذكرها في كتبهم، ولكن العلماء الذين درسوا فروعًا غير النحو قد أبدوا اهتمامًا بتنوع اللهجات العربية واختلاف المناطق اللهجاتية في الإسلام وأسبابه، فتجد الجاحظ (توفي عام 455 هجريًا) في وقت مبكر من تاريخ الإسلام يخبرنا "وأهل الأحساء Ibn يتكلم باللغة النازلة فيهم من العرب ولذا تجد..."
الاختلاف في أفاظن من أفاظن أهل الكوفة والبصرة والشماع ومسرة (انظر البيان والتبيين، المجلد الأول، ص 28). ويضيف الباحث أن هجرة الفرس إلى الكوفة جبت عددًا من الكلمات الفارسية إلى المدينة كاستخدامهم لكلمة "وزارت" بدلاً من "سوق" و"خبار" بدلاً من "قضاء". وكان موضوع النحو اللغوي محدودًا جدا بكتابات من أثار كتابات الباحث تلك علواً على كتب المؤرخين والجغرافيين والرحلة العرب، فتجد فما تكانت مؤلفين يتكلمون أحيانًا عن القوارئ في النطق بين المواقع المختلفة وعن الاختلافات، تكمن أحيانًا في المناطق التي يزرونها. يعتبر من أكبر المراجع اهتمامًا بوصف طريق حدوث أهل الإمبراطورية الإسلامية، حيث نشأ الكتاب المنسى (توفي عام 326 هـ) أحمد النقسي في معركة الأقاليم. وقد ناقش النقسي في هذا الكتاب بدقة الخصائص اللغوية الخاصة بكل إقليم زاره وقدم علواً على ذلك قائمة بالعناصر الصوتية والمعجمية الخاصة بلهجة هذا الإقليم.

وقد ركز بعض الكتاب على التوزيع الاجتماعي للسمات اللغوية ولكن تجد في مقدمة ابن خلدون (طبعه بيروت الثانية، ص 557 - 8) فصلاً كاملًا كرسه المؤلف للفرق بين اللهجات الحضرية واللهجات البدوية. عنوان هذا الفصل هو "في أن لغة أهل الحضر والأصمار لغة قائمة بنفسها لغة مصر"، يوضح ابن خلدون في هذا الفصل أن طريقة حديث أهل الحضر تختلف تماماً عن طريقة كلام مصر في الجاهلية وطريقة كلام البدو المعاصرين زمن التأليف، ويمثل لهذا الفرق الكبير بufact الحضر لعلامات الإعراب وهو ما يسميه التحويون بالعين. ويستمر ابن خلدون ليشرح أن لكل إقليم لهجه خاصة فشريت العالم الإسلامي يتكلم بشكل مختلف عن غربه، وتتكلم الأندلس لهجة مختلفة تماماً عن اللهجتين السابقتين.

كما رأينا سابقًا أن ابن خلدون يعزز التغييرات التي طرأت على العربية للاتصال الذي حدث بالمعالي في البلاد المفتوحة، ويقول هنا إن الاختلاف بين اللهجات العالم الإسلامي راجع إلى وجود عناصر رمزية مختلفة بالإضافة للعنصري العربي في كل إقليم. بناءً على ذلك تجد أن ابن خلدون يفسر خصوصية لهجة المغرب العربي بوجود عنصر اللغة البربرية فيقول: "فصارت لغة أخرى متجزئة والعجمي فيها أغلب". وينفس
الطريقة يقول إن الاتصال بين العرب ومتكلمي الفارسية واللغات التركية قد أثر على لغة المشرق الإسلامي.

بين المؤرخ العظيم في نص من التصويم أنه واقع تماماً بخصوصيات اللهجات اليدوية فيقول: "وما وقع في لغة هذا الجيل العربي لهذا العهد ما كانوا من الأقطار شاتهم بالنطق بالقيف فإنهم لا ينطقون من مخرج القاف عند أهل الأسوار كما هو مذكور في كتاب العربية أنه من أقصى اللسان وما فوقه من الحلق الأعلى وما ينطقون بها أيضاً من مخرج الكاف وإن كان أخفض من موضع القاف وما يليه من الحلق الأعلى كما هي في لغة أتراك بين الكاف والقاف" (انظر مقدمة بن خالد، ص 507).

يعتبر هذا وصناً دقيقاً جداً لواحد من أهم الفوارق بين اللهجات اليدوية واللهجات الحضرية، وهو موضوع نطاق القاف، نعرف أنه في وصف سليماني لصوت القاف يظهر هذا الصوت كعنبين مجهور. ولكن ابن خلدون لم يذكر أن اللهجات الحضرية تنطق هذا الصوت مهموساً، ولكنه في نفس الوقت يذكر على الفرق في مخرج الصوت في كل من اللهجتين. أما في كتاب النحو فيصع أن جد وصفاً لهذا الفارق من الفوارق اللهجية.

عندما أصبح الباحثون الأوروبيون المهتمون بالعاميات العربية في القرن التاسع عشر لم تجد تلك الموجة ترحيبًا كبيرًا في العالم العربي من قبل علمائه، فلما كانت اللهجات العربية أنماط لفوية أقل احتراماً من الفصحى فقد شك العلماء في الاهتمام ببنية تلك اللهجات، في حد ذاتها، المسألة في مصر مختلفة بعض الشيء، فقد كان هناك اهتمام بالتنوع العجمي بين أقاليم مصر من بداية القرن السادس عشر الميلادي، فقد حاول يوسف المغربي (توفي عام 1169 هـ) في كتابه "تتبع الأسرة عن كلام أهل مصر" أن يسجل طريقة نطق العربية في مصر. ويذكير بعض "الأخلاق" التي يربطها أهل مصر في الكلام، ولكنه في موضوع كثيرة يدافع عن لهجة أهل مصر على أنها متعلقة بالعربية انتقائية وثيقة، وحتى عندما يتقد لهجة مصر، فإن الأسئلة التي يسويها تعتبر كثيراً كبيراً بين لنا الكثير عن لهجة مصر البقرية، انظر مثالاً: "ناس في مصر يقولون حتى بعض الخواص يغير نظر، فلأنه هو عمل كذا أو أه هو جا مثلاً"، هذه الفكرة لا حيلة في تصحيحها ومرادهم ممثلاً هو أو هذا" (انظر دفع الإصر، ص 32).

153
وفي القرن التاسع عشر وحتى في مصر أحس الناس أن دور العربية الفصحي كمحور موحد لكل الأمة العربية أصبح مهدياً بفعل الاهتمام الزائد باللغات التي هي رمز تفرق وتشرب السمة. يعتبر هذا الشوف مثيراً بعض الناس لأن السلطات الاستعمارية في بعض الأحيان كانت تفعل دور اللهجات العامة بقوة. ففي الجزائر على سبيل المثال حرم الفرنسيون تدريس العربية الفصحي. وخلال اللهجات الجزائرية مكانها. وفي مصر دعت السلطات البريطانية تجار المستشرقين لاتخاذ الخط اللاتيني مكان الخط العربي كوسيلة كتابة للعربية المصرية. ونتيجة لذلك أصبحت أبعاد اللهجات مرتبطاً بالسلطات الاستعمارية وسياسات التقطب، وأصبح الناس ينظرون لعالم اللهجات على أنه أداة في يد الاستعمار. علوا على ذلك أدوات المواقع المتضادة.

وفي العصر الحديث ما زال من الصعب أن تثير اهتمام الناس باللهجات كمادة للبحث العلمي الجاد. فمازال مكونون عرب كثيرون يظنون أن اللهجة فقط لغوي ليس له قواعد يستخدمه الأطفال والنساء، وحتى في بعض الجامعات يصبح من الصعب فحول دراسات لهجة كموضوعات لرسائل الدكتوراه. لا يعني ذلك أنه لا يوجد علماء لهجات عرب، فقد طبق الكثير من اللغويين العرب خبراتهم البحثية على لهجاتهم الخاصة. بل إن من أفضل كتب اللهجات العربية ما كتب بيد عربية. ولكن يمكننا أن نقول على وجه الس明朗 إن دراسة اللهجات تعاني لا تزال من المشاكل التي سردناها سلفاً.

وبغض النظر عن المشاكل السياسية في علم اللهجات يواجه الباحثون في هذا المجال مشكلة عامة خاصة بالبحث اللهجانيما. لا وفية مشكلة حياء الملاحظة. ولا تعتبر تلك المشكلة خاصة باللهجات العربية، ولي أن تلك اللهجات تعاني منها بشكل خاص، فذات ما يواجه الباحث مشكلة أنه يريد التحكم أن يتقلل بشكل تقلياسي. وضعيعي بقدر الإمكاني ولكن اهتمام الباحث يتسجيل تلك اللغة هو نفسه ما يجعل التحكم أقل. وحاول أن يحسن من أداة اللغة فينكم بالصور التي يراها صحيحة، وفي السياقات التي تكون الزندوجية اللغوية هي سماتها الأساسية يصبح لدى المتكلم رغبة خاصة في الارتفاع بلغته على سلم الصحة اللغوية برجة أعلى إن هو لاحظ أن أحداً يرغب فيه.
أو يسهل، ولذلك تكون مشكلة حياد الملاحظة حادة بشكل كبير في المجتمعات الإ отметилية اللغوية عن غيرها من المجتمعات اللغوية. تتضمن نتيجة ذلك في وجود الكثير من كتب اللهجات ومجاميع نصوص اللهجات التي تحتوي على عناصر فصيحة غير قليلة وتذكر كتب اللهجات على سبيل المثال أن اللهجات العربية تمتلك طريقتين للتعبير عن الإضافة، إحداهما استخدام تركيب الإضافة التوليدى العادى والأخرى تركيب الإضافة التحليلي. من الناحية السكنونية هذه ملاحظة دقيقة، لأن الكثير من متكلمي اللهجات يستخدمون تركيب الإضافة الفصيحة بسبي رقية الاجتماعي ومكانة الفصيحة عمومًا. ولكن من الناحية التاريخية يعتبر تركيب الإضافة التوليدى الفصيحة دخيلًا على اللهجات الحضرية حيث كان تركيب الإضافة التحليلي سائداً ول في بعض السياقات على الأقل. وتعد درجة التركيب الذي يضعها الباحث على وجود التركيبين متزامنين نوعاً ما على أن اللغة الذي يختار عالم اللهجات أن يتكلم معه ويسجل لغته. فإن كان من يختاره عالم اللهجات شخصًا متعلماً في قرية فإنها سوف يحصل على لغة تحتوي على تركيب الإضافة الفصيحة أكثر من غيره، على ذلك تتفوز كتب وصف قواعد اللهجات في بعض الأحيان إلى إهمال حقيقة أنه في وجود أكثر من تركيب فإن كلاً منهما له وظيفة خاصة به. ففي معظم اللهجات أصبح تركيب الإضافة التحليلي وتركيب الإضافة التوليدى معنني منفصلين أوهما يختص بالأشياء التي يمكن فصلها وتجزئتها بينما يختص الثاني بالتي لا يمكن فصلها.

لا يجب أن تحتم عملية ترقية أشكال اللهجات باستخدام الشكل الفصيحة دائمًا، ففي حالة وجود تركيبين متناقضين، يختار المتكلم تركيب اللهجة الأرفع والأروق، وقد يحدث هذا في بعض الأحيان حتى عندما يكون الشكل الرقم الراقي مختلفاً عن الشكل الفصيحة بينما يكون الشكل الأقل رقية مطابقة للشكل الفصيحة. في المناطق التي يكون نطاق المثل فيها على شكلين: من بين الأسنان وأسنان، يتجزى المتكلم الشكل الذي يخرج من بين الأسنان لأنه الشكل الذي يستخدمه البدو والقرويين بالرغم من أنه الشكل المستخدم في قراءة القرآن. بنفس الطريقة يتغزل بعض الناس في الدلتا في مصر استخدام أصوات اللين المركبة في الحالات مع أشخاص محترمين ويفضلون استخدام أصوات المطولة الموضحة لها والتي تسمى لجة القاهرة فيستخدمون

155

`aw و vee`
في بعض الجماعات اللغوية قد يؤدي وجود سمة لغوية غير رفيعة ولكنها مطابقة لسمة فضيحة إلى تجنب الفصحى في عملية الترقية اللغوية. من الأمثلة المنشهبة على ذلك الظاهرة ما ذكره هولز (1987: 49) حيث يكون نطق لهجتي البحرين والكويت للفقر العربي الفضيحة على شكل اليا، وقد أدت عملية الترقية اللغوية في الكويت إلى إحلال صوت الفين مكان صوت اليا، وهو ما يبدو أفضح. أما في البحرين فهناك أقلية شيعية تستخدم صوت الفين ونتيجة لذلك لا يستخدم البحرينيون الفين في عملية الترقية اللغوية لأن الفين مرتبطة بالإنتاج اللغوي الشيعية.

- ٣ تصنيف اللهجات

عادة ما يدرس علماء اللهجات التنوع الجغرافي في اللهجات مستعينين بخرائط اللهجات التي تبين توزيع سمات لغوية معينة على مناطق جغرافية معينة عن طريق رسم خطوط وهمية على تلك الخريطة، وهو ما نسميه بالخط الفاصل، الخطوط الفاصلة خطوط وهمية تعتمد قيمتها إلى حد كبير على كثافة النقاط التي توفر حولها معلومات لغوية. ولكن كثيرًا ما تظهر الخطوط الفاصلة على الخريطة في شكل حزم، وعندما يصبح الحزم فعامة بشكل ما يصبح من الممكن أن نميز بين مناطق لهجية تختلف بشكل ملحوظ عن مناطق أخرى. يمكن أن نرى هذه الظاهرة في أحسن صورها في حالة العواصم الجغرافية كالجبال، وهي عوائق تفصل بين المناطق الجغرافية المجاورة. فهي حالات أخرى يصبح الانتقال من لهجة لأخرى انتقالًا تدريجيًا. ويحتوي على مناطق تحول بين اللهجات الأخرى. وذلك تعتبر الخريطة اللهجية تمثيلًا ستكون لهيجات المتصلة في المنطقة التي تغطيها الخريطة، ولكن في بعض الأحيان يمكن أن نستنتج من المعلومات الموجودة على الخريطة بعض التطورات التاريخية التي طرأت على اللغة المنطقة، وفي كثير من الأحيان تخبرنا معلومات الخريطة اللهجية الكثير عن زمن ظهور بعض السمات اللهجية وتتطورها لأن القاعدة اللهجية تكون أن أطراف المنطقة اللهجية تحتفظ بأشكال أشكال السمات اللغوية التي لم تصلها تجديدات واردة من أي مركز إشعاع ثقافي، يمكن أن يكون وجود مناطق التحول دائمة على الاتصال بين متكلمي لهجات مختلفة.

يجب التسجيل السنوي للهجرات لنطاقات التغييرات اللغوية كعناصر واضحة إما موجودة أو غائبة. ولكن لم ندقعنا النظر لوجدنا أن بعض الخرائط تبين الدخول التدريجي للغوي معين في شكل توازن لغوي من أهم أمثلة ذلك الخرائط التي ترصد ظاهرة "تكتب أكتب" في بعض لهجات الدلتا في مصر. تتميز كل لهجات المغرب العربي بوجود ستة التون على الفعل المضارع في المتكلم الفرد. ولذلك تجد أن هذه السمة من أكثر الخطوط الفاصلة في اللهجات العربية تمثيلًا واقتباسا لأنها تفصل بين اللهجات الشرقية والغربية. ففي اللهجة الغربية هناك "تكتب" للمتكلم الفرد و"تكتب" للمتكلم الجمع، بينما تمتلك اللهجات الشرقية، كالسورية مثلًا، شكل "تكتب" المضارع المتكلم الفرد، وشكل "تكتب" المضارع المتكلم الجمع. وكذلك توجد سابقة التون في اللهجة المطلقة العربية واللهجات الغربية في منطقة جنوب الصحراء الكبرى التي استمرت مدتتها اللغوية من لهجات شمال إفريقيا. يقع الحد الفاصل بين اللهجات الشرقية والغربية في منطقة الدلتا المصرية، ولهذا التطور تفسيرات متضاربة: يقترح التفسير الأول وجود تغيير في شكل المفرد "تكتب" الذي نتج عن دمج الضرير.
أنا" مع الفعل "كتبت". ويبدأ التفسير الثاني من جمع الفعل، وهو ما يفسره العلماء على أنه تطور مشابه لضمير المخاطب والمخاطبة. ويحسب هذا التفسير يصبح شكل الفرد تطورا ثانيا لاحقاً. وتبين خريطة لجهات العليا المصرية أن بين النطاقين اللهجتين هناك منطقة فاصلة تستخدم "كتب أنت".

مثل آخر هو ضمير التكلم الفرد في اللهجة اليمنية (بينتليت 9 : 1985). في منطقة من المناطق يكون الضمير المستقل والضمير المتصل محايدان من ناحية الجنس، وهما "أنت" أو "أنتي"، وإلى الغرب يكون ضمير التكلم المتصل ذو جنسين، فيكون له شكل مذكر وهو "أنت" أو "أنتي"، وهو "أنت". وفي منطقة تجاوزة يصبح للضمير المتصل والضمير المتصل معًا مكان. أحدهما مذكر وهو "أنت" أو "أنتي"، والآخر أنثى "أنتي". وفي منطقة تجاوزة لم يعد الضمير المتصل "أنت" عبر عن التكلم الجمع الذي تحوّل إلى أنت. أما "أنت" في halk في لهجة واحة الفرافرة في مصر.

عندما تصل سمة لغوية إلى منطقة ما نستطيع أن نؤثر في كل عنصر لغوي بشكل أوتوماتيكي. وفي حالات كثيرة يؤثر تجليد لغوي خروج من منطقة حضرية إلى الريف أول ما يؤثر في المفردات الأكثر شيوعًا، وذلك يوجد فصل في المفردات، وتجد أن الظروف التاريخية التي تتحكم في الاتصال بين النطاقين هي التي تحدد التطور اللاحق على ظهر التأثير. عندما يصبح الاتصال بين النطاقين دائماً فإن التأثير ينتشر في كل مفردات المجسم، ولكن عندما يصبح تأثير التأثير مقطعاً أو عندما يصبح الولاء للهجة المحلية عائقاً دون انتشار التأثير. فإن المناصر التي لم يظهرها التأثير تبقى كما هي ولذلك تجد أن المجسم يطعى انتباهه بالمخاطر من الناحية التاريخية.

في معظم اللهجات العربية حدثت عملية خاتم من نوع ما في المرحلة الثانية من التعريب، أي عندما خرجت من شبه الجزيرة العربية هجرات قبلية انتشرت في جميع أصقاع الإمبراطورية العربية الإسلامية، وقد أثرت عملية الاتصال اللاحقة بين أصحاب اللهجة الحضرية وأصحاب اللهجات البدوية في المجسم بشكل خاص، ففي لهجة أوزبكستان العربية يستخدم الناس صوت القاف العربي القصير للمومس، ولكن هناك عددًا محدودًا من الكلمات التي تحتوي على العنصر المومس لهذا الصوت وهو اليم.
مثلا في جدري، وجدام، وجيلب، هذه ظاهرة منتشرة في عموم العالم المتكلم بالعربية.
ففي اللهجة المغربية الحضرية كل هجة الربط على سبيل المثال توجد بعض الكلمات التي تحتوي على تلك الحلم البدوية، من بين تلك الكلمات: جمجم، وجمرة، ومجرة، وحمر.
ويمكننا أن نضيف هنا أنه على العكس من ذلك هناك في بعض اللهجات البدوية التي تنتمي الحلم بعض الأمثلة على الكلمات التي تنتمي للغة المغربية، مثل اللهجة سكورة في المغرب. نستخدم تلك اللهجة كلمات مثل: قبر، وقسم، وقبيلة.
هناك حالة اتصال بين اللهجات حسنات التوقيع، وهي حالة لهجات الواحات الغربية في مصر القلاعية والداخلة والخارجية، وحسب تفسير فودش (1992) تراكم تلك اللهجات فإن هناك بعض السمات كسابقة التفان فيتكلم المفرد المضارع قد تكون دخلت على تلك اللهجات من اتصال متأخر ببعض لهجات النوب الغزالة من المغرب، وخاصة من لهجة بني سليم التي غزت المنطقة في طريق هجرتها من المغرب في شمال إفريقيا إلى الشرق، وبين الخط بين اللهجات في تلك الواحات نتيجة أخرى من نتائج الاتصال بين اللهجات من الغرب، يمكن أن نشير إلى سبيل المثال إلى السفر الواقع على أواخر الكلمات في تلك اللهجات، وهو نمط نادر يشبه المستخدم في اللهجات المغربية، ولكن بعكس الحاصل في اللهجات المغربية تحتفظ لهجات الواحات صحراء مصر الغربية بالاتباع على أواخر الكلمات حتى ولو كان المقطع قبل الأخير طويلًا أو كان المقطع الأخير متوقفًا بسريعات، في الحال في منجل، وبيتحتي. ويمكن تفسير تلك السمة على أنها تعميم لقاعدة النسر في اللهجات المغربية، فعندما اتصل أهل الواحات بمناسك يضعون النسر على أواخر كلمات كبيرة عمروا تلك الظاهرة في محاولة لتقليد اللهجات الأخرى.
حالة خاصة من حالات الاتصال بين اللهجات، koina
فقد مرت عواصم كثيرة في منطقة الشرق الأوسط كعمان وبغداد، بفترة تعمير حضري سريع، وفي تلك الفترات شهدت تلك العواصم هجرات بالآلاف من البر الرفيع، وجلبت تلك الهجرات سمات اللهجات الريفية معها، وقد أدى خلط اللهجات هذا إلى قيام أنماط محددة من اللهجات العربية تتمتع بالتقدير الاجتماعي، تعتمد تلك اللهجات المحترمة في هويتها على قوة المتكلمين السياسية والاجتماعية، وفي داخل الحدود السياسية

159
للدول القومية المفردة بدأت لهجات تلك المواصفات المحتورة في التأثير على المناطق المجاورة بشكل كبير، ففي العراق على سبيل المثال أصبحت لهجة "جيت" التي يتكلماها المسلمين في بغداد، لها لهجة المحتورة والريفية. فبدأ متكلمو اللهجات المجاورة في الانتقال من لهجاتهم للهجة بغداد الريفية حتى لو كانت سمات لهجاتهم القروية تشتراك في الفصحى فيما لا تشتراك فيه لهجة بغداد الريفية معها. وتعتبر طريقة حديث الرئيس العراقي صدام حسين مثيرًا، فهو يستخدم لهجة مسلمي بغداد في حديثه وأحاديثه العامة. وهي لهجة تستخدم الديمة بدلاً من القاف، وفي تلك المواقف لا يستخدم لهجة مسقط رأسه تكرّت التي تستخدم القاف، ذلك لأن استخدام القاف في العراق مرتبط باللهجات الريفية ولهجات الأقاليم، ويعتبر ارتباطاً سهلاً فصيحة بلللهجات الأقيال المشابهة لحالات البحر أو ما ذكرناها سلفاً.

وفي مصر انتشرت لهجة القاهرة في منطقة كبيرة في الدلتا، تتيح خريطة توزيع استخدام القاف والجيم في وسط الدلتا منطقة طويلة صاعدة من القاهرة إلى دمياط، وتستخدم تلك المنطقة الهزمة القاهرة، بينما تستخدم بها مناطق الدلتا الجيم والجيم المحطرة، وبعد تخلي الإسكندرية في القرن الرابع عشر عن مكانها كأقدم ميناء تجاري للمحافظة أصبح طريق التجارة الرئيسي يسري من القاهرة على فرع النيل الشرقي إلى دمياط، أما اليوم فطريق القاهرة الإسكندرية هو الشريان الأفخم في الدلتا، وكذلك تجد تأثير لهجة القاهرة واضحًا في الإسكندرية. فهي تستخدم الهزمة بدلاً من صوت القاف، ولكن تأثير القاهرة لا يشمل المناطق المحيطة بالإسكندرية. في العموم بين شكل الخريطة أن تأثير اللهجة القاهرة يتزامن مع وجود اتصالات تجارية كبيرة بمناطق معينة.

وكذلك يتضح تأثير اللهجة القاهرة باتجاه التسوية أيضًا في أنماط كلام المهاجرين الجدد من الريف إلى القاهرة. بين ميلاد (1996) في مسح حديث نسبًا أن الأجيال الأولى من المهاجرين القرميين للعاصمة تطور لهجاتها جزئيًا للهجة القاهرة. فتجدهم على سبيل المثال يستخدمون تركيب الإضافة السعدي بتركيب الإضافة القاهرة الذي يستخدم أباع 1، ولكن تلك الأجيال الأولى تحتفظ بالمنطق السعدي.
للجم ببدا من القاف، تتحضر أنماط التطوع في تلك السمات القاهرة التي أخذتها المناطق الحضرية خارج القاهرة فعلًا واستخدمتها، أما الجيل الثاني من المهاجرين فهو يطور لهجة للهجة القاهرة بشكل كامل ويحمل السمات الصعيدية.

وي счита التحلل العملية ستشر خارج حدود النوبة السياسية الواعدة، فقد أصبحت اللهجة المصرية بوجه خاص معرفة في كل العالم المتلكم بالعربية، وقد يكون السبب الجذري في ذلك تصنيف الأفلاج والسلالات المصرية التي تتزايد في كل مكان في العالم العربي، وقد يكون السبب أيضا أنه في كثير من البلاد العربية كان هناك مدرسون مصريون أنطيو بهم إنشاء نظام تعليمي جديد، وذلك يفهم معظم الناس في كل بلد اللهجة المصرية، بل وفي بعض الأحيان يستطيع الناس أن يكونوا كلامهم للهجة المصرية أو استخدموا الضرورية، يعتبر الناس في اليمن في الأجانب الذين يتكلمون العربية مصريين، بينما يتكلم اليمنيون العربية مع هؤلاء الناس يزعمون لاستخدام كلمات مصرية ومناصر صرفية مصرية، ولكن ذلك تجد أداة الاستمرار في الفعل أبين أن اللهجة اليمنية مستخدمة بمعنى العادة أيضا، وذلك تحت تأثير استخدام أيا المصرية، كثيرا ما يستخدم اليمنيون أيضا أداة المستقبل أراج أو أحدها المصرية بدلا من أداة أشد ألمانية التي تؤدي نفس الغرض، وكذلك أصبحة كلمات مصرية كثيرة دارجة ومستخدمة في لغة الحديث اليومي مثل كويس وكذا.

كل محاولة لتوصيف اللهجات محاولة بطريقة عامة وطئة، ويؤدي اختيار أي مجموعة من الخطوط الفاصلة لسمات اللهجة معينة كعناصر تصنيف إلى تقسيمات مختلفة. فقد يؤدي التصنيف بحسب السمات الصوتية إلى نتائج تصنيفية تختلف عن النتائج التي يؤدي إليها الاعتماد على السمات المعجمية مثل في التصنيم، على ذلك فمن الصعب أن تجد أن أي خطوط فاصلة تستطيع أن تعزل مناطق بعضها عن البعض الآخر بشكل كامل وحاسم، فإن هناك دائما مناطق انطلاقية بين المنطقين اللهجتين الأساسيتين، في تلك المناطق الانقالية تظهر السمة اللغوية التي تقيم على أساسها الخط الفاصل بشكل جزئي أو عبر المجم عنها في بعضها، ولكن في كثير من الأحيان يطبق التشريع الجغرافي للخطوط الفاصلة مع التصور الشعبي للفصل بين المجموعات اللهجة كما يراه متكلمو اللهجات أنفسهم.
تقوم طريق أخرى لتصنيف اللهجات على عوامل الراحل التاريخية للاستيكلان.
ففي حالة شمال إفريقيا على سبيل المثال يمكن أن نميز بين مرحلتين من مراحل الاستيكلان العربي، وهما مرحلتان ابتدأتا فيها متكلمون للهجات عربية مختلفة، ولكن تلك الطبقات أو المراحل المختلفة ليست منفصلة بعضها عن بعضها الآخر، وبالرغم من أن مراحل الهجرات العربية تلك قد تكون مختلفة في أصلها إلا أن النتائج التي تحققت على أثرها جميعاً، وهي اللهجات الجديدة، إنما خضعت لعملية تأثير وتغير متبادل عميق وقوية. ففي شمال إفريقيا لم تكن لهجات المناطق الحضرية فقط بمعزل كامل عن لهجات المناطق الريفية والهجرات البدوية، ولم تكن أطراف الهجرات العربية ثابتة كذلك، فقد نتجت الجماعات البدوية في منطقة التأثير الحضري، وتغيرت لهجة تلك الجماعات، أو لهجة المناطق الحضرية التي دخلوا فيها تبعاً لقوة أي من المجموعتين السياسيين أو ارتفاع مكانة أيهما. ولكن النتيجة العامة والمحصلة هي أنه في كل أقليم كانت هناك عملية تمازج دائمة.

هناك طريق أخرى لتصنيف اللهجات تستمد أساسها من عنصرين لغوية اجتماعية، ولكن تلك الطريق بدورها تصادم بالتطورات التي حدثت في معظم الأقاليم، فعادة ما يؤدي التأثير والتغير المتبادل بين لهجات الريفية والهجرات البدوية في اللغة إلى صيغة التحقيق اللدوي للعربية القصحي بصيغة إقليمية، ولكنه في نفس الوقت يؤدي إلى توحيد اللهجات من خلال تأثير القصحي.

خلاصة القول أن تصنيف اللهجات بحسب الدولة قد لا يكون اقتراحًا سبيلاً بالرغم من أنه من الناحية اللغوية ليس أساسي للدول، لقد أصبح هناك عنصر جذب يمارسه مركز ثقل لغوي معين وخاصة بعد أن نالت الدول العربية استقلالها. وعادة ما يكون هذا المركز هو العاصمة، لذلك يمكن أن نقول إن كل دولة تحاول توحيد نوى لهجة اللهجات الواقعة في حدودها. هذا المعني يمكننا أن نتكلم عن لهجة الجغرافيا أو اللهجة السورية أو اللهجة اليمنية على أنها لهجة العاصمة الرفيعة المحترمة، ولكن تلك الفكرة ليست صحيحة بكليتها ففي الكثير من البلاد العربية ممتازة بعض اللهجات الإقليمية مستخدمة وحية، فليس مصدر الجيوب اللهجاتية الموجودة في داخل الحدود السياسية للدول العربية بالضرورة إلى زوال، فمن الممكن أن يسبب الفخار باللهاجة

162
اللهجة لم تستمر廣告ها وراقها ومن بين أفضل الأمثلة على ذلك اللهجة دير الزور في شمال
سوريا، وهي اللهجة عراقية في طبيعتها في وسط منطقة لهجات سورية لبنانية.
في بعض الأقاليم يمكن أن يكون الولد للهجة معينة على أساس تشابه مختلف، ففي
شمال إفريقيا تم تسجيل لهجات عربية يهوية معينة في الدنيا كبيرة كنونس وقياس.
وترجع تشكيل تلك اللهجات للمراحل المبكرة من التطور، إلا أنها لم تتبع سبل التطور الإلهي.
وفي بلاد أخرى لم تتمكن لهجات الأقليات الدينية المختلفة كل جهة يهودي ومسيحي بغداد
واللهجة الشيعية في البحرين بسمات اللهجة البدوية المتاخرة من الناحية اللغوية، بل
احتقت بسمات اللهجة الأصلية المبكرة. حدث ذلك في نفس الوقت الذي اكتسبت
فيه لهجات المسلمين السنة سمات جديدة من تلك الهجرات.

3-8 اللهجة البدوية والحضارية

يراجع أي تصنيف للهجة العربية في الاعتبار عملا مهما من عدم
تعقيد الوضع اللغوي وهو تزامن وجود لهجات بدوية ولهجات حضارية في كل المناطق.
لقد رأينا سابقا أنه في القرن الربعة من عصر الإمبراطورية العربية كان الناس
ينظرون أن اللهجات البدوية هي المثال الحقيقي الوحيد للعربية الفصحى الكلاسيكية،
فبكان الناس يتصورون أن البدو يتكلمون عربية نقيا بعلامات الإعراب، ولكن بمرور
الوقت اعترف التحويج أنه حتى البدو لم يعودوا قادرين على الهروب من تأثر اللهجات
الحضارية؛ ففي مرحلة مبكرة كمرحلة هيئة ابن جني (توفي عام 197 هجريا) لاحظ
التحديجرين بوضوح الآثار السلبية التي يسببها الاتصال المطول باللهجات الحضارية،
بالرغم من أن بعض القبائل العربية قد احتفظت بسمعتها الكلامية العربية نقيا، إلا أنها لم
تعد تتكلم العربية الفصحى الكلاسيكية في مرحلة من مراحلها، ولا نعرف ما كان
هذا التحول قد حدث قبل الإسلام أم بعده؟ وهذه مسألة خلافية لم تزال، أما في العصر
الحاضر وبغض النظر عن كل تلك اللهجات حضرية أو بدوية فإنها جميعا تنتمي
لمنطقة اللهجة العربية الموادة، من أوضح الأمثلة على هذا النمط من اللهجات استخدام
علامات الإعراب، ولكن مع ذلك يمكن أن نبين أن اللهجات البدوية أكثر محافظة في
بعض التواحل اللغوي من اللهجات الحضارية.
تنتمي صحة هذه الفكرة عن طريق نمط الهجرة العربية، فقد رأينا سابقا أن عملية التحريف قد تتم على مرحلتين، في المرحلة الأولى تكون اللهجات الحضرية بسماتها المتجددة الكبيرة، وقد جلبته المرحلة الثانية من التحريف اللهجات الريفيّة والبدوية في كل البلاد العربية، تقول بعض النظريات إن اللهجات الثانية من الهجرات العربية مسؤولة عن قدر كبير من التجمع والتوحيد في سمات اللهجات العربية في الإمبراطورية العربية الإسلامية لأن تلك اللهجات -بعكس اللهجات الحضرية- لم تتأثر بتفاعل شعوب ذات لغة مختلفة.

من القواعد العامة أن الانعزال يؤدي إلى المحافظة اللغوية، هذا بينما تعكس المناطق التي يحدث فيها اتصال كثير نسب كبيرة من ظواهر التبسيط والتخفيض. كنتيجة عامة إذن يصعب التمييز بين أنواع لغوية بينها في داخل تقسيم اللهجات الحضرية، وهو تقسيم مستمر في عرض العالم العربي لا يفصل أجزاء بعضها عن بعضها الآخر سوى الموائع الطبيعية، ولكن يمكن أن تحدد مناطق مركزية للهجرات داخل المناطق الحضرية، وعادة ما تكون تلك المراكز في حوار المرانك السياسية والثقافية التي تخرج منها التجديدات اللغوية وتنشر في نمط يشكي الموحى. تقوم بين مناطق اللهجات المركزية المجاورة مناطق انتقالية تتصادم فيها التجديدات اللهجاتية المنافسة، أما اللهجات البدوية فيمكن اعتبارها لهجات منفصلة ومستقلة تحافظ على سماتها حتى وإن انتشرت من يكلوها في مساحات واسعة من الأرض، وإذا تعكس تلك اللهجات البدوية القبلية في سماتها اللغوية تاريخ هجراتها: فقد هاجر من منطقة تجد بالصلة العربية السعودية مثل قبائل مثل شمر وعنترة وقبائل أخرى إلى الشرق والشمال وترفقت في مناطق جغرافية كبيرة ولكن لهجاتها جميعا متزامن تعكس علاقات القرابة بينها بشكل يشبه العلاقة بين اللهجات الهنود الأوروبية القديمة، وفي خارج شبه الجزيرة العربية، بل أحيانًا في داخلها كما هي الحال في الجزء، يأخذ الفرق بين اللهجات الحضرية والبدوية أبعادًا اجتماعية، فقد أن تقابلات البدو والحضرية تتفق عادة مع تقابلات نمطية وأحيانًا دينية ومدنية. ولكن في بعض مناطق شبه الجزيرة العربية وخاصة في شمال نجد تكوين الفوارق اللغوية بين القبائل بغض النظر عما إذا كان أبناء تلك القبائل يعيشون حياة حضرية أو بدوي أو يجرون الصحراء، فبعض بطون
شمر مثلًا من البدو، ولكنهم مع ذلك يعودون لبني قبيلتهم الحضر عادة، ويشاركون معهم في السمات اللهجانية.

منذ بداية العصر الإسلامي، وبالطبع قبل ذلك بكم ره، كانت هناك هجرات قبليّة مستمرة. وكانت الجيوش العربية التي قامت عليها الفتوحات الإسلامية الشامقية من القبائل البدوية في غاليتها، وتبعت تلك الهجرات بنيوية لاحقة من شبه الجزيرة العربية. تبين هجرة بني سليم بني هلال في القرن الحادي عشر لشمال إفريقيا أن عملية الهجرات تلك مستمرة حتى فترة متاخرة. وقد تسببت الهجرات البدوية تلك كلها في عمليات تعريب للريف الذي استقرت فيه، وقد استقرت بعض المجموعات البدوية وتبدلت لهجات حضرية مع الزمن، ولكن في حالات أخرى انتقلت جماعات حضرية من لهجات حضرية للهجرات البدوية كما حدث في مراكش وغرب الدلتا في مصر وبعض لهجات فلسطين وهيجة مسلمة بغداد وسيناء البحرين، ولذلك من الصعب أن نضع قائمة بالسمات التي تميز بين لهجات الحضرية واللهجات البدوية بالرغم من أنه من الممكن أن نتكلم عن سمات لهجاتيّة بدوية.

إذا نظرنا للهجرات البدو بشكل عام وобщيد، سوف نجد أنها أكثر تحيزًا من الهجرات الحضرية الموجودة معها في نفس الإقليم بوجه عام، قائمة السمات التالية عبارة عن سمات تميز لهجات البدو. وسوف نلاحظ أن العديد من تلك السمات موجود في بعض اللهجات الحضرية أيضًا، ويجري ذلك إلى عملية بنية اللهجات التي ظهرت في إثر الهجرات البدوية التي تكلمنا عنها تأوًا:

* تحافظ كل اللهجات العربية البدوية تقريبًا على الأصوات القصيرة التي تصدر من بين الأسنان كالأوتار والطاء، وقد اندمج صوت الضاد في صوت الظاء الذي يخرج من بين الأسنان متناجا كلمات مثل "طرب" و"طلل".

* تتلاقى اللهجات البدوية القاف مجهورة فتنج جمًا، وقد يكون هذا هو صوت القاف الأصلي في الفصحي وتحول لصوت مهموس في فترة لاحقة.

* الحفاظ على التذكير والتثبيت في الجمع المضاف والغائب في الأفعال والضمائر. لذلك تميز لهجات نجد بين "كتبوا" للذكر وكتبت" للمؤنث، بينما تعمم لهجات العراق المقارب "كتبوا" للذكور.
* ضمير المفرد الذكر الغاشب المتصل في اللهجات الحضرية هو صوتيًّا في اللهجات البدوية.

* استخدام المثل في الاسم أكثر في اللهجات البدوية منه في اللهجات الحضرية.

في معظم اللهجات العربية هناك صوت علة بالكسر في سابقة الفعل، وهي ظاهرة القليلة التي كانت موجودة في لهجات الجاهلية. ولكن بعض اللهجات البدوية في شرق شبه الجزيرة العربية يشملها صوت الفتح بدلاً من الكسر في تلك السابقة. وفي لهجة نجد مظهر صوت الفتح في سابقة الفعل في الأفعال التي يكون صوت الخطة في جذرهها هو الكسر، بينما تظهر الكسرة كصوت علة في سابقة الفعل مع الأفعال التي يكون صوت العلة في جذرهها هو الفتح، انظر "كِتَبَ" كمثال على حالة الأولى، و"بِسْمَهُ" كمثال على الحالة الثانية.

هناك نزعة في اللهجات البدوية لاستخدام الإضافة القديمة، بالرغم من أن لهجات البدوية كثيرة قد طورت أداة إضافة تعديلية، ولكن اللهجات البدوية عموماً تنعَّم لتحديد سياقات استخدام أنواع الإضافة التحليلية ووظائفها. في شمال أفريقيا تميز اللهجات البدوية الغربية نفسها من اللهجات الحضرية الموجودة في نفس المنطقة عن طريق الإحجام عن استخدام أداة الإضافة التحليلية. 

* مطابقة اسم غير العاقل المجموع في اللهجات البدوية هي مطابقة المفرد المؤنث كما في الفصحى، وليس مطابقة جمع كما هو الحال في اللهجات الحضرية.

تعتبر هذه السمات اللهجات البدوية كلها نتائج، على أن هناك سمات خاصة تميز لهجات البند في شبه الجزيرة العربية، وسوف نتعامل مع تلك السمات في الفصل التالي، ولكن يقوم الفرق بين اللهجات الحضرية واللهجات البدوية عموماً على معايير قليلة من أهمها نطق الفك مجهول والحفاظ على الأسوات التي تخرج من بين الأنصات، أما من الناحية الصرفية فمن أهم تلك المعايير الفرق في الجنس في جميع الأعمال.
تتفاوت طبيعة اللهجات البدوية المحافظة مع التبسيط اللغوي والتخفيف الذي يميزان لهجات تلك المناطق التي تشهد تفاعلاً كبيراً بين الشعوب الحضرية والبدوية، وذلك مثلًا في منطقة جنوب العراق على ساحل الخليج العربي وفي مكة نفسها حيث يوجد عدد كبير من المهاجرين من مناطق خارج شبه الجزيرة العربية. وبمقارنة اللهجات البدوية في الجزيرة باللهجات المرتبطة بها خارج شبه الجزيرة اكتشف إنجهام (1982) أن الكثير من المصطلحات المحافظة في لهجات شبه الجزيرة تتزعزع ناحية الاختفاء أكثر وأكثر كلما ابتعدت اللهجة عن نطاق الحياة البدوية، أصدق مثل على ذلك لهجات العراق والخليج المتفرعة من لهجات وسط شبه الجزيرة العربية.

وعلى أن كانت كل المناطق اللهجية في العالم العربي قد مرت بمرحلتين عملية التعريب فإنه من المعروف أن نمذج في كل منطقة لغوية بين اللهجات الحضرية واللهجات البدوية، فاللهجات البدوية موجودة في شرق العالم العربي وغربه عن حد السواء، والمنطقة التي يتكلم الناس فيها لهجات بدوية في سوريا والعراق وشمال شبه الجزيرة العربية عبارة عن خط متواصل يصعب فيه تمييز لهجات متفوقة بها. لقد كسرت موجات من الهجرات الكبيرة سلسلة العزل الجغرافي في تلك المنطقة، الموطن الأولي من نجد في قلب الجزيرة العربية باتجاه الشمال، والموطن الثاني من جنوب العراق إلى الخليج. هناك قدر كبير من التلازم بين المناطق الحضرية والقبائل البدوية اللحمة بها حتى ولو كان أصل تلك القبائل من مناطق مختلفة، وفي جنوب العراق تحكم البدو في الشعوب الحضرية واستووا على السلطة عندما ضربوا خيامهم في فصل الصيف عوضًا عن العودة لإقليم نجد. هناك إشارات في التراث الشفاهي لتلك التجمعات القبلية المكونة من قبائل مختلفة إلى مناطق سكنى مختلفة مبكرة، وفي سوريا هناك عملية هجرة مستمرة من شبه الجزيرة باتجاه البلاد السورية، ولقد رآينا سابقاً أن اللغات السامية، بحسب بعض النظريات، قد تطورت بعملية مشابهة من التبادل بين الصحراء والحياة الحضرية.

من الصعب تحديد مناطق لهجة معينة ومحددة للبدو بسبب هجراتهم الدائمة. بل إنه من المستحب القيام بتلك المهمة (إنجهام 1982)، وفي بعض الأحيان يقدم لنا خط فاصل علمياً مكاني واضحة، ولكن الخطوط الفاصلة المهمة الأخرى قد تقدم علامات
مكانية مختلفة، ويصبح من الممكن فقط في تلك الحالات التي يتوفر فيها حد سياسي أو جغرافي واضح وقوي أن نتكلم عن مناطق لهجة متميزة، أما المتكلمون أنفسهم فإنهم يتمكنون عادة نوعًا من الحدس بشأن الفواصل والزوايا بين اللهجات، ولكن المشكلة هي أن تلك الأحكام الحدسية تقوم على الخصوصيات، وعندما لا يكون هناك مانع طبيعي أو غير طبيعي تندمج المناطق اللهجية بالتدريج مكونة بذلك منطقة انتقالية لكل سمة ثقافية بينها. وليس الأصل العربي مهما بالنسبة للجماعات الحضرية، ولذلك فإن قبول تلك الجماعات لأي تجديد لغوي أو رفضها له يقوم أساسًا على قوة الجذب النسبية التي تتمتع بها المراكز الثقافية أو السياسية الداخلية في الموضوع، أما بالنسبة لجماعات البشر البرية فإن الأصل العربي والعلاقات القبلية عناصر مهمان جداً في تصنيف اللهجات، وذلك من المستحيل أن يتم تعريف اللهجات بشكل جغرافي فقط، الاستثناء من ذلك القاعدة هو منطقة جبل شمر بشمال المملكة العربية السعودية، وهي منطقة احتفاظت بعدد سكان ثابت يفضل قربها من أماكن الرعاع، وفي تلك المنطقة هناك بطون ححضرية بطنون بدوية من قبيلة شمر.

اللهجات البريدة الشرقية هي اللهجات التي يتكلمها بدء شبه الجزيرة العربية ودول الخليج وبريطانيا الشام والعراق وجنوب الأردن والنقب وسيناء. أما اللهجات البريدة الغربية فهي تلك اللهجات التي يتكلمها بدء شمال إفريقيا. وتتفاوت تلك اللهجات عادة إلى مجموعتين: المجموعة الأولى هي مجموعة لهجات المنطقة التي سكنها بنو سليم في تونس وليبيا وغرب مصر، والمجموعة الثانية هي اللهجات التي تنتمي لأراضي بني هلال في غرب الجزائر والمغرب.

8 - تقديم اللهجات
التفصيل الغاية للهجات العربية يميز بين المجموعات التالية:
1 - لهجات شبه الجزيرة العربية
2 - لهجات العراق
3 - لهجات المنطقة السورية اللبنانية
4 - اللهجات المصرية
5 - اللهجات المغرب

168
ليست الأسس التي يقوم هذا التقسيم عليها واضحة في كل حالة. فمن الواضح أن العوامل الجغرافية قد سببت التصنيف في حالات معينة كما هي الحال في لهجات شبه الجزيرة، رأينا سابقًا أن تعرف كل تلك المناطق قد حدث على مرحلتين متسلتين:

المرحلة الأولى تسببت في ظهور لهجات الحضرية الجديدة بينما تسببت العملية الثانية في تغيير لهجات الريفية والبدوية المحلية التي احتفظت بعض سمات العربية القديمة، ولكن الفترة الزمنية التي تفصل بين العمليتين تختلف من منطقة لأخرى، رأينا في الفصل السابق أن لهجات البدوية الحضرية في سوريا والعراق قد تزامنت في العصر الجاهلي، تنتمي معظم لهجات البدوية في تلك المنطقة إلى متكلمين مايزالون مرتبين بقبائل عربية في قلب الجزيرة العربية. وعلى العكس من ذلك وفي مصر وشمال إفريقيا كانت هناك فترة طويلة تفصل بين المرحلتين، بلغت حوالي أربعة قرون في شمال إفريقيا، وقد يبرز دور تلك الحقبة دور المهاجرة الأهلية التي تبين لهجات شمال إفريقيا البدوية، ذلك لأن القبائل البدوية التي تبع منها تلك اللهجات أصلًا قد خضعت قبل هجرتها شمال إفريقيا لتغيير اللهجات الحضرية لفترات طويلة، علاوة على ذلك قد يبرز بعد الزمني بين مرحلتي التصنيف وجود منطقة لهجية في مصر وشمال إفريقيا تجمع بين اللهجات البدوية والحضرية على حد السواء، بالرغم من أن كلا النوعين من اللهجات قد نشأ عن أصل مختلف، فكل اللهجات شمال إفريقيا مثل تعكس السماء المميزة الأساسية لكل اللهجات وهي وجود سابقة التكون على ضمير المتكلم المفرد في الفعل المضارع، لقد حلت تلك اللهجات بالمنطقة عندما كانت هناك بالفعل مراكز ثقافية وسياسية محتكمة وروعة، وبالرغم من أن العرب البدو مثّلوا القوة العسكرية الجديدة في الإقليم، إلا أنهم لم يستطيعوا الانفصال من تأثير اللهجات الحضرية التابعة من تلك المناطق.

سوف نلتزم في الفصل التالي إبن بالتصنيف القديم الذي يقوم على اللهجات خمسة، سوف نقدم كل منطقة لهجية بشكل سريع وبسيط، وسوف نتم في هذا الوصف باللهجات التي تعبر عن المنطقة والسمات المميزة لكل لهجة في تلك المنطقة.

وسوف نتم في الفصل الثاني عشر بلهجات الجزيرة اللغوية العربية، أي اللهجات العربية التي تتكلمها جيوب العربية في مناطق خارج العالم العربي تسيطر فيها لغات
أخرى. من بين أمثلة تلك الجرثعم اللغوية هناك العربية المالطية والعربية القبصية المافونية، وعربة أوزبكستان وأفغانستان، واللغات العربية الموجودة في وسط الأناضول، والأنماط العربية الموجودة في كينيا وأوغندا. تستخدم اللغات العربية المطلقة في الجيوش العربية مادة الأصلية من مجموعات لهجة موجودة في قلب العالم المتحد باللغوية، فاللغوية الموجودة في قبرص لهجة سورية لبنانية في الأصل وكذلك تعتبر العربية المطاطية لهجة من لهجات شمال إفريقيا. ولكن انعزال تلك اللهجات من العالم العربي وعدم اتصالها بالنصوص الكلاسيكية أسباب قد ساهمت في الاحتراف سمات اللغوية فقدتها اللهجات الأخرى، وكذلك أدى الاتصال بين تلك اللهجات واللغات المستمرة على المناطق التي تعيش فيها إلى عمليات اقتصادية وتجديدات ليست موجودة في اللهجات العربية الأصلية، على ذلك سوف نتعامل مع لهجات اليوم العربية اللغوية.

بمعزل عن اللهجات الأساسية في قلب العالم العربي.

تمثل النصوص التي سنجلبها كمثال على الفروق اللهجاتية الكبيرة مشكلة حقيقية في تسجيل اللهجات العربية في شكل كتابي، وهي مشكلة الكتابة الصوتية، الكتابة الصوتية الحادية بالنسبة للعربية القبصية ككتابية صوتية، ولا يتم تسجيل الفروق الألفونية بالخط العربي، بعض النصوص العربية المسجلة نصوص فونيمية في كتابتها، ولكن البعض الآخر من تلك النصوص يرمى إلى تسجيل صوتي دقيق فينزع إلى تسجيل الفروق الصوتية الألفونية أيضًا، ففي اللغة السورية مثلاً اندمج الفونيم العربي مع لا في صوت واحد يرمز له برمز واحد غير معروف لأي فروق في التحقيق.

قد تنجم عن اختلاف البيئة الصوتية.

ولكن تسجيلات نصوص اللهجات السورية الأكثر قربًا قد حاولت أن تراعي الفروق الصوتية بين الكلمات تسجيل الألفونات المختلفة للفونيم الواحد في الكلمات. ولم تقتصر تلك النزعة على اللهجات السورية فحسب ولكنها استمرت إلى تسجيل سراج (1958) للفونيم لهجة طوان وتسجيل كوهين (1944) للفونيم لهجة يهود تونس، وهناك عدد كبير من الروم الكتبي في كل الحيل لتسجيل البيئات الصوتية المختلفة لأصوات اللين في الكلمات، ولكن من نظام تسجيل الفونيمات فقط ونظام تسجيل الألفونات فقط فوائده، فالأسوأ بين بني اللهجة وحكمتها بينما يساعد الثاني على تسجيل كيفية نطق الأصوات والفنونيات في بيئاتها الصوتية المختلفة.
الفصل التاسع

اللهجات العربية

1- لهجات شبه الجزيرة العربية

ماتزال منطقة شبه الجزيرة العربية، مهد القبائل العربية، أقل مناطق العالم العربي اللهجية وضوحًا لنا، ربما كانت الجزيرة العربية في العصر الجاهلي مقسمة إلى لهجات شرقية ولهجات غربية، ولكن الهجرات التي حدثت بعد تلك المرحلة غيرت التوزيع الجغرافي للهجات تغييراً كبيراً، فكل اللهجات البدوية في تلك المنطقة في العصر الحديث تنتسب لنمط العربية المولدة، بالرغم من أنها على وجه العموم أكثر محافظة من اللهجات العربية في خارج شبه الجزيرة العربية، علاوة على ذلك فإن المناطق الحضرية في الحجاز والخليج العربي يتكلم الناس في جن اللهجات حضرية، وقد تكون تلك اللهجات قد ظهرت نتيجة لهجرات متأخرة إلى تلك المناطق.

بينت محاولات التقسيم الحديثة التي قام بها إنجهام (1982) ويفغا (1991) وجود أربع مجموعات لهجية، هي كما يلي:

1- لهجات شمال شرق الجزيرة العربية، وهي لهجات منطقة نجد وخاصة القبائل الكبيرة من أمثال عنيزة وشم، تنقسم تلك المجموعة بدورها إلى ثلاث مجموعات تحتية: أولاً مجموعة اللهجات العنيزة التي تشمل لهجات الكويت والبحرين السنية وإمارات الخليج العربي، ثانياً مجموعة لهجات شمر، وهي تضم بعض لهجات البدو في العراق، وثالثاً اللهجات البدوية السورية العراقية، وهي مجموعة تضم لهجات شمال فلسطين البدوية وأجهات الأردن.
2- لهجات جنوب غرب الجزيرة العربية، وهي مجموعة تضم لهجات اليمن وحضرموت ومنا، كما تضم لهجة البحارنة الشيشية في البحرين.

3- لهجات الحجازية (العربية الغربية)، وهي مجموعة تضم لهجات البدرية الحجازية ولهجات منطقة تهامة - وهي لهجات ليست معرفة بشكل واسع، ولئن العلاقة بين تلك لهجات ولهجات المناطق الحضرية في مكة والمنطقة واضحة تماما حتى الآن.

4- لهجات شمال غرب الجزيرة العربية، وهي مجموعة تضم لهجات النقب وشبه جزيرة سيناء، كما تضم لهجات جنوب الأردن وشرق ساحل خليج العقبة، وتضم تلك المجموعة أيضا لهجات بعض المناطق في شمال غرب المملكة العربية السعودية، وكلها لهجات صغيرة تبلغ معا كمجموعة لهجات الشمالية الغربية.

رأينا في الفصل السابق أن لهجات البدوية خارج شبه الجزيرة العربية تحمل سمات لغوية معينة تميزها بوضوح عن لهجات الحضرية التي تشاركها في نفس المنطقة الجغرافية كطبق القاف الجامع هو الأصول التي تخترق من بين الأجانب، ولكن لهجات البدوية داخل شبه الجزيرة العربية أكثر محافظة من مضالاتها في الخارج في أنها لا تشارك معها في اتباع التجديدات اللغوية القائمة على التغيير والتسوية، أكثر لهجات البدوية محافظة هي مجموعة لهجات نجد، ولكن لهجات البدوية في منطقة جنوب العراق والخليج العربي المرتبطة بالجهات منطقة مملكة تعكس تجديدات لغوية أكثر من المجموعة الأم. علاوة على ذلك لا يمكن الاعتماد حتى النظر في لهجات شبه الجزيرة العربية على ثنائية البدوية الحضرية بنفس الطريقة التي تخصص بها عليها في المجموعات اللغوية خارج شبه الجزيرة العربية، وذلك لأن معظم القبائل البدوية لها بطول حضارية تصل بها صلات اقتصادية واجتماعية مكثفة، على ذلك فكل لهجات شبه الجزيرة العربية حتى الحضرية منها تعكس سمات لهجات بداية كثيرة.

يمكن ذكر السمات الثلاثة التالية كتمثلة على السمات المحافظة في لهجات شبه الجزيرة العربية البدوية لأولًا: احتفظت لهجات بدويه كثيرة ببعض الاعظم التي تذكر تأخذ شكل تنوين الفتح والكسر، وهي غالبا علامة اختبارية، ويستخدم تلك العلامة اختيارية كأنها شعرية فقط، ولكن يجب أن نذكر أن تلك الأدلة فقدت وظيفتها الإعرابية التي كانت 172

بغض النظر عن تلك النزاعات المحافظة في لهجات البدوية في شبه الجزيرة هناك تجديدات لغوية وخاصة في منطقة اللهجات الشمالية الشرقية، فهي تلك اللهجات سمة تسمى بـ "تشوه" وهي سمة إعادة توزيع المقطعين في الكلمة بجوار الأصوات الطاقية. فتجد لهجة نجد مثلاً تستخدم الفعل المضارع "يكتب" و"يزغ" حيث خرج هذا الفعل الأخير من "يَعْطل". وقد انتشرت تلك السمة في اللهجات البدوية خارج شبه الجزيرة العربية، ووصلت مثلاً للهجات البدوية في جنوب أسيوط في مصر مع الهجرات العربية المتأخرة.

تتميز مجموعة اللهجات الشمالية الشرقية بعملية احتكاكية الجيم والكاف، وتعتبر تلك العملية مشروطة بالبيئة الصوتية المحيطة بما أنها تحدث في جوار الأصوات اللينة الأمامية فقط. وذلك تجد أن اللهجات البدوية في العراق والعالم شملت أصوات الكاف والجيم منطقة من مكان خلفي من الحنك بينما تتطرق اللهجات البدوية في شبه الجزيرة العربية هذين الصوتين من موقع أمامي أكثر. انظر مثلاً طريقة نطق لهجة رولة البدوية لكلمات "تُجِيل" و"تغيل" التي هي في الفصحي "تَجَيل" و"تَغَيل" على التوالي.

لست اللهجات العربية الغربية في منطقة الحاجز معروفة بشكل كبير، وهي منطقة تتضمن المناطق الحضرية التي كانت موجودة من قبل الإسلام، وهاجرت قبائل كثيرة من تلك المنطقة بعد الإسلام باتجاه الغرب، ولذلك من المحتمل أن تكون لهجات بادية

173
سوريا وصحرا النقب وشمال إفريقيا بعد ذلك فقد نبهت من لهجات هذا الإقليم. تتميز
لهجات تلك المجموعة عن لهجات شرق الجزيرة العربية بغياب احتمالية الكاف والتفاعف.
وبالرغم من أن لهجة مكة متصلة باللهجات البادية في ذلك الإقليم إلا أنها تمتلك بعض
سمات اللهجات الحضرية، فقد فقدت الأصوات التي تخرج من بين الأسنان والفصل
بين المنكر والمؤنث في جميع الضمائر والأفعال، وكذلك تمتلك لهجة مكة أداءً إضافيًا
تحليلاً، كما أنها تمتلك أدوات جهة على الأفعال مثل أب أو أفعال المстоفر
وأرايت المستقبل، وهي جميعا أدوات ليست مستخدمة في اللهجات البادية، ولكن
نطق الكاف في مكة مهدور كما في اللهجات البادية، وتجد أن لهجة مكة في بعض
سماتها قريبة من اللهجات المتصلة في صعيد مصر والسودان.

أما بالنسبة للخريطة اللهجاتية في اليمن فهي معقدة نسبيًا لأن الفواصل
الجغرافية قد أوجدت تنوعًا لهجاتًا كبيرًا في تلك المنطقة، حدد بيشتيد (1985: 20-2)
المناطق اللهجية التالية في اليمن: لهجات تهامة، وأهاليات ساهمية الكاف، اللهجات
اليمنية الجنوبية الشرقية، واللهجات الحضرية الوسطى في صنعاء مثل، واللهجات الحضرية
الجنوبية، واللهجات الحضرية الشمالية، وأخيرا لهجات شمال شرق اليمن، ولكن حتى هذا
التقسيم الكبير ليس كافيا لتحديد المواقع واللهجاتية تلك المنطقة، فهناك الكثير من
المناطق المشتركة والبيئية وكذلك سوف يتم إعادة تقسيم مناطق معينة عندما توفر
مادة اللهجاتية أكثر خاصة بها.

تتميز منطقة لاحقة الكاف اللهجاتية الموجودة في سلسلة الجبال الغربية
باستخدام الكاف في الفعل الماضي بدلاً من التمثيل، فتندفع الفعل القصير "كتب" موجوداً
في شكل "كتب". هناك اعتقاد بأن تلك المنطقة وقعت تحت تأثير مباشرة كبير من
اللهجات العربية الجنوبية. فقد ترجع فترة استقرار العرب في تلك المنطقة لما قبل
الإسلام بفترة عندما أغررت القبائل العربية على ممالك جنوب شبه الجزيرة العربية
иاستقرت في أراضيها، وعندما سيطر الإسلام على تلك المنطقة أصبحت اللهجة
الاستخدمة هناك تسمى بالهجرية، وتبعد في وصف الهجرة اللهجة حمر في كتابه عن
الجزيرة العربية أنه يضع لاحقة الكاف تلك في مكان الصدارة ويمثل لها بملكة كثيرة
مثل كذك بكذ كذك من كنت.
أما لهجات الشيعة في البهرين، وهي لهجات حضرية، فهي مرتبطة بلهجات جنوب شرق الجزيرة العربية وعمان واليمن، وليس الوضع اللغوي في البهرين مختلفا عن الوضع اللغوي في بغداد، ففي المناطق تتكون الجماعات غير السلمة لهجات حضرية، في حين تعكس لهجات السنة في المناطقين سمات حضرية، ومع ذلك فالصورة ليست بهذا الوضوح إذ هناك فروق كبيرة بين لهجة البحارنة القروية ولهجات المناطق الحضرية. ففي القرى على سبيل المثال ينطق الناس صوت القاف بشكل مهموس ويخرج من آخر الحرف، بينما ينطق بحارة الناحية هذا الصوت بشكل مجهور كما يفعل السنيون. وقد يكون هذا التشابه ناتجاً من عملية افتراض من اللهجة الرفيعة المحترمة، أو قد تكون تلك السماة قديمة.

تشترك لهجات البحارنة جميعاً في نطق الأصوات التي تخرج من بين الأسنان، فيقولون "فلفلة" للتعبير عن "كلة"، وتشترك تلك لهجات أيضاً في تغيير ظاهرة "جهوة"، فيقولون "أخضر" حيث يقول السنيون "خضر". ومن السمات المميزة للهجات البحارنة، وهي أيضاً سمة تجمعها بلهجة عمان وعربية أوروبية، هو استخدام المورفين المتوسط - إحن - لمع أسماء الأفعال التي تنتهى بضمير وصل، فتجد مثلا شارد-إحن- الشهير في الفصحى "شاربه".

9 -列出 لهجات السورية اللبنانية

بدأت عملية تعريب منطقة سوريا ولبنان أثناء حملات الفتح الليبية جدًا، ومعًا لا شك في أن تلك العملية تبعت بفضل وجود قبائل عربية مقيمة في بادية الشام وحتى في بعض المناطق الحضرية أيضًا، استقر العرب الفلاحون في المدن اليونانية الموجودة في المنطقة كدمشق وحلب، وهناك ظهرت أول أنماط العربية الوجدية، وكانت تلك الأنماط لهجات حضرية نمطية تنتمي بقدر كبير من التثبيت اللفظي، وليس هناك فترة زمنية طويلة بين موجة التعريب الأولى والثانية كما حدث في مناطق أخرى كثيرة، فقد استمر نمط الهجرات البادية الذي كان قائما قبل الإسلام عبر البادية السورية وأصبح عاملا من عوامل التثبيت اللفظي في المنطقة.
هناك شبه إجماع عام على تصنيف اللهجات الواقعة بين البحر المتوسط وبادية الشام وذلك بسبب وفرة المادة العلمية، عادة ما يضع العلماء كل اللهجات الحضرية في سوريا ولبنان والأردن وفلسطين في تلك المجموعة، بينما تصنف لهجات البادية السورية مع لهجات شبه الجزيرة العربية، وفي شمال شرق سوريا يتكلم الناس لهجات من نمط "العراقية" كما هي الحال في لهجة بدر الزور، وعبر الحدود مع تركيا في منطقة الإسكندرية التي تعرف الآن بمحافظة هاتاي التركية، يتكلم الناس لهجة هي امتداد لمجموعة اللهجات السورية.

تشترك معظم لهجات المنطقة السورية اللبنانية في السمات الحضرية العادية، كنطق القاف المهروس في شكل الهمزة، واستخدام الأصوات الانفجارية بدلاً من الأصوات التي تخرج من بين الأسنان، وغياب الفصل في الجنس بين المطاط والغاز في الأضفائر والأفعال، واحتفاظ كل لهجات المنطقة بالأصوات التي تأتي الثلاثة الواو والباء والألف، ولكن لا يعني كون تلك اللهجات حضرية كمية أنها لا تحتوي على سمات من اللهجات البدوية، فمعظم اللهجات الأردنية على سبيل المثال تحتوي على صوت الجيم عوضاً عن القاف، مما يعكس تأثيراً للاتصال بالقبائل البدوية، ومع ذلك تخلله لهجات العناصر الرفيعة في عموم المنطقة محل لهجات الريف بسرعة، وتعتبر تلك العملية عملية مستمرة تستمتع في توحيد لهجات الأقاليم الكبرى.

يميز التقسيم التقليدي بين ثلاث مجموعات:

* لهجات اللبنانية، أو لهجات وسط سوريا، وهي مجموعة تتكون من لهجات لبنان كلها كهجة بيروت ولهجات وسط سوريا كلها دمشق، وتحتوي هذه المجموعة أيضاً على لهجات الدروز ولهجات قبائل المارونية العربية.

* لهجات شمال سوريا، وهي لهجة حلب.

* لهجات الفلسطينية الأردنية، وتحتوي على لهجات مدن فلسطين ولهجات قرى وسط فلسطين ولهجات جنوب فلسطين الأردنية التي تحتوي على لهجة حورا.
تتميز المجموعة الأولى عن المجموعتين الأخرىين في بعض الأحيان بكلمة

"نَبْتُبُ أَبْكَتَ"، ففي المجموعتين الأخرىين يكون هذان الشكلان كما يلي:

"نَبْتُبُ أَبْكَتَ".

هناك فرق آخر بين لهجات شمال سوريا ولهجات لبنان ووسط سوريا، ويختص هذا الفرق بعمل الإملاء. ففي لهجات شمال سوريا أصبحت الإملاء عملية تاريخية أدت إلى تغير الفتحة الطويلة إلى صوت لين أمامي أعلى نسباً في جواد الصوت اللين الأمامي العالي، أو ذلك تجد لهجة حلب تنتظم كلمة "إنسان" كما يلي: "اسين"، وغالبًا ما يحدث هذا التغيير أيضاً في جواد الأصوات المخفضة والأصوات الطبقية أيضاً. يجب أن نفصل بين عملية التطور التاريخي والقواعد السكندانية التي تحكم نطق صوت الفتحة الطويلة في الفصيح المعاصرة التي تتفخذ في جواد الصوامات المخفضة، وتميل للارتفاع في جواد ما يغير ذلك. وذلك فإنه تجد أزواج يمكن المقارنة بينها فيما يخص هذا الصوت، وفي تلك الأزواج يكون الصوت إما ناتجاً عن عملية التغير التاريخي في كلمة ما أو يكون نتيجة التصرف الطبيعي للإملاء في البيئة الصوتية في كلمات أخرى.

أما في اللهجات اللبنانية، على العكس من ذلك، فإن صوت الفتحة الطويلة إما ينطق بإملاء وإما ينطق مفخمة بحسب السياق الصوتي، فهناك مثلًا "مات" بصوت ممالي في حين تنطق كلمة "مصري" بصوت لين موفح. ولكن توزيع هذه النتيجتين ليس واضحًا في كل الحالات، ذلك لأن كلا النتيجتين قد يظهر في سياق واحد كما في الحال في كلمتي "جاب" و"واجع"، واحتملت معظم اللهجات اللبنانية بأصوات اللين المركيبة، أي أَوْأَرْأُ، أي أَوْأَرْأُ، في المقطع المعطى على الأقل، وفي المقاطع المغلقة يتحول إلى "أَاَاَا" أو "أَاَاَا" أو "أَاَاَا", وفي بعض الأحيان لا يمكن فصلهما عن تنويعات صوت الفتحة الطويلة كما في الحال في لهجة طرابلس.

ومع ذلك فإن الفرق بين المجموعات الثلاثة ليست واضحة تمامًا، فلا يمكن تحديد الخط الفاصل بين المجموعة اللبنانية والسورية الوسطى ومجموعة اللهجات السورية الشمالية، وهناك خط فاصل بين لهجات فلسطين ولهجات جنوب لبنان عن باقي لهجات المنطقة، وهو قائم على سلوك أصوات اللين القصيرة، تمتلك لهجات فلسطين ومعظم
اللهجات اللبنانية ثلاثة أصوات لين قصيرة، هي تونية أسود وتعتمد باقي اللهجات بالتهذيب بين، وأو، أربعة. وتوجد تلك التهذيب في النواحي غير المتنورة، ولكن في باقي البيانات الصوتية يدمج هذا الصوتان في مزيج واحد، مما يدعم إفراز هذه التهذيبات بين أو أوه، أو أنهما يحظمان في النواحي الفاصلة غير المتنورة، وذلك تجذب في لجنة دمشق كلمة للكلب حيث يكون النبر على المقطع قبل الأخير، ولكن تجذب كلمة مثل طول، حيث يحف صوت اللين القصير لأن النبر على المقطع الأخير.

وفي داخل مجموعة اللهجات اللبنانية كان هناك فصل بين اللهجات التي تحتفل صوت الفتحة القصيرة على النبرة في المقطع المفتوحة وبين اللهجات التي تحتفل بها. وقد اعتبر كانتينو أن الفصل بين اللهجات التي تفرق في التعامل بين الفتحة من ناحية والضمة والكسرة من ناحية أخرى وبين اللهجات التي لا تفرق بينها جميعًا واحدًا من الخطوط الفاصلة الرئيسية التي تحدد لهجات المنطقة. وعبر هذا الخط الفاصل في بيروت يعتبر سمة مميزة داخل مجموعة اللهجات العربية. ولكن الأبحاث التالية قد وضحت أن تفاصيل هذا الحد الفاصل الذي يقيمه هذا الخط أكثر تعقيدا مما يبدو وأن هناك تنوعًا كبيرًا في سلوكي الفتحة القصيرة لا يغطي هذا الخط الفاصل وحده، فهو ليس خطًا عالماً بل يحتاج إلى تعديل وتفصيل.

وفي داخل مجموعة اللهجات الفلسطينية الأردنية تميز اللهجات جنوب فلسطين والأردن عن باقي اللهجات المجموعة بكلمة “بُهلوْنْ”، فإن الجمع المجهود تميز هذه اللهجات كسمة بديعة فتامة أو اسمة تتسم بسرعة النبضات المتتالية.

من الناحية السكنية تقابل معاملة متواليات الصوامد في اللهجات السورية مع اللهجات المصرية وباقي اللهجات، ذلك لأن اللهجات السورية تضع صوت لين إضافي قصير قبل الصامت الثاني في المتواليا التي تحتوي على ثلاثة صوامد كما هي الحال في “يَمْلُكَ” التي هي في الفصحى يحمل، ولا يحمل هذا الصوت الإضافي النبر أبدًا في المقطع الذي يوجد في الكلمة.

وفي كل اللهجات المنطقة تعمل سابقة الإبائة كعلاقة فعلية، ففي لجنة دمشق تعمل كُنْدلا للتعبير عن النية في المستقبل، وتستخدم كذلك التعبير عن الحقائق العامة.
179

179

179

179

179

179
وقد صنف جسترو (1978) لهجات الحضارية بصورة أكثر تفصيلاً، وقسمها لثلاثة أقسام هي لهجات دبلجة لهجات الفراغ. ومنها الأناضول، وسوف نتعامل مع لهجات الأناضول فصل لاحق، ولكننا سوف نركز على المجموعة الأولى في هذا الفصل. ولأن المجموعات الثلاثة تمس السمات الحضرية كنقط القاف بشكل مهتم، كهمرزة واتخاذ الأصوات التي تصدر من بين اللسان وتحويلها لأصوات تصدر من الأسنان وإخافة اللف في الجنس في المخاط والغبار المثل والمعم في الستائر والأعمال، وكذلك يتميز كل لهجات الحضرية بلاحقة الفعل الماضي. أما الدائم المتكم الفرد، كما هي الحال في الفعل "كَتَبَ"، تتجلى العلاقة بين لهجات الحضرية واللهجات البندوية في أن كل لهجات العراق تستعمل لاحقة -أَوُّلِ أو أَنْ وَأَلِ الفعل المضارع، كما هي الحال في الفعل "يَعملُنَّ" وكذلك تشتهر لهجات الحضرية مع اللهجات البندوية في نفس أداة الإضافة التحليلية أَمَل أَيُّ أَدَى المسألة أَرَاح.

وفي اللهجات البندوية هناك ثلاثة أصوات لن قصيرة في الفتحة والضمة والكسرة، ولكن من عجب أنها لا تستمد سماتها الصوتية من أسواق لبن الفصيح.

فقد احتفظت هذه اللهجات بالفتحة في المقاطع المغلقة ولكنها تتحول في المقاطع المفتوحة لكسرة أو لضمة بحسب البيئة الصوتية. فتجد الصوت يتحول لكسرة في "سِبْكَة" وإلى ضمة في "بَصَلَ". وكذلك احتفظت تلك اللهجات بالكسرة والضمة في بيئات صوتية معينة فقط، وفي بيئات أخرى يعبر أحد الصوتين عن الآخر، كما هو الحال في "حَامُضَ" والإِجَّاء". واحتفظت تلك اللهجات بالأصوات التي تخرج من بين الأسنان.

من السمات التي تميز اللهجات العراقية جميعاً وجود سمة الاحتكاكية المشروطة للكاف والكاف والجيم بجوار أصوات اللين الأمامية، وبما تكون تلك من سمات اللهجات البندوية. ولكن لهجة مسلمة بغداد لا تضع سمة الاحتكاكية إلا على الكاف، في كان. وقد أدى هذه السمة الصوتية إلى وجود فصل بين الجنسين في "beetick" للمذكر في مقابل "beetak" للممؤنث.
في حين تحتفظ اللهجات الحضرية بمتواالية صامتين في آخر الكلمة تجد أن
اللهجات البادية تضع صوت لين قصير إضافي، وربما أن يكون هذا الصوت ضме
أو كسرة بحسب البيئة الصوتية، وفي المواقعات المكونة من ثلاثة صوامات في وسط
الكلمة تضيف اللهجات البادية صوت لين قصير إضافي عقب الصامت الأول.
أما فيما يخص النظام الفعلي فقد تطور زمن الماضي أفعال أُطِبِقًا لقاعدة
أصوات اللفظ التي قدمت لنا سابقة، وأصبح إما أفعال أُطِبِقًا أو أفعال أُطِبِقًا أُحِسب البيئة
الصوتية. وفيما يتعلق بنهائيات التصريف الفعل فقد تم تسوية الاختلافات بين نهایات
التصريف الفعل الصحيح والفعل المعتل لحد كبير، وقد أدت تلك العملية في بعض
الأحيان إلى استخدام نهایات الفعل المعتل في التصريف الصحيح كما هي الحال في
الكثير من اللهجات البادية. ومن أمثلة تلك الفعلاء "ضرٍّ" و"كتيّبو". تجد في هذه
النهايات أن لاحقة -aw- على آخر الفعل مشتقة من نهاية الفعل المعتل "كما" بـ،
مثلًا، بل إن بعض اللهجات الحضرية تتحاذي في عملية التسوية تلك لتلقى كل الفروع
بين الفعل الصحيح والفعل المعتل، وفي لهجة مسلمة بغداد هناك سابقة لجهة
الاستمرار وهي -ا، كما أن هناك سابقة للمستقبل وهي آراء. كما هي الحال في
اللهجات العراقية عامة. ولكن اسم الفاعل يستخدم للتعبير عن جهة التام كما هي
الحال في عربية أوروبستان.

تهمتنا هنا جدًا اللهجات العربية التي تتكلمها سكان مقاطعة خوزستان الإيرانية
التي يسميها العرب غربستان، بالرغم من أن التطورات السياسية في العقود القليلة
السابقة قد حوّلت هذا الإقليم إلى جيب لمغفل، إلا أن العلاقات بين العرب المقيمين
هناك والقبائل العربية التي ينتمون إليها في العراق لم تسقط كلية أبدًا. فاللهجات
البادية الموجودة في خوزستان تعتبر الاصطناد للهجة منطقة شبه الجزيرة العربية، ولكن
اللهجات الحضرية في هذا الإقليم تعكس تشابها كبيرًا مع اللهجات البادية العراقية —
وخاصة اللهجات الموجودة في محيط البصرة. تستخدم لهجات خوزستان كما هو
متوافقًا كلمات فارسية مقلدة كثيرة في المجالات الرسمية خاصة، كما هي الحال في
كلمة "إدارة" التي تستخدم في الفارسية بمعنى "مكتب". ولكن ذلك لا يعني أن تلك

181
اللهجات لا تقترض من الفارسية كلمات شائعة مستخدمة في غير حقل دلالي واحد. وفي الناحية الشرفية يبدي بنا أن نشير إلى وجود أدلة استخدام من في آخر الجملة وهي تساؤل عن شخص وعن شيء في أن واحد. فتجد سكان خوزستان يقولون مثلًا: تفشي من؟ وقولون أيضًا: تريدة تشتري من؟ وفي بعض الأشكال الفعلية - وخاصة قبل ضمائر الوصل - تستخدم لهجات خوزستان لاحقة - مثلاً كما هي الحال في "اعْتُنِّها" التي تعني "سوف أخذها".

10 - 4 اللهجات المصرية

بدأت الراحل المبكر لتعريف مصر عقب الفتح العربي مباشرة، بعد انتهاء الفتح. وتأسس مدينة الفسطاط سرعان ما هجر شعب مصر السفلى الفيلقية وتكمموا اللغة الجديدة. أما في الريف وفي مصر العليا فإن الموقف اللغوي لفترة طويلة، وكان تعريباً تلك المنطقة تدريجياً وأبطأ من تعريباً مصر السفلى. وقد تم تعريباً مصر العليا في فترة ثلاثة قرون بواسطة قبائل عربية أخذت في الهجرة من شبه الجزيرة العربية للغرب.

وانتشرت اللغة العربية من مصر إلى الجنوب بمحاذاة النيل فدخلت السودان وتشاد. وفي منتصف القرن الثالث الهجري هاجرت قبائل بريعة وجهينة من صعيد مصر باتجاه الجنوب فغزت أراضي قبائل النوبة والبجة، ولذلك تجد البيض الذين يتكلمون العربية في السودان حالياً يدعون أن أصلهم يرجع لقبيلة جهينة، بينما يسمي السودانيون الحضريون أنفسهم بالطبيعين نسبة إلى فرع من فروع العبابسين يسمى بجعل، ولكنهم في أغلب الظن من التوربيين الذين تعربوا في مرحلة مبكرة، أى بعد الفتح العربي نحو مباشرة قبل الهجرات البنيوية.

وأغلب الظن أيضًا أن بعض الأنماط العربية التي يتكلمها الناس في غرب ووسط أفريقيا قد نشأت نتيجة لتوسع القبائل العربية من السودان غربًا. وقد أطلق العرب على حزام الصحراء الواقع بين الصحراء الكبرى وغابات وسط أفريقيا تسمية بلاد السودان، وقد دخلت العربية والإسلام إلى منطقة غرب إفريقيا عبر هذا الحزام من السودان إلى
نيجيريا عبر جمهورية وسط أفريقيا وتشاد والكاميرون. وقد نشأت بعض لهجات نيجيريا العربية وعربية نيجيريا أثناء هذه العملية التوسعية. عربية نيجيريا موجودة في المنطقة الشمالية الشرقية في محافظة كلن، ويكلمها حوالي 200 ألف من السكان الذين يسميهم جيرانهم بالشوا، ولكنهم يسمون أنفسهم عربياً، ومن الممكن أن تكون تلك الجماعات قد وصلت إلى تلك المنطقة من الشرق في النصف الثاني من القرن الرابع عشر، كل لهجات موجودة على حزام السافانا لهجات بدوية تنتمي لثقافة البجارة (أي ثقافة رعاية البقر الهدي التنين بدأوا الهجرة من الشرق إلى الغرب)، بالرغم من أننا ماتزال نجهل الكثير عن لهجات العربية في وسط أفريقيا إلا أن هناك سماء كثيرة ترتبط بين عربية نيجيريا وعربية تشاد وعربية السودان (انظر في ذلك أوفر ز.1993).

أما بالنسبة لمصر نفسها فالجماعات اللغوية التالية هي التقليدية والمتعلقة بها:

* مجموعة لهجات الدلتا، وهي تنقسم بدورها إلى لهجات شرق الدلتا في منطقة الشرقية ولهجات غرب الدلتا، في الكثير من الأحيان تمثل لهجات غرب الدلتا الواصلة بين لهجات مصر ولهجات المغرب العربي، من بين تلك السمات استخدم شكل الفعل المضارع "كتبي" للمنكم الجمع.
* لهجة القاهرة
* لهجات مصر الوسطى من الجيزة إلى أسيوط.
* مجموعة لهجات الصعيد، وتتقسم تلك المجموعة بدورها لأربعة أقسام: مجموعة لهجات ما بين تسيوط ونجع حمادي، ومجموعة لهجات ما بين نجع حمادي وقنا، ومجموعة لهجات ما بين قنا والأقصر، وأخيراً مجموعة لهجات ما بين الأقصر وإسنا.

لم تتمتع أي لهجة مصرية بالدراسة المستوية سوى لهجة القاهرة حتى فترة قريبة، ولكن بالرغم من توفر معلومات كثيرة عن لهجة العاصمة إلا أن أصل تلك اللهجة ومراحلها المبكرة مجهولة لحد كبير لم تزل. وإذا ما قارنا بين لهجة القاهرة الآن

183
واسمها المذكورة في لهجات مصر التي كتبت في القرن التاسع عشر والنصوص التي سجلت لنا من تلك الفترة فستلاحظ فروقًا كبيرة. ففي لهجة القاهرة في القرن التاسع عشر سمات ليست موجودة في لهجة القاهرة المعاصرة كاستخدام سلطة أنقل الفعل المبني للمجهول مثل "انضرب" بدلاً من السابقة "انضرب" المستخدمة حالياً واستخدام الإملاء في الوقت واستخدام شكل الفعل "ما شاء الله" بدلاً من "ما شاء الله العاقر". ستلاحظ كذلك في المقارنة اختلافات معجمية كبيرة تذكر منها مثل استخدام كلمة "مرة" للتعبير عن السيدة، وهو لطيف كان مستخدماً دون دلالته الحديثة التي تدل على سوء السمعة. هذه السمات التي ذكرناها أمثلة على لهجة القاهرة في القرن التاسع عشر ماتزال موجودة في بعض اللهجات الريفية المصرية التي لا تتفق في نفس المجموعة اللهجاتية.

يجب أن ننظر إلى لهجة القاهرة المعاصرة كلهجة خليجية (فويديش 1994) كانت بدايتها في النصف الثاني من القرن التاسع عشر عندما بدأ زحف الهجرات الريفية على العاصمة. من بين نتائج تلك الهجرة أن مجموعة من سمات لهجة القاهرة قبل الهجرات أصبحت محترقة ومرفوضة لأنها مماثلة لسمات لهجات الريف الوضيعة التي جلبها المهاجرون معهم. واستمرت عملية تحقيب السمات تلك فاعلة في القرن العشرين. فتجد في أفلام العشرينيات والثلاثينيات أن أبناء الصفوة يستخدمون سمات يعتقد الناس اليوم أنها سمات قوية وضيقة، من بين تلك السمات استخدمت لاحقة الميم على الفعل الماضي مع ضمير الفاعل الجمع مثل كتبتم، ويمكن أن نجد تلك السمة في الأحياء الفقيرة في القاهرة حتى الآن. ولم تؤثر عمليه الخلط بين اللهجات في القرن التاسع عشر فقط إلى اختفاء الأشكال الريفية وتحقيقها بل أدت أيضاً إلى ظهور أشكال جديدة تماماً كنتيجة لعملية الترميم والتحضير كما هي الحال في اختفاء الإملاء في الوفاة.

وعندما تزايد تأثير وسائل الإعلام انتشرت لهجة القاهرة في عموم البلاد، ولا يجب أن نتصور أن ارتفاع شأن لهجة العاصمة هذا أمر حادث وحديث، فقد رأينا في الفصول السابقة أن تأثير لهجة القاهرة على خريطة لهجات الدلتا كان محسوساً على طريق التجارة القديم بين القاهرة وميناء دمياط على فرع النيل الشرقى.
يطلق المصريون أنفسهم على كل اللهجات الجنوبية اسم اللهجات الصعيدية
ويمثلون بينها وبين لهجة القاهرة الوطيدة، ويكمن أحد الفرق الجغرافية بين المجموعتين
في نطق الفاف والجمب، ففي لهجة القاهرة تتحول اللاف الفصيحة إلى همزة، وتنطق
الجمب كصور انتبهار مجهور، أما صوت الفاف الفصيح في لهجات الصعيد فيتحول
إلى جيم انتبهار مجهور بينما تنطق الجمب كصور انتبهار مجهور أو تنطق في
بعض الآخرين دائماً، ومن بين الفرق بين لهجة القاهرة لهجات الدلتا من ناحية ولهجات
الصعيد من ناحية أخرى، وضع المير على الكلمات. فتجد في لهجة القاهرة والدلتا
التبر على المقطع الأخير إذا كان هذا المقطع يحتاج إلى صوت لين طويل أو ينتهي
بصامتين، ومنذ أن يتبع هذا المقطع أكثر من صوت لين واحد فإن الصوت الذي يتبع
المقطع التالي مباشرة هو الذي ينطق الببر كما هو الحال في كلمة م לדעת. وعندما
لا تحتوى الكلمة على مقطع لين المناوى، فإن الصوت لين في الكلمة هو الذي
ينطق الببر كما هو الحال في كلمة برك. يختلف هذا النظام مع نظام نبر اللهجات
الواقعة جنوب القاهرة، فتجد صوت لين الطويل قبل المقطع المنزور مقصراً، يتم
تقدير صوت القطعة الطويلة في طالب إذا ما وضعت في شكل الؤد فتصبح بشكل
يشبه طيبة. وكذلك يهدف صوت الضمة والكسرة لو وقعا قبل المقطع المنزور أو بعده
إلا إذا كانت تلك الأصوات في أواخر الكلمات.

تشكل لهجات المنطاق الغربية في مصر منطقة التلامس مع لهجات المغرب ليس
فقط في منطقة الدلتا بل وفي الواحات الغربية أيضًا، وفي حقيقة الأمر ليست لهجات
الفراء والبحرية داخلية والخارجية معروفة بشكل كبير، ولكن بما أنها تعكس بعض
سمات العربية الغربية فقد تكون بعض الأسماء لأنهم تنتسب لمجموعة اللهجات الغربية
بشكل أو بآخر، فتشبه لهجة الفراءة مثل لهجات المغرب في نطق صوت الؤد اسماء
احتكاكية. وفي لهجة الفراءة والبحرية مما يكون شكل الفعل المضارع المتكلم
تكتب أنكر. وهو الشكل الذي يميز لهجات المغرب ولهجات الفراءة والبحرية كما هو الحال في الفعل الأحاف
تدبر و مع ذلك فإن لهجات الواحات الغربية كلها أقرب للهجات وادي النيل - وخاصة
لهجات مصر الوسطى- عنها للهجات المغرب، لقد رأينا سابقا أن بنيان هذه اللهجات

185
الحالية قد نتجت عن الاتصال بين لهجات مختلفة، فقد جاء سكان الواحات أصلاً من وادي النيل. بل إن بعض سمات تلك اللهجات تعتبر سمات قديمة كانت موجودة في اللهجات مصر الوسطى ولكنها سقطت منها بمرور الوقت وأدى التحديات اللغوية ولكن تلك التحديات اللغوية لم تنتشر لأطراف حدود المجموعة اللفظية فظلت تحتفظ بالسمات القديمة، أما بالنسبة للسمات الغربية في تلك اللهجات، فسنتكون قد دخلتها عن طريق غزوات الدروز الغربيين المتاحرة، وخاصة هجرات بنى سليم أثناء هجرتهم المضادة نحو الشرق، وسبب تلك العملية دخلت اللهجة البربرية واحة سيوة التي تعتبر المكان الوحيد في مصر الذي يتكلم سكانه البربري.

هناك مجموعة متنوعة من اللهجات البدوية في الشرقية وسيناء، وقد أثبتت الدراسات الحديثة (دي يونج 1996) أن بعض اللهجات شمال سيناء تنتمي لمجموعة اللهجات الشرقية بينما تكون اللهجات غرب سيناء استمراراً لمجموعة اللهجات الصحراء النقب البدوية، ولكن المجموعتين كليهما مرتبطتان بلهجات شمال شبه الجزيرة العربية. فمعظم تلك اللهجات قد ظلت في تلك المنطقة في القرن الأول بعد الإسلام، بل إن بعض اللهجات العربية قد تكون دخلت مصر قبل الفتح العربي.

بالمثل من الفروق الكبيرة فإن هناك بعض السمات المشتركة التي تميز اللهجات العربية في مصر عن باقي المجموعات اللفظية، فكل اللهجات مصر تحتفظ بأصوات اللين القصيرة الثلاثة الفتحة والضممة والكسرة، وإن كانت الكسرة والضممة تحذفان في المقاطع المفتوحة غير المنبرة، وفي اللهجات المصرية هناك خمسة أصوات لين طويلة هي: وال، ومع تقصير تلك الأصوات في المقاطع غير المنبرة، بل وإن اللهجة القاهرة تقصر تلك الأصوات في المقاطع المنبرة، أو لجأ صامتان كما الحال في كلمة عارفة، ولكن المجموعات اللفظية المختلفة تتعامل مع متواليات الصوامع كل بشكل مختلف، فتجد اللهجة القاهرة تتعامل مع متواليات الصوامع التي تتكون من ثلاثة صوامع في وسط الكلمة بإضافة صوت لين إضافي قبل الصامت الثالث كما هي الحال في عبارة "الصبر طيب" وفي الماضي كان صوت اللين الإضافي يلقى النبر بحسب قواعد النبر في اللهجة المصرية.
من مميزات اللهجات المصرية والهجة السودانية المرتبطة بها أيضاً مكان أسماء الإشارة وأبوات الاستفهام في الجملة. فاسماء الإشارة القطرية قد أدى أو أدى أو أُلُبْتْ قد تكون بعد الاسم المضايح كما هي الحال في "الراجل د" مثلما، أما مكان أبوات الاستفهام في الجملة فهو مكان مثل، بينما تضع معظم اللهجات العربية أبوات الاستفهام في بداية الجملة، تجد أن اللهجة المصرية تحافظ على أداة الاستفهام في نفس موقع الكلمة المستفهام عنها، كما هي الحال في "شفت مين" وقد حاول علماء كثيرين تبرير تلك السمة بوجود تأثير من اللغة القبطية.

في كل اللهجات المصرية يحمل الفعل المضارع غير المتعلق معاني صناعية، ولكن إذا ما نخلت عليه سبب اقتصادي أو إهاب عن جهة الاستمرار أو العادة، وإذا ما نخلت عليه سبب أخرى، فإنه يعود عن زمن المستقبل النحوي، ويعتبر اسم الفاعل جزءاً محدوداً من النظام القاعدي في تلك اللهجات، وفي بعض الحالات الفردية لأفعال الحواس أو الحركة يعبر اسم الفاعل عن جهة الاستمرار كما هو الحال في "تشايف" في مقابل "ياشوه" في كل يوم التي تعتبر عن العادة، وفي حالة باقي الأفعال يعبر اسم الفاعل عن نتيجة تمت من فعل ما كما هي الحال في "أنا لسا واكل".

5- لهجات المغرب

لا يوجد في أي منطقة أخرى في العالم العربي غير المغرب هذا الفاصل الزمني الكبير بين مرحلتي التصريف، ففي أغلب الفروع العربية المبكرة في النصف الثاني من القرن السابع الميلادي اختلت جماعات صغيرة من الفتحيين العرب المناطق الحضرية في شمال إفريقيا، واستقر هؤلاء الفتحيون في المدن الكنائسية والفعل في معظم الأحيان. وفي أحيان أخرى استقر العرب في مدن مدن معسكرات حديثة البناء. ومن تلك المراكز الحضرية انتشرت اللهجات العربية الحضرية المبكرة، ترجع بعض اللهجات العربية اليهودية في شمال إفريقيا كلهجة يهود مدينة تونس ومدينة الجزائر إلى تلك الفترة المبكرة، وفي تلك الحقبة ظلت أغلبية الأرياف الكبرى بحرية في خلفيتها. وحدثت المرحلة الثانية من التصريف بعد ذلك بقرون عدة في غزوات بنى هلال في القرنين العاشر.
والحادي عشر الميلاديين، ووصلت العربية في تلك المرحلة إلى الريف والمناطق البدوية في عُمور شمال أفريقيا بالرغم من أنها لم تستطع أن تُزيح اللهجات البربرية تمامًا.

تشمل مجموعة لهجات المغرب على لهجة موريتانيا الحسانية ولهجة المغرب والجزائر وتونس، وليبيا، وتشير كتاب اللهجات إلى النواحي التي خرجت من كل مرحلة من مراحل التدريب بلهجات ما قبل الهلالية واللهجات الهاشمية، وكل لهجات ما قبل الهلالية لهجات حضرية يتكلمها سكان المدن وسكان المناطق المحيطة بها، والتي تعرّفت في مرحلة مبكرة كلهجات السهل التونسي والمناطق الواقعة شمال المدن المبكرة كتمس النطاق والمسان وقاس. هناك مجموعة تُعتبر تحت مجموعة اللهجات المغربية ما قبل الهلالية:

* لهجات ما قبل الهلالية الشرقية، وهي موجودة في ليبيا وتونس وشرقي الجزائر.

* مجموعة لهجات ما قبل الهلالية الغربية، وهي لهجات موجودة في غربي الجزائر والمغرب. تتميز تلك اللهجات بوجود صوتي لين قصيرين فقط على وجوه آدائي. تنكر مشتقين من الرمز العربي واحد، تجدهم يقولون في اللهجة المغربية واحد الرمز، وتستعمل تلك الآدائي بصحة آداة التدريب في تركيب مواز لاسم الإشارة المتبوع باسم معرف.

تعتبر ليبيا منطقة لهجات بدوية لحد كبير، وحتى لهجات المناطق الحضرية كلحة طرابلس قد أصابها تأثير اللهجات البدوية الملاحوبة، ولكن تونس منطقة انتقالية ترتبط
اللهجة البادية فيها بلهجات ليبيا. أما الجزائر فهي منطقة مختلطة، ففي منطقة قسنطينة هناك لهجات حضرمية ولهجات بادية، وهي متمفصلة بتونس من ناحية وبايجوروس من ناحية أخرى، وألبيرويس منطقة بادية في لهجاتها، ولكنها تحتوي على منطقة لهجات حضرمية مهمة وهي تلمسان، ويتكلم سكان السهول في المغرب اللهجة البادية، ويشاركون في ذلك سكان الدن الدن الحديثة نسبا كباردو البيضاء، وفيما يخص اللهجات الحضرمية ضمهم مراكز الرباط وفاس. وكما رأينا سابقا فإن اللهجة المستخدمة في موريتانيا لهجة بادية. وكانت اللهجة المستخدمة في الأندلس الإسلامية أيام الحكم العربي لهجة تنتهي لمجموعة اللهجات الغربية، وكذلك كانت الحال مع اللهجة الجيب اللغوئي العربي في مالطا.

وقد أثر التجاور الطويل بين العربية والبربرية في شمال إفريقيا حتى الآن على تلك اللهجات تأثيرا ملحوظا، وقد أثارت مسألة تأثير البربرية على لهجات المغرب مناقشات علمية كثيرة، ولكن الثابت هو وجود عدد كبير من الكلمات البربرية المقترضة في تلك اللهجات، وقد بلغ الاقتراحات العديدة استخدام أوزان اسمية بربية معينة من أشهرها وزن "تفزة". واستخدم هذا الوزن للتعبير عن الهن، فتجدهم يقولون مثل "تفزة". وقد أخذت اللهجة الحسانية بوجه خاص عددًا كبيرًا من الكلمات البربرية، وقد أخذت بعض الكلمات بجميعها البربرية الأصلية كما هي الحال في "أرجن" التي تعني "رجل" وجمعها البربري "أرجن". وأخذت الحسانية مع الكلمات المقترضة من البربرية سوابق التذكر والتتابع الخاصة بها.

بالرغم من التنوع اللغوي الكبير في شمال إفريقيا إلا أنه يمكن أن ننظر إليها على أنها منطقة لهجات واحدة بسبب السمات المشتركة بين لهجاتها والتي تفصل بينها جميعا وبين باقي لهجات العالم العربي، فهناك سمة صرفية في الفعل ساعدت على تصنيف لهجات المغرب العربي معًا، وهي سمة سابقة للون على الفعل المضارع الكلم، كما هي الحال في "كتب أكتب" في اللهجة المغاربية، والخط الفاصل بين اللهجات التي تستخدم سابقة اللون في الفعل واللهجات التي لا تستخدمها موجود في منطقة ما في غرب مصر.
كل لهجات المغرب فيما عدا لهجات الحضرية الشرقية تمثلت نظام أصوات لين بسيط للغاية: صوت لين قصير، وثلاثة أصوات لين طويلة هي الواو، والباء، والمد. وفي أحد اللهجات تنحصر أصوات اللين القصيرة في صوت واحد.

أحد السمات الجذابة في أصوات اللهجات الغربية هي نقل النبر في الكلمات التي تقوَّس. فعَّالَة التي تعمل كوظيفة الماضية ضمن ما تُعمل، فإذا ما افترضنا أن النبر الأساسي في الكلمة كان على المقطع قبل الأخير فيمكن أن نعيد بناء تاريخ نظام المقاطع كما يلي: كان النبر الأساسي على المقطع الأول ثم انتقل إلى المقطع الثاني ثم سقط المقطع الأول بسبب انتقال النبر عن صوت اللين القصير فيه فسقط من الكلمة كلية. اللهجة الغربية الوحيدة التي لم تمر بمراحل انتقال النبر تلك هي اللهجة المالطية.

وفيما يخص بنيوية المقاطع، تأثر الكثير من اللهجات الغربية بعملية إعادة بناء المقطع المكون من صوت لين قصري. فصيغ هذا المقطع كمكبة مكونة من صامتين يليهما متحرك، فصامات أخير، بما أن هناك منع في كثير من اللهجات لوجود صوت لين قصير في المقطع المفتوحة، فهناك يكون هناك مقاطع مكون من التركيبية التي ذكرناها توا متتابع بنهاية مكوبة من صوت لين، يقفز صوت اللين القصير في المقطع من مكانه للواء خطوة واحدة، وكذلك تعمل قاعدة منع أصوات اللين القصيرة في المقاطع المفتوحة في أشكال مجموعة المخاطب في الفعل المضارع حيث يصبح الفعل مثل `تكتبو`. ولكن نتيجة تلك القاعدة الصوتية تختلف في لهجات مغربية أخرى، في بعض اللهجات تحتف صوت اللين القصير كليا كما هي الحال في لهجة مسلي عددية تونس، أو قد تسفر القاعدة عن تضحيت الصامت الأول في الجذر كما هو الحال في لهجة مسلي مدينة الجزائر، وقد اختارت لهجات أخرى خليلا أخرى لتلك القاعدة الصوتية، انتصر فيها فيشر وجسته (1980: 43-46).

حقق نظام اشتقاق الأوران الفعلية في اللهجات المغربية نمطية ونظرا أكثر من اللهجات العربية الشرقية. فتوجد على سبيل المثال أن أكثر الأوران الفعلية في اللهجة المغربية هو وزن `فعل` وفاعل` وفاعل`، ويمكن أن نستطيع من كل الأوران فعل مبني للمجهول بما في ذلك الجذر، ويجدر ذلك باستخدام سلسلة التأثيم المضروبة قبل الفعل كما في الحال في `تشافا` في اللهجة المغربية، أما المبني للمجهول باستخدام سلسلة الفون
بدلاً من سابقة الناء فهي سمة من سمات اللغات الشمالية ولغات يهود المغرب، ولكن في بعض اللغات هناك نوع كبير في استخدام سؤال المبنى للمجهول، فتوجد لهجة سكونة تستخدم سابقة التاء أو سابقة التون أو سابقة تاء تون، مما ينتج عنها كبراءة في الأشكال الفعلية، ومن أكثر الأمثلة شبهًا كتيب وتكتب اللسان يعني أن هذه اللغة تُستَهنا بجمع بين المعاني.

مايزال أشكال سؤال المبنى للمجهول محل نقاش كبير وجدل بين العلماء، فيما أن تلك السؤال تلقى بجزء الفعل فلاد أنها أشكال لهجات جديدة صنعتها اللهجة المغربية على غرار الزمن الفصيح تُشْفَع في حالة الأشكال التي تبدأ بسأبة التاء ووزن انفصالٍ في حالة سؤال التون، ولكن هناك رأي آخر يقول إن تلك الأشكال تتمثل أشكالاً سامية قديمة بما أن الإثيوبي والفارسية فيها أشكال فعلية مسبوقة بالأنثوية ويقترح أجوادٍ (1999: 162) أن يكون شكل انتاء هذا ناتجًا من تأثير اللهجة الليبية التي تحتوي على سابقة الناء للمجهول في الآثراً.

وتتمثل اللهجة الحسانية في موريتانيا موقفًا خاصًا بين اللغات العربية، فهي تحتوي على كل السمات الخاصة باللهجات البربرية، ولكنها في نفس الوقت نجد فيها أماكنًا خاصة وفردية جداً من التحديثات الفعلية، ففي المجال الصوتي نجد أن تلك اللهجة تحتوي على صوت مجهول يحل محل صوت الفاء العربي، فتجد متكلمي الحسانية يقولون مثلما في فناء، أما صوت الفاء العربي الهموس فهو موجود في تلك اللهجة ولكنها مقصورة على بيئة صوتية معينة، وهي أن يقع قبل صوت مهموس كلفال، وفي حالة التضنيف وهي أخر الكلمات، وكلا الصوتين ألفونس يظهر في بعض البيئات الصوتية المشروطة، مثلاً في ذلك مثل معظم باقي الفونيمات العربية، وكما كانت الحال في كل اللهجات العربية الأخرى فقد انتشر صوت الفاء والصوت في بعض الكلمات المهمية يظهر انعكاس لصوت الفاء، كما يوجد في الحال في كلمة فناء، وكلمة ارندة، ولكن يمكن أن نعتبر هذه الكلمات من فعل الاقتراض الفعيل من الفنصحي، ولكن هناك بعض الكلمات التي يظهر فيها هذا الانعكاس أصلًا، فكلمة vadda

191
وفي تلك الحالة يمكن أن نعتبر أن اللهجة الحساسية في اللهجة الغربية الوحيدة التي ما تزال تحتوي على بقايا التقسيم القديم بين الضاد والطاء. هناك سمة مشتركة أخرى في اللهجة الحساسية وهي وجود ثلاثة أورنيمات حنكي في عدد محدود من كلمات اللهجة وهي صوت تون حنكي وصوت تاء حنكي وصوت دال حنكي، معظم الكلمات التي تظهر فيها تلك الأورنيمات كلمات ترجع لأصل بريزي، لا يمكن أن نشتك في مكانتها الفونيمية ولكن دورها في اللهجة دور محدود للغاية.

العربية في اللهجة العربية السعودية تشكلة في اللهجة العربية السعودية الموجودة في باقي اللهجات العربية فهناك وزن يبدأ بسابقة السين كما هي الحال في تسكبت التي تعني "تستكتب" في الفصحى، وقد يكون تفسير هذه الظاهرة هو أن هذا الوزن ناتج من poids الزمن "استفعل"، وانتشرت سابقة السين تلك على كل الأوزان من السمات العربية في تلك اللهجات وجود شكل تصغير للفعل يستخدم مع الأسماء الموضوعة في شكل التصغير ذاته.
الفصل العاشر

نشوء الفصحي المعاصرة

10 - مقدمة

في عام 1798 أسست حملة تابولاين بونايرت القصيرة على مصر هذا الإقليم العثماني في حالة اتصال مباشر مع غرب أوروبا، وقد مثل هذا الحدث بداية عصر جديد تولى فيه الثقافة الأوروبية الفرنسية أولى الإنجازات في العالم العربي، كانت الحكامة في مصر هي التي تدعم استقبال الأفكار الجديدة، فقد شجع محمد علي الذي حكم مصر من عام 1805 إلى 1848 ترجمة الكتب والمقالات من الفرنسية، وقد تركت الترجمة على الكتب التقنية، ولكن كتبها في السياسة والثقافة قد ترجمت أيضًا، بهذه الطريقة أصبحت أفكار التموير الفرنسي ومفاهيمه جزءًا من الحياة العقلية المصرية.

فقد أدى دخول الأفكار السياسية الجديدة إلى قيام الحركة القومية العربية التي تركز حول اللغة العربية كلهة قومية في أواخر القرن التاسع عشر، وفي نفس الوقت أدت المواجهة مع الأفكار الغربية لقيام جدل كبير حول صلاحية هذه الأفكار في ظل التقاليد العربية الإسلامية، ومن الناحية اللغوية أدى ذلك المواجهة لقيام جدل حول صلاحية العربية للتعبير عن تلك الأفكار، وسوف نتعامل في هذا الفصل مع موضوعات أربعة هي : وضع اللغة العربية في القرن التاسع عشر، وتطبيع معجم العربية للأفكار الجديدة، وإصلاح النحو، وأخيرا التغييرات التي طرأت على بنية اللغة.
عندما دخل الفرنسيين مصر كتب الجبريت (توفي عام 1835) شهادة معاصرة دراسة تكلم فيها عن الوضع السياسي في أوروبا والعلاقات الدولية فيما بين البلاد الأوروبية. لأول مرة يتحتم شرح أفكار ومؤسسات سياسية طويلة الأمد. وكان المترجمون في القرن التاسع عشر نشطين في الوسط بين حضاراتين بنقل أفكار ثقافة بلغة ثقافة أخرى (أيالون 1877).
فقد كان - على سبيل المثال - من الصعب أن تجدر في اللغة العربية معاداة فكرة "الحكومة الدستورية" الأوروبية. في بعض الترجمات ظهرت تلك الفكرة على أنها "ملكية مقدسة" نقلها عن المصطلح الفرنسي "monarchie limitée" الوضعية صعبة الفهم أيضا في سياق العالم العربي الثقافي، فلم يكن أغلب الأحيان يعرف سوى القوانين السماوية "الشريعة". وتوعد المترجمين لفترة طويلة في استخدام الفعل "شرع" مع القوانين العربية الوضعية. ولكن "الشريعة" - قد أصبح جزءا من تسميته البرلمان في اللغة العربية خلال نهاية القرن التاسع عشر، وأصبح الدستور هو كلمة المستخدمة لفهم "constitution" وهي كلمة في أصلها تعني "مجموعة من القواعد"، وبعد ذلك أصبح من السهل استخدام تعبير "الحكومة الدستورية".

وذلك كان من الصعب التعبير عن فكرة المواطنة في مجتمع يتكون من حاكم ومحمومين/ استخدم المترجمون العرب في بداية الأمر كلمة "رعيه" التعبير عن كل منهم تحت الحاكم، ولذلك استخدم العرب مصطلح "حقوق الرعية" التعبير عن الحقوق المدنية للمواطنين. وبسبب الدلالات الكثيرة التي يحملها هذا المصطلح، حاولوا أن يستخدموا مصطلح "الشعب" بدلاً من "حكم الشعب بالشعب"، ولكن عندما أصبح مفهوم الوطن واضحًا ومهما في القرن العشرين أصبح مصطلح "المواطن" مستخدما بشكل كبير (أيالون 1987: 24-25).

وذلك كانت سمات التنسيق الحكومي في الكثير من البلدان العربية تمثل مشكلة كبيرة للمترجم الذي يحاول أن يشرح نظام المجتمع الأوروبي، واحد من أول المصطلحات التي استخدمت للتعبير عن هذه الفكرة هو "الوكيل" واستخدم في تراكيب من أمثال "وكيل الرعية" و"مجلس الوكالات". وفي نهاية القرن التاسع عشر حل مصطلح
تنويه: محل "الوكلاء". وفي بعض الأحيان كان اختيار المصطلح مقصودًا من قبل الحاكم الذي كان يريد أن يستغل غموض المصطلح، عندما دخل مصطلح "الشورى" للتعبير عن المؤسسة النيابية كان لهذا المصطلح مدلولات اعتبارية فقط غير مناسبة.
ولذلك كان من السهل على الحاكم أن يقلل من صلاحيات هذه المؤسسة. وكان لصطلح "الديوان" البديل نفس الفهم، أي عيب الرومان في تلك قوة الحاكم، وفي نهاية الأمر أصبح من المفيد أكثر أن يستخدم الناس مصطلح "المجلس" الأكثر غموضًا، أو لجا الناس أحيانًا للاستفادة من كلمة المقترحة برلان للتعبير عن القيمة المعنية الجديدة للكلمة المؤسسة. بين هذا المثال الأخير عملية اختيار المصطلحات في كليتها، إذ من بين فوؤدي الكلمات يختار الناس في النهاية الكلمة الأكثر اتساقًا مع الحال (رابحان 1986)

هناك مشكلة إضافية في مسألة دخول المصطلح السياسي إلى اللغة العربية في القرن التاسع عشر وهي أننا في كثير من الحالات لا نعرف معلومات كثيرة عن الطريق الذي دخلت المصطلحات منه، فقد لعبت الاختراعات المصلحية التي قدمها الكتاب من بداية القرن التاسع عشر كالجبرتي دورًا مهمًا في هذا السياق، بالرغم من أنها لم تكن الطريق الوحيد لإدخال التجديدات المعجمية، فقد كان الترجمون في بعض الأحيان يرجعون للمصادر العربية قبل العثمانية كما هي الحال في المصطلحات التي استخدمها بن خلاج في مقدمته، وذلك ليأخذوا منها كلمات مثل "الاستبداد" و"الشورى" و"الفتنة"، وقد استبدلت بهذه المصطلحات في مراحل متأخرة كلمات أخرى أقل في دلالاتها الإسلامية، وذلك مثلا عندما استبدلت كلمة "ثوره" بكلمة "فتنة".

وقد دخلت بعض الكلمات التي وردت على العربية عن طريق المروج بمرحلة عثمانية، عندما شكك الشباب العثمانيين أفكارهم الجديدة من الحكم والسياسة لبلادهم في النصف الثاني من القرن التاسع عشر اقتراحوا كلمات من اللغة العربية لم يكن لها مدلول سياسي أو لم تكن مستخدمة أو شائعة، وفي مرحلة متأخرة أعيد تقديم تلك الكلمات للغة العربية بمعانيها الجديدة المكتسبة، من بين تلك المصطلحات مصطلح "حكومة وجمهورية"، هناك كلمات اقتراحتها اللغة التركية العثمانية ولكنها لم تكون شائعة في العالم العربي، من بين تلك الكلمات كلمة "مبعوث" التي استخدمتها اللغة
التركية في تعبير "هيئة المبوعين" في عام 1876، من بين تلك الكلمات أيضا كلمة "ملةmega" التي استخدمتها الإدارة العثمانية في القرن التاسع عشر للتعبير عن الأمم الأخرى.

ولكن اللغة العربية لم تستخدم بهذا المعنى فقط، وإنما كانت إضافةً إلى هذه الكلمة، ففي هذا السياق استقبلت بعض المصطلحات الجديدة في العالم العربي بشكل مستقل وحالف للتعبير عن أفكار سياسية ودينية. ومن بين الأمثلة المعاصرة لعديد من الكلمات "عربية" "للمصطلحات الأجنبية"، الكثير من الكلمات العربية الجديدة التي قدمت في هذا السياق، استقبلت من أجل "ملة" "لمشروع" "شريعة" "짓ور" كما هي الحال في كلمة "الشيوعية" التي استقبلت من أجل "ملة" "شريعة" "جيتو" والتي فرضتها الناتشات "اجتماعية"، من بين الأمثلة الأخرى على تلك الكلمات، كلمة "شيوعية"، التي دخلت في القرن العشرين. في أغلب الأحيان يمكن الاستدلال على الأصل الأوروبي للمصطلح من خلال الكلمة العربية. ولكن المعادلات العربية للمصطلحات الغربية جاءت وعاءıyla مبتدئاتها الخاصة. فتجدر أن يفهم "المصطلح" "اشتراكا" "مثلًا يقترح فكرة المشاركة" وهو ما يركز على نقطة واحدة في فكرة الاشتراكية وهي الاشتراك في التحكم في أندوات الإنتاج.

من الطبيعي أن يؤثر هذا الدور الجديد الذي لعبته العربية كوسيلة لنقل الفكر السياسي على مكانتها الاجتماعية، خلال قرون الحكم العثماني كانت اللغة التركية لغة الحكم والسلاطين في العالم العربي، وبالرغم من أن العربية الفصيحة ظلت دائمًا لغة الدين، وربما لغة الثقافة أيضًا، إلا أنها فقدت مكانتها كلغة الإشراف في تلك المدة الطويلة، ولا يعني كون التركية اللغة الرسمية الإمبراطورية أنها كانت لغة مفهومة في كل مكان، ففي العالم العربي لم تكن نسبة من يعرفون التركية تتخطى الواحد بالثقافة. ويعني ذلك أنه كان على السلطات في الأقليات أن تتعالى على متصرفات لجعلها التواصل مع الشعوب المحلية، أما الوثائق التي كتبت في الأقليات فمعظمها مكتوبة بالعربية أو العربية والتركية معا.
عندما بدأت الحركة القومية تظهر في أواخر القرن التاسع عشر في العالم العربي، كانت مرتبطية باللغة العربية بشكل كبير. كانت تلك النزعة عامة بغض النظر عنما إذا كانت الحركة القومية تدفع للعربية كلياً كما كانت الحال في سوريا، أو القومية الحدودية كما كانت الحال في مصر، لم يجلب هذا الربط بين الهوية العربية واللغة العربية أي تساؤل أو شك بخصوص نمط الإمبراطورية التركية، بل ربما لم تتجد تلك الحركة القومية في مراحلها المبكرةطالبة بدور أكبر للغة العربية في الإمبراطورية، فقد كانت هناك شكاوى كثيرة في الأقاليم من عدم القبول بين الشعب والحكم. وكثيراً ما طالب السلطات المحلية الحكومة المركزية بإرسال من هم على دريا باللغة العربية، وفي مصر ارتفع استخدام العربية في الشؤون الإدارية باستمرار خلال القرن التاسع عشر، وبحلول نهاية القرن كانت معظم المكتبات الرسمية تكتب بالعربية. ومع ذلك فإن كل المناقشات التي دارت في المجال البيئية العثمانية حول موقع العربية في الخلافة قويت بالاعتراض من قبل هؤلاء الذين كانوا يشعرون أن مكانة التركية كلغة الخلافة الرسمية مهددة. وفي عام 1909 تم منع استخدام أي لغة غير التركية في الشؤون القانونية منعاً صريحاً، وفي عام 1910 تم رفض طلب城市 للمجلس النيابي العثماني لقبول طلبات باللغة العربية.

وطالب المجمع العربي الذيعقد في باريس عام 1913 بوجود نسبة من الاستقلال تتمتع بها الولايات العربية في الإمبراطورية العثمانية، وكذلك طالب بوضع العربية في مكانة اللغة الرسمية في مجالات الخلافة النيابية والأقاليم على حد السواء، أما من جهة الحكومة المركزية فقد أدى فقدان المناطق العثمانية في البلقان إلى إحياء الاهتمام بمكانة الأقاليم العربية في الخلافة، ولذلك سمحت الحكومة في عام 1913 بأن تكتب الطلبات بالعربية في الأقاليم ذات الأغلبية اللغوية العربية وكذلك تم نشر القرارات الرسمية مصحوبة بترجمة عربية. ومن الناحية الرسمية تم قبول العربية كملغة التعليم والشؤون القضائية والقانونية، ولكن تلك السياسة لم تطبق إلا في المناطق المركزية كليمنوس سوريا. لا يجب أن نفسر تلك العلامات على أنها إشارات لبعض تجاوز للحكومة المركزية بل يجب أن ننظر إليها في معظم الأحيان على الأقل على أنها وسيلة من وسائل دعم مكانة الحكومة المركزية وتثبيت الصلات بينها وبين الأقاليم.
كانت روابط أفعال الأقاليم العربية تجاه الأفكار الأوروبية واردة مختلفة. ففي مصر كان التركيز بعد الحملة الفرنسية على خصوصية المجتمع المصري وتبنيه وثقافاته. بل إن بعض الكتاب بدأوا يكتبون عن الأمة المصرية بأسلوب يتخطى قومية الأمة الإسلامية. وكانت المفاهيم الجوهرية في هذا التطور هي التحديث والإصلاح، بالرغم من عدم وجود برنامج محدد لتلك المفاهيم. ولكن تلك المفاهيم لم تكن انطلقًا حيوية للخلافة العثمانية بحال. في بداية الأمر لم يكن رد فعل هؤلاء الكتاب تجاوهر الثقافة الغربية سلبيًا. ولكن بمرور سنوات القرن التاسع عشر ويتزايد السيطرة السياسية الأوروبية على العرب (تونس 1881 و مصر 1882) وتزايد علاقات أوروبا بالأقليات المسيحية تغير هذا التوجه، فقد عارض مفكرون كجمال الدين الأفنفي (1839 - 1897) ومحمد عبد العزيز (1849 - 1905) الاستعمار البريطاني وشددوا على إصلاح الفكر الإسلامي والتعليم، فقد رأى هؤلاء المفكرون أن عملية الإصلاح لا يجب أن تقوم على اقتراح الأفكار من الغرب بكليتها، بل رأوا إحياء القيم الإسلامية التقليدية، فقد كان الإسلام دين العقل القادر على التعامل مع العصور الحديثة، ولم يكن هناك خوف على الإسلام أو الأفكار الغربية المفيدة بسبب فضائله الكبيرة، وكثيراً ما يستخدم مصطلح "النهضة" للتعبير عن روح تلك الفترة التي ظهر بعض المفكرين أن الإسلام سيتعالى فيها بعد قرون من التقليد الأعمي. وفي ظل هذا الفكر أصبح الاتصال بالحضارة والفكر الغربي مسألة مساعدة لإحياء الفكر العربي الإسلامي.

أما في بلاد الشام فقد ظهر رد فعل القومية مختلف تمامًا عن رد فعل المصري، فلم يقطع المسيحيون العرب في بلاد الشام علاقاتهم بالمسيحيين الغربيين فظ بشكل كامل، ومن القرن السابع عشر بدأت حركة تبادل كبيرة بين الموارنة العرب والمؤسسات العلمية التي كانت غالبًا مؤسسات دينية في فرنسا وإيطاليا. فلم تواجه مشكلة التوفيق بين الإسلام والأفكار الغربية. وكان من الممكن أن تكون الجماعات المسيحية أن تتبنى الأفكار الأوروبية دون أن يشكل ذلك أي خطر على هويتها؛ ذلك لأن فكرة الخلافة الإسلامية لم تكن فكرة لطيفة للمسيحيين الشرقيين، وكذلك كان من الطبيعي بالنسبة لهم أن يؤدوا على الفصل بين اللغة العربية والإسلام. وبينما كانت الدوائر القومية في مصر تؤكد على دور القومية المصرية وتعمل على ذلك فقد كانت القومية السورية مدينة بالكثير للقوميين المسيحيين. وبرز هذا نكهة القومية الشامية العربية الشديدة، هذا وقد لعب
السيسيون اللبنانيون دورًا مهمًا في إحياء الدراسات العربية في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر، وذلك بناءً على تصويراتهم للدور الوطdeo اللغة وليس الدين، ومن بين أعلام تلك الحركة ناصيف اليازجي (1860-1871).

وعقب بداية الحرب العالمية الأولى بدأت صياغة الصراعات السياسية بين الأقاليم والحكومة المركزية في غالبية الأمر على أنها صراعات بين العربي والتركي، ولذلك كان هدف الثورة العربية عام 1916 هو إقامة مملكة عربية تحمي العرب الذين يتكلمون العربية، ولكن بالرغم من أن المفكرين العرب كانوا مختلفين فيما بينهم بشأن الشكل الذي يجب أن تكون عليه أمتهم المستقبلية إلا أنهم جميعًا اتفقوا على أنها ستكون دولة عربية في فيفاها. وبالرغم من الجهودات الكبيرة التي قامت لخلق دولة عربية في العالم العربي كما فعل أتاتورك في تركيا، فقد ظل الإسلام عامل الإشاعات الوحيد. فقد ظن الكثير من المفكرين أن الإسلام واللغة العربية متلازمان كل التلازم، وعلى ذلك تجد شكل أسلاج (1896-1947) مثالًا يقول إن الأمية تعزف كثيرة. وبما أن العرب هم قلب الأمية الإسلامية فإن العربية هي اللغة الحرة للإسلام. وعلى ذلك فإنه يلزم كل مسلم أن يتعلم العربية. وكان ساطع الحصري (1850-1918) معارضاً لوجهة النظر تلك إذ قال إن اللغة دون غيرها من العوامل هي التي تحدد الأمية وتعرفها. ولذلك فيجب على الأمية العربية أن تتم كل من يتكلم العربية، وقد عارض الحصري في وجهة نظره هذه كلاً من القوميين المسلمين الذين أرادوا أن يوحدوا جميع المسلمين وأصحاب أفكار الدول القومية كالصقريين الذين كانت أولويتهم الأساسية هي الحصول على كيان دولة كامل لمكان جغرافي معين.

10 - إصلاح المعجم العربي

شهد القرن التاسع عشر ظهور صحفة عربية مكتوبة بالعربية، وبدأت تلك الحركة في سوريا أولًا ثم دخلت مصر بعد ذلك، أول جريدة عربية كانت الوقائع المصرية الحكومية التي ظهرت عام 1828 التي أصدرها محمد علي. وقد أدى انخفاض المسيحيين العرب في نشر الصحف الخاصة إلى التأكيد على طابعها العربي، وقد أعطت مجهودات الإصلاحيين اللبنانيين في سوريا سكفار الشبيها (1384-1907)
وبطرس البستاني (1882-1891) دفعة كبيرة إلى عملية تحديث المحمج العربي، فقد نشر بطرس البستاني على سبيل المثال أكبر معجم عربي حديث على نطاق واسع وهو المحيط الذي اقترحه من المعجم العربي القديمة ولكنه في نفس الوقت كان يشير إلى إدخال كل كلمة عربية جديدة تعبر عن فكرة مستحدثة في المحيط الثقافي العربي.

ولكن ذلك لا يعني أن اللغويين العرب كانوا مجمعين على الطريقة المألوفة لتعامل مع الأفكار الغربية التي تنهمر كالبط في اللغة العربية، فكلما اختفى المفكرون السياسيون في أفكارهم عن الإسلام والحضارة الإسلامية واعتقاتها بالتقاليد الغربية المسيحية، انقسم المصلاحن اللغويون بين من يظن أن معجم العربي كما هو صالح للتعبير عن أي فكرة جديدة وبين من زعموا الدعوة إلى الاقتراع اللغوي غير المبرم من أروبيا ومراجعة كاملة للمجمج العربي، وكان التوجه الحذر الذي اتخذه المتدلون مشابهاً لأفكار بعض المفكرين السياسيين في تلك الفترة. فقد قالوا إن اللغة العربية في حد ذاتها لغة كاملة ولكن الناس أنفسهم أفسدواها، وعرضوا أن الشيء الذي هم بحاجة إليه هو العودة إلى العربية الكلاسيكية الثقافية.

لعبت المجلة اللغوية العربية دوراً كبيراً في عملية تحديث اللغة في بداية القرن العشرين فقد أنشئ المجمع اللغوي المصري والسوري على نمط المجمع اللغوي الكبير في أوروبا وتقليدًا للأكاديمية الفرنسية، وكان الهدف منهما تطبيق الأفكار الموجودة من مواقع اللغة العربية في العالم الحديث وفي التهذبة، وقد عبر الملك فيصل أثناء فترة حكمه القصيرة في سوريا عن ثقافة نظام التعليم ومن رغبته في الحفاظ على التراث الثقافي من خلال المكتبات والمحافر ومجموعات المخطوطات، وترأس كرد على ديوان المعارف الذي أقيم لهذا الغرض، وكرد على هو الشخص الذي أنشأ المكتبة الظهرية في دمشق. وفي عام 1919 أقيمت مؤسسة لرعاية شؤون اللغة العربية وهي المجمع العلمي العربي، وهو أقدم مجمع لغوي في العالم العربي، ولكن هذا الاسم قد تغير في العصر الحالي وأصبح مجمع اللغة العربية بدمشق.

وكان هدف المجمع اللغوي من البداية هدفًا مزدوجًا: الهدف الأول هو الحفاظ على وحدة اللغة العربية وكيانها والحفاظ عليها من التأثيرات الأجنبية والتآثرات التهجينية، وكان الهدف الثاني هو تطوير اللغة العربية لحاجات العصر الحديث، ويهيمن
نفسهما في اللائحة التأسيسية لمجمع اللغة العربية في مصر والذي أنشئ تحت اسم مجمع اللغة العربية الملكي، وهو المجمع اللغوي الذي أنشأته الملك فؤاد الأول عام 1922. وفي عام 1955 تغير اسم المجمع إلى مجمع اللغة العربية ومن الناحية العملية كانت وظيفة المجمع اللغوي العربية بالقاهرة الوحيدة منذ عام 1960 هي صياغة مصطلحات عربية جديدة وإصلاح النحو العربي والخط العربي. يسمع المجمع بدخول مصطلحات عربية جديدة من خلال عمليات استشارية طويلة ومعقدة، إذ توجد بالجمع لجان فرعية تختص كل منها بفرع من فروع العلم، ويكون منوطا بكل لجنة منها صياغة المصطلحات الخاصة بهذا الفرع بعينه، وبعد أن يوافق المجمع بكليته على المصطلحات المقترحة من قبل اللجان في جمعيته العومية يقوم بنشر قائمة بها في مجلته، وعادة ما يؤدى إدخال مصطلح جديد إلى مناقشات مطولة وحامية في أروقة المجمع، وأحياناً ما يستغرق الأمر أوقاتاً قبل أن يدخل مصطلح ما طريقه إلى معاجم المجمع وقوانينه.

أما بالنسبة للمجمع العلمي العراقي الذي أنشئ عام 1944 ومجمع اللغة العربية الأردني الذي أنشئ عام 1973 فهو مجمعان حديثان نسبياً، ليست لهما أهمية كبيرة في تحديد اللغة العربية، ومن الواضح أن المجمع العراقي يركز على تحقيق الكتب العربية القديمة ونشرها في مساهمة من أجل الحفاظ على التراث العربي، أما بالنسبة للمجمع الأردني فيبدو أنه كرس نفسه لعملية تعريب التعليم في الأردن. وكانت هناك محاولات متكررة لإنشاء مجمع لغوي عربي شامل لكل بلاد العالم العربي، ولكن المجمع العربي المفرد تغار على حريته واستقلالها لدرجة يصعب معه التفاهم على مستوى عربي أعلى، ولذلك أصبح المجمع العام فكرة مثالية لم تتحقق بعد.

أكثر المشاكل التي واجهت عملية الإصلاح اللغوي إلحادًا هي مشكلة توسيع المجمع، فبالإضافة إلى الصدام الذي وقعت فيه الأقاليم العربية في القرن التاسع عشر مع الأفكار السياسية الغربية أصبح لزاماً على العرب أن يواجهوا عددًا كبيرًا من الأفكار الثقافية الغريبة وكان لزاماً عليهم أن يخترعون لها أسماء عربية. تمثل عملية توسيع المجمع في هذه الفترة فيما يخص الحقول الفلسطينية والسياسية بالعملية توسيع مجمعي أخرى مرت بها اللغة العربية في القرنين الثاني والثامن والحاديين حيث
كان لزاماً عليها أن تحتوي أنساقًا معجمية جديدة وكبيرة، وكان ذلك عندما تطلبت ترجمة كتب الفلسفة والطب والفلسفة اليونانية اختراع كلمات جديدة كثيرة.

الفرق الجوهرى بين الفترة الكلاسيكية في الترجمة في القرنين الثامن والتاسع والقرن الحديث هو فارق في درجة الوحدة الداخلية، ففي النهاية كان المترجمون في الفترة الكلاسيكية أحرارًا في صياغة مصطلحاتهم، ولكن عندما أسس الأمون دار الحكمة أصبح هناك وحدة أكبر في المصطلحات المستخدمة في العلوم اليونانية كالطب والمنطق والفلسفة، ولكن إذا نظرنا إلى القرن العشرين، ربما أكثر من القرن التاسع عشر، سنجد أن عملية توسيع القاموس العربي كانت تحدث في أكثر من مكان في نفس الوقت. تستطيع أن تكون إن المنطقين المركزيتين في تلك العملية في القرن التاسع عشر وهم مصر وسوريا كانتا على اتصال، على ذلك فإن بعض الرجال الذين كانوا يعملون على تحديث اللغة العربية في مصر قد جاءوا أصلاً من سوريا، ولكن الحال تغيرت في القرن العشرين فقد أخذت كل دولة مسلكها الخاص في عملية تحديث المعجم، بل إن المجامع اللغوية العربية لم تقع في توحيد المصطلحات الوطنية المختلفة. هذا وقد سبق الاحتفاظ في المصطلح في بعض المجالات العلمية تهديدًا حقيقيًا للتعاون بين العلماء والباحثين في مختلف البلاد العربية. يعتبر الطب والفيزياء من بين تلك العلوم، ولكن العالم العربي قد بدأ يحاول أن يجمع كميات مصطلحات عربية في بعض العلوم التقنية الأخرى.

يمكن الاعتماد على الطرق التالية في صياغة كلمات جديدة:

* اقتراح الكلمة الأجنبية
* تضمين الكلمة الأجنبية صوتيًا أو صرفيًا
* توسيع معاني جذر قائم بالقياس
* ترجمة الكلمة الأجنبية
* التوسيع البديل لكلمة قائمة

202
لا تمثل تلك الطرق مراحل متتالية في صياغة كلمة جديدة، بل هي طرق مختلفة للتعامل مع مفاهيم جديدة تدخل أي حضارة من الحضارات. ومع ذلك فإن هناك نزعة لاتباع تلك الطرق بتوات، الواحدة تلو الأخرى، تبدأ العملية باقتراض الكلمات الأجنبية بالكلية، ثم بيدا بعد ذلك تطويها لينة اللغة المقترحة، ويعتمد اختيار كلمة جديدة على عوامل كثيرة كتطبيق الفكرة المقترحة وظروف السياسة والثقافية، ويتم تقديم كلمة جديدة في الغالب في شكل مقارنة شديدة للكلمة الأجنبية الأصلية، وعادة ما يتم كتابة تلك الكلمات بالحروف اللاتينية في وسط النص أو يتم صياغتها بحروف عربية وتهك بين أقواس، وعلى ذلك تجد الآن في الكتب العربية الواجهة للجمهور العادي الكلمة الأجنبية المقترحة في حروف عربية، وتنوي نفسها كلمة بالحروف اللاتينية.
وتحدث نفس العملية عند ما مع أسماء الأعلام.

بالرغم من أن الفترة الكلاسيكية والفترة الراحلة كليهما قد شهدتا وجود مجموعة من الذين يبرزون تنقيبة اللغة العربية من أي كلمة أجنبية، إلا أن أمثلة على استخدام لتبديل تلك الكلمات المقترحة بشريطا يتم تطويها لتينا لغة العربية الصرفة والصوتي، أي لا يجب أن تحتوي الكلمات الجديدة على أصوات أجنبية أو متواليات صوامت غير مسموح بها في نسب العربية الصرفة. وكانت عملية التعريب تلك ناجحة جدا في العصور القديمة، فقد ظهرت الكلمات الأجنبية غير المطورة للعربية محدودة في عددها للغاية، أما في العصر الحديث فقد تنبت المجامع اللغوية العربية سياسة تحديد، إذ لم تسمح بالاقتراب اللغوي إلا في المجالات العلمية. فقد حال كلمات عربية محل الكلمات الأجنبية المقترحة في القرن التاسع عشر للتعبير عن مفاهيم سياسية كما هي الحال في كلمة "كوبون" التي كانت مستخدمة للتعبير عن 
الشيوعية، أما بالنسبة للكلمات الأجنبية التي تتعلق بسياقات علمية صرفة ككولورفومن وجيدروكابرون مثلها فقد احتفظت بشكلاها الأجنبي.

ودارت المسألة الجدلية الخلافية الحقيقي حول ما إذا كان من المفروض أن تكون الكلمات الأجنبية المقترحة جنوبا من ضمنا كلمة جديدة، في الفصحى الكلاسيكية مجرد أن تدخل كلمة أجنبية وتتم تطويتها لينة اللغة فهي كلمة عربية لها نفس سلوك الكلمات العربية الأخرى، أما في العصر الحديث فقد حاولت المجتمع
للغوية العربية أن تحدد الاشكال من الكلمات المقترحة إلا في المجالات العلمية،
بالمثل أن بعض الناس يفضلون عملية اختيار تلك على أنها اختراق لتلك الكلمات العربية
ويعارضوا أن يفضلوا الكلمات المقترحة من الكلمات العربية رغبة في تحديدها والحد
منها. فلقد رأى بعضهم آخر أن عملية اختيار الكلمات المقترحة هو الحل الوحيد
لحفظ على وجهة الكلمات العربية، فيمجرد أن يتم تقديم كلمة مقترحة جديدة إلى العربية
يسعى العلماء إلى الاشتباك منها كما هو الحال في "مغناطيس وبسطرة". ولكن عملية
استخدام الكلمات المقترحة كجذرية للأعمال لم تتوفر عند الكلمات العلمية فقط.
فلم تتنوع اللهجة من إعادة تحليل الكلمات الأجنبية تضمينها في مجموعة، وكذلك
فعل الكتاب إذ لم يترددوا في تضمين مصطلحات كلمات أجنبية مقترحة مقبولة في اللغة.
هذه الظاهرة شائعة كثيرة في الأعمال هناك تلفظ، وتلفظ، وفي الأسماء هناك صيغ
جموعة التكسير "أقلام وبنوك". وبالرغم من مقاومة الجامع اللغوي العربي لبعض تلك
الرياضات إلا أنها قبالت واستخدمت استثنائياً.

وحتى الذين قبلا دخول الكلمات المقترحة الأجنبية في اللغة العربية أقرؤن أن
أفضل الحلول من الناحية النظرية على الأقل هو إصلاح كلمة عربية محل كل كلمة
مقترحة، تعتبر بيئة اللغة عاملًا مهمًا في هذا السياق. في اللغة الجرمانية تتطلب
إمكانية إضافة كلمات مركبة أن يخترع المتكلم توليفات جديدة من كلمات موجودة فعلا في
اللغة ليعبر بها عن أفكار أو أشياء أجنبية. أما في حالة اللغة العربية فإمكانية
استخدام كلمات مركبة إمكانية محدودة للغاية، لكن العربية في نفس الوقت تمتلك
طريقة أخرى لنحت كلمات جديدة، وهي طريقة القياس. القياس هو تطبيق صيغ
صرفية معروفة على مجموعات صوائت أجنبية أو عربية. نستخدمنا البنية اللغوية
العربية في عملية قياس داخلية لنحت كلمات جديدة العربية في أصلها، أما في حالة
الاعتقال فقد نتبع المجموعة اللغوية المرجعية، في إطار جهدنا لتفنين عملية النحت
باستخدام عدد من القياسات المختلفة بشكل منهجي لنحت كلمات جديدة.

وفي حالات كثيرة يحدد معنى المصطلح الأجنبي المقترح حروف الجذر المختارة.
عندما يحدث ذلك فنحن بصدد ما نسميه ترجمة مختارة، وذلك تجد أن مجموعات
الكلمات التي نستخدم كتعبير جامع مئة ما تكون مصنوعة على نمط مثل إنجليزي،
فتجد مثلا أن التوليفة العربية "قمر صناعي" قد تكون مبنية على مثل فرنسي أو روسي.

204
وفي الحالات التي لا يكون للمصطلح العربي معنا معادل أجنبي مباشر فإنه يمكن أن يتعين الأصل الفرنسي أو الإنجليزى، كما هي الحال في مصطلحات كرة القدم مثلاً. وتعتبر الترجمات القائمة مسؤولة عن وجود عدد كبير من التعبيرات الإستكشافية خاصة في وسائل الإعلام، ويهمل الوقت تصبح تلك التعبيرات الإستكشافية جزءاً من تعبيرات اللغة العربية الأصلية بحيث لا تعتبر غريبة أو مقتروحة. إن أكثر الأمثلة على التعبيرات المقترحة وضوحًا تعبير "لعب نورا" وكذلك تعتبر النترو في استخدام حروف الجر من نواتج الوقوع تحت تأثير التعبيرات الأجنبية كما هي الحال في "النقى" مثلاً، وكذلك قد يحدث اقتراح معاني نحوية في اللغة العربية لترجمة "تراكيب نحوية أجنبية" كما

whether

يعتبر التوسيع اللغوي لكلمة قائمة بإعطاءها معنى معاصرًا من أكثر وسائل توسيع المعجم في اللغة العربية اهتمارًا - وإن لم يكن أنجحها، فنادرًا جدًا ما تنجح محاولات إحياء المفردات اليدوية القديمة بحثًا عن كلمات جديدة لأن تلك الكلمات قد سقطت من الاستخدام وأصبحت غير مألوفة للمتكلم العادي، ومن بين أمثلة تلك العملية التي نجحت في الاستخدام العام هي كلمة "قطار" التي كانت تعني قديماً "القافلة" ولكن الكلمة المرتبطة بها وهي "هادية" التي كانت قديماً تعني "الجمل الأول في القافلة" لم تتفتح في الندخول إلى اللغة العربية في استخدامها الشائع للتعبير عن عربة البحر الأمامية، واستخدم العرب كلمة "قطرة" بدلاً منها، وكثيرًا ما يكون نجاح الكلمة المنقولة من القدم قائماً على مجهودات كاتب واحد، انظر مثلاً كلمتي "جريدة" التي كانت تعني في القدم "تشريحة من سبع النخل تستخدم الكتابة" و"ملجة" التي كانت تعني قديماً كتاباً كبيراً مجمعاً. فسجد أن الشديد والبارز من التوالي هما اللسان قدما هاتين الكلماتين إلى الاستخدام العربي العام، ومع ذلك فإن الكثير من الكلمات التي أحيتها المجمع اللغوي وقدمتها للاستخدام العام لم تنجح لأن الناس كانت تعتبر تلك الكلمات مصنفة بشكل كبير، من بين أمثلة تلك الكلمات "هام" التي اقترحها المجمع اللغوي لحول محل "الترام". ولكن كلمة "ترام" ظلت مستخدمة وشائعة، بينما أعُلمت الكلمة التي اقترحها المجمع، هناك مثل آخر على تلك الظاهرة وهو كلمة "إدريز" التي كانت قدماً تعني "صوت الرعد". فقد اقترح المجمع العربي تلك الكلمة لحول محل
الصينية العربية، وذلك كلمة مستخدمة ب해주ية بالرغم من أن كلمة "هاتف" التي كانت قد بما تعني "النادي غير المرئي" تكسب الآن شيوعًا وانتشارًا كبيرين.

بالرغم من كفاءة الصينية العربية، فإن إنتاج كلمات جديدة فقد ظل صناع المعجم يبحثون عن وسائل جديدة لتوسيع المعجم، ففي معظم اللغات الأوروبية يقدم استخدام السوابق والازواق اليونانية واللاتينية وسيلة جديدة لتوسيع المعجم العلمي، وهي خاصة غيرية عن النظام الاشتاقاوي العربي، ظهرت من مرحلة مبكرة.

توليفات تستخدم أدوية النفي "لا و"غير" لصياغة معادلات عربية للمصطلحات اليونانية التي تبدأ بسابقة. وقد أصبحت تلك الوسيلة في العصر الحديث تنبأًا لإدخال السوابق على المعجم العربي، وكانت تلك العملية مقصورة في بداية الأمر على الكلمات المعرفية مثل "النهائي" و"الأدبي". ومن بين الأمثلة التي تسخدم سابقة غير غير "غير شرعي". وفي مرحلة متاخرة بدأ استعمال حروف أخريات في نفس الوضيحية كما في الحال في كلمة "شبه" في "شبه جزيرة" و"شبه رسمي" وفي حالة كلمة "قبل". في "قبل التاريخ"، تصرف تلك الكلمات من الناحية الصرفية ككلمات مركبة، فنستطيع أن نستق من كلمة "النهائي" اسم "النهائية" بحيث تسبي أداة التدوين المركب كلمة.

وفي الفصحى الكلاسيكية كانت هناك إمكانية محدودة تحت الكلمات من توليف أكثر من كلمة، وكان ذلك عادة يحدث لاشتقاق أفعال من مركبات اسمية مثل "بسم الله وحمدلا" من "بسم الله". وفي العصر الحديث استخدمت تلك اللغة بنجاح وشبيبة شديدين لصياغة كلمات جديدة في المعجم العلمي لدرجة أن المعجم اللغوي بالقاهرة يحتوي نفسه مثيرًا للاستفاده بذلك في عام 1953، ولكن تشريع المعجم كان يفسر تلك الظاهرة على المعجم العلمي فقط، وكان يجب على المصطلحات الناتجة أن تكون واضحة، ومن الكلمات التي قابلت تلك الشروط "حمامي" التي تحت من "فحم و"ماء" لتحدير عن "carbohydrates". و"كروتيمات" و"كروتيماتيسي" و"سومينغتوفيسي"، وسمي أيضًا بكلمات تبدأ بسابقة "شبه".

ولكن توجه المعجم اللغوي المصري تجاه الأسماء المركبة على وجه العدم كان توجيهًا محافظًا، وكان يرفض معظم الاقتراحات على أنها منافية لروح اللغة العربية، فقد رفض المعجم كلمات من أمثال "أربيلج" و"قائمة" على هذا الأساس، وقد رفض
المجمع كلامات أخرى بسبب أنها ليست واضحة تمامًا، ولكن الأسماء المركبة من صفات أصبحت شائعة نسبيًا كما هي الحال في "شرق أوسطي" و"رأسمالى" و"فوق البنفسجي" و"تحت الأحمر".

من الممتع أن نستخدم كل طرق صياغة الكلمات الجديدة في نفس الوقت في داخل حقل دلالي واحد بالرغم من وجود نزعة للسير في مراحل معينة، من الممكن أن نتملّع على تزايد وجود طرق مختلفة لصياغة الكلمات والمصطلحات بكلمات من الحقيقة الحديثة. فستجد مثلًا أن كل الكلمات الأجنبية في مصطلحات كرة القدم قد تم تغييرها بكلمات عربية. فستجد مثلًا على التوسعة الدلالى في كلمة "ضربة" التي تحل محل الكلمة الإنجليزية kick، وستجد مثلًا على التمثيل الجنسى في تعبير "مراقب الخطوط" linesman، وستجد مثلًا على التمثيل المركب في "ضربة حرة" التي تحل محل و"شيك" المركب في "تسلل" التي free kick، و"خليعة" تحل محل...

بين تلك الأمثلة أيضًا أنه من الصعب تصنيف أي مصطلح على أنه ناتج عن عملية ما بينها، فكلمة "جريم" قد تكون مثالًا على التوسع الدلالى لكلمة موجودة أصلاً بمعنى "الهدف" وقد تكون ناتجة عن عملية اختراق أصيل.

أما في مجال مصطلحات الحاسب الآلي فهناك نزاع ما بين الرغبة في ممارسة العصر والظهور بمشوار الثقافة الرفيعة من ناحية، والثقافة اللغوية التي تحل كلمة "المجتمع" مختارة مكان المصطلح الإنجليزى الأصلي من ناحية أخرى، من الواضح الآن أن كلمة "المجتمع" هي الكلمة الشائعة والأكثر استخدامًا ولكن كلمة "المجتمع" تكتسب أوضاعًا جديدة كل يوم ويبدو لي أنها ستغزو في نهاية الأمر، وقد أصبحت بعض مصطلحات الكمبيوتر العربية شائعة ومستخدمة فعلاً كما هي الحال في كلمة "شاشه" و"بنك المعلومات".

وفي نهاية الأمر يقدم لنا مثل مصطلحات علم اللغة الحديث في العربية دليلاً عمليًا على الفرق بين نزعة التقاء اللغوي عند المجامع اللغوية ووجهة اللغويين المحدثين. فلنا يوجد إجماع على معنى كلمة linguistics في المشرق العربي يبدو
أن مصطلح "علم اللغة" مصطلح مقبول ولكن لغويين الغرب يرفضون هذه الكلمة العربية ذات الدلائل القديمة ويستخدمن "السانية" أو "السانيات" بدلاً منها، وذلك فإن المعادل العربي الرسمي للفكرتين مهتمتين في علم اللغة وهما phoneme و morpheme. 

تعتبران شرحاً هما "عنصري دال" واحدة صوتية" على التوابي، ولكن معظم اللغويين، يستخدمون الكلمة الإنجليزية بالحرف العربي بكل بساطة فيكتون "صراً" و"صان". ولكن أحد اللغويين (السديري، 1984) اخترى كلمتين مختلفتين تماماً وهما "صينام" و"صينام" على التوالى.

10 - الفصيح في العالم المعاصر

يعتبر كل من نحت الكلمات الجديدة والاختلافات اللغوية الإقليمية عاملين أسهماً في تدويل العربية الفصحي الكلاسيكية وتغييرها لدرجة أنها لم تعد مماثلة للفصحي المعاصر، من الناحية الإيديولوجية مايزال الناس يعتبرون الفصحي المعاصر مباحة للفصيح التراث الكلاسيكي الذي نزل به القبران، ولكن بالممارسة والسماع تستطيع أن تكتشف أن هناك فروقاً بين النمطين، وليس كل الفروع مشتركة بطريقة الحال. يرجع ذلك إلى أن الكثير من خصوصيات الفصحي الكلاسيكية قد تقادمت، وعلى ذلك فإنه من النادر على سبيل المثال أن تجد في نص حدث تراكيب مصرفية معاقدة كتالية تجدها منتشرة في الفصحي الكلاسيكية، ومعاوية على ذلك فقد تقادمت بعض التصنيفات الصرفية. ومن ناحية أخرى، طورت الفصيح المعاصر أساليب نحوية جديدة، وخاصة في لغة الإعلام التي تثرث باللغات الأوروبية كثيرة، ومن أهم السمات المميزة للك لغة استخدام الكثير من التراكيب الفعلية، يتم بطريقة "قابيل" الفعل المبني للمعلوم. فتجد لغة الإعلام تستخدم "قاب" بـ"ب" بدلاً من "ب"، وتستخدم تلك اللغة الفعل "تم" في الفعل المبني للمعلوم، فتجد مثلاً "تم توقيع الاتفاقية" بدلاً من الفعل المبني للمعلوم المتعارف عليه في الفصحي الكلاسيكية، ومن بين السمات المميزة العربية وسائل الإعلام الاستخدام المتحد لفاء السببية واستخدام تعبيرات مثل "كل من" و"ونحو ذلك" بكثرة.
أما فيما يتعلق بالنشر الفني فإن الفروق بين القصص الكلاسيكية والقصص الأدبية ليست بنفس الحدة التي وصفناها، لأن الكتاب ينصح بالتصور على الوجه التشريحي، ومع ذلك فإنه في بعض الحالات يكاد يستخدم العناصر يخلق فارقًا كبيرًا بين القصص المعاصرة والقصص الكلاسيكية، وتعتبر تلك الحالة واضحة جداً في الأدب المصري، بطلاً على ذلك فإن اختيار الأساليب الدولية والعناصر يمثل اختلافاً آخر بين عربة البلاد العربية. بعضها مع البعض الآخر، ولكن التنوع المعجمي هو المسؤول أكثر من غيره عن اختلاف بين العرب في تحقيق القصص المعاصرة، بالرغم من أن الناس تعتبر اللغة العربية القصصي أقوى رمز الوحدة العربية وبالرغم من الدور التوحيد الذي تلعبه المعجمة العربية إلا أن الأمر سرعان ما يميز بين نص مغربي وآخر مصري أو خليجي، وقد يكون جزء من السبب في هذا التنوع هو اختلاف الطرق المحلية في صياغة المفردات الجديدة. وقد يكون جزء من السبب أيضًا في التاريخ الاستعماري للعالم العربي المختلط. ففي شمال أفريقيا مثلًا هناك نزعة إلى النظر إلى المثل الفرنسي وصياغة التصوص على شاكلته، وتمتد تلك النزعة للمسائل التوحيدية والإساليبية في النص حيث يقتبس الكاتب المثل الفرنسي بكليته، فتجده في المغرب العربي مثلاً يستخدمون كلمة "الوزير الأول" للتعبير عن المصطلح العربي العادي "رئيس الوزراء". وهو تعبير محاك للتعبير الفرنسي، بل هو ترجمة له، وتطبق نفس الفكرة على كلمة "حقوق" التي تترجم للكلمة الفرنسية "droits" من التعبيرات الأساسية التي اقتبسها كتاب المغرب العربي عن الفرنسية مثلاً استخدام "وضع في الاستخدام" التي هي من التعبير الفرنسي المثيري، وفي بعض الأحيان الأخرى لم يكن مصدر التراكيب المغربية فرنسيًا بشكل مباشر بالرغم من أن تلك التراكيب تختلف عن تراكيب المشرق العربي، ومن بين أوضح أمثلة تلك التراكيب استخدام الفعل "وضع" في تعاريب مثل "وضع نشر البيان". وفي حالة هذا المثل تجد أن الكتاب في المشرق العربي يستخدمون إما "نشر" أو "تم" بدلاً من "وضع". وفي البلاد العربية التي لم تشهد استعماراً فرنسيًا في الماضي، تحل الإنجليزية محل الفرنسية كنموذج. ففي مصر على سبيل المثال كانت فرنسا واللغة الفرنسية مهما نموذج كل محاولات التحديث، في القرن التاسع عشر ولكن بريطانيا احتلت هذا الدور بعد الحرب العالمية الأولى.
عازفة على ذلك كله أدت إعادة تقديم اللغة العربية في السياق النحوي لكلمة رسمية.

إلى سؤال آخر عن ماهية دور العربية في التعليم، وكان هناك مصدر دائم للقلق بسبب مستوى تعليم اللغة المتدحرج، وقامت دعوة جديدة من نهاية القرن التاسع عشر تدعو إلى تبسيط النحو العربي، وفي هذا السياق أدى بعض الباحثين أن اللغة العربية في حالاتها تلك مناسبة بشكل كبير لاحتاجات العصر الحديث، أوت المناسبة إن هي نقيض من الفساد الذي لحق بها. وكان هذا الفريق من المفكرين يتصور أن السبب الوحيد الذي يمنع المجتمع من أن يستخدم اللغة العربية في كل وظائفه، فشل نظام التعليم القائم في الوصول إلى شرائح كبيرة من السكان، بالطبع كان هناك مشكلة إدارية في عملية التعليم تلك سببها نقص عدد المدارس والدرسين، ولكن معظم الخبراء اتفقوا على أن هذا السبب وحده ليس كافيا ليبرر فشل تعليم العربية الفصحي للطلاب الذين تحتوا فعلا بالمدارس. فحتى في مصرنا الحالية يصعب أن تنجح جامعتنا يستطيل أن يكتب جملة عربية فصيحة دون خطأ، فهناك من الكلام بالفصحى. وقد سبب هذا الفشل وجود كراهية عامة للنحو حتى في أوساط الذين يدعون لاستخدام الفصحي.

أظهر فكرتين في الجدل الذي دار في موضوع الفصحي والتعليم كما تبسيط النحو وتبسيط اللغة، ولكن الفصل بين الفكرتين ليس محددا أو منفصلا بشكل واضح.

وقد تمت في الخمسينيات إعادة اكتشاف نص نحوى أشعل جذوة الاهتمام بمسألة تدريس النحو من جديد، كان ابن مضاء (توفي عام 962 هجريا) نحوى عربيًا من قرطبة، كتب يعتقد طرق النحو، ووضع أفكاره في كتاب سماه "في الرد على النحو" واقتراح ابن مضاء في كتابه هذا نحو مفهومي أساسيين من النحو العربي وهما مفهوم العمل ومفهوم القياس. كان الباحث المصري شوقي ضيوف من بين من شغله أنفسهم بدراسة هذا النص، وخلص إلى أن هذا الكتاب هو حل مشكلة تدرسه النحو العربي.

وأضاف أن إلغاء العمل والقياس من النحو العربي سيمجعه أكثر سهولة في التعليم ولكن المناقشات النظرية بين النحويين المحدثين (والتي تسرب قسم منها لكتب التعليم النحو) فشلت في تعزيز فهم الناس للغة العربية بالرغم من أنها قد تكون أسهمت في المناقشات التي دارت بين المتخصصين، وفي الواقع الأمر يصعب أن تعتبر فكرته في إلغاء الجملة الفعلية والجملة الاسمية واستخدام المفاهيم العربية محلها تجديداً في
النحو وكذلك قامت اقتراحات أخرى ولنها دورها كانت اقتراحات على مستوى المصطلح فقط. فقد كانت تلك الاقتراحات تتعلق بإضافة مصطلح جديد وهو "التكملة" وتغيير فكرة "المضاف والمضاف إلیه" بفكرة "المجزر بالإضافة". ولكن نجاح تلك المحاولات كان محدودًا جداً.

وقد اهتم بعض الباحثون بعملية تبسيط اللغة نفسها، ولكن تلك المحاولات في غالب الأحيان لم تنتج سوى أحلام بالتغيير، ووجه بوجه للمختصين دون تقديم اقتراحات مفصلة عن العناصر النحوية أو الصرفية التي يود أصحاب تلك الاقتراحات إلغاؤها.

فقد اقترح بعض الباحثون إلغاء علامات الإعراب دون أساس بنظام التصريف الإعرابي نفسه طالما ما لم تتقدم مسألة اختبار ما بين صيغة جمع مذكر سالم مرفوعة بالواو وأخرى مجززة أو منصوبة بالياو، واقتراح بعض الباحثين بتبسيط القواعد النحوية الخاصة بالأعداد، واقتراحوا إلغاؤها واستبدال قواعد الأعداد الموجودة في اللهجات بها، وقامت اقتراحات أكثر ثورية وتطرفًا مثل اقتراحات أنيس فريحة وجريس الخوري التي تقتضى إلغاء ضمير المؤنث الجمع واستخدام جمع المذكر بدلاً من جمع المؤنث في الأسماء والأفعال. ومنا أن آيا من هذه الاقتراحات لم يتم إدراجه في إطار تعليمي تربوي منظم فقد ظلت مجرد اقتراحات بلا تنفيذ عملي. ولذلك عمومًا لا تجد الآن الكثير من يؤيدن فكرة "اللغة الميسرة".

وظلت المناقشات والمحاولات التي قامت بخصوص تبسيط اللغة عقيلة حتى عندما دخلت في نطاق المجال الاجتماعي اللغوي، ففي مصر على وجه الخصوص أصبح هناك اعتقاد شائع بأنه بين الفصحى والعربية هناك مستوى متوسط جرت عليه تسمية "اللغة المستوية" أو "لغة الثقفين". واعتقد الكثير من الباحثين أن هذا المستوى اللغوي كدليل بأن يقال الهواء بين الفصحى المستوية والمستوى المتدني من الخط الفعلي، ففي مصر، ومن يمكن أن نقوله عن مثل هذا التوجه الاجتماعي اللغوي أنه يضع الفصحى الميسرة التي تتكلمها الكثير من الثقفين المصريين وسط من المشروعية. فالثقفين المصريين أكثر من أي متكلم آخر في أي بلد عربي، يحمل معظم علامات الإعراب ويستخدم الكثير من التعبيرات العامة بحرية تامة.
النوعية الكائنة في الكتابة العربية على وجه العموم تميل إلى التوجه ناحية تقنين أكثر حدة لمستوى اللغة وليس التوجه إلى المرونة في تطبيق القواعد. ولكننا يجب أن نفصل هنا بين ممارسة الكتابة في مصر وبلاد الشام من ناحية، والمغرب العربي من ناحية أخرى، أما فيما يخص المغرب العربي فأكثر المشاكل تلاحانا بعد مرحلة الاستقلال هي كيفية إحلال العربية محل اللغة الفرنسية التي كانت مهيمنة، ليس فقط في التعليم بل في كل مستويات الحياة الاجتماعية، وذلك لم تكن مسألة تبسيط الفصحى مهمة أو ذات بال في ظل هذه الحال، فلم كان على العربية والفرنسية أن يتناقصا على مكانة اللغة الرفيعة فإنه من الخطأ، في عين الكثير من所说的 اللغويين، أن يتم تحقير الفصحى الكلاسيكية باستخدام العامية أو إلغاء بعض قواعد الفصحى.

والكما تركز مناقشات موضوع التدريب في شمال أفريقيا على إدخال العربية لمجالات كانت الفرنسية هي اللغة المسيطرة فيها، ولكن التدريب في باقي بلاد العالم العربي الأخرى يعني تقديم معايير عربية تحل محل المصلحات الأجنبية وخاصة في العلوم.

في العصر الحاضر قامت مجموعة من المشاريع التعليمية التي ترمى إلى بناء قائمة بالمفردات الأساسية التي يجب أن تستخدم في المدارس الابتدائية وتلبية كتب نحو تعليمية تحتوي على أكثر القواعد شيوخًا في الفصحى، ولكن ليس من الواضح أن قوائم المفردات الأساسية التي ظهرت في تونس ولبنان قد أثرت كثيرًا على كتب التعليم في أي بلاد عربية. ولكن هناك مشروع تعليمي واحدًا قام من البداية على مفهوم تعليم لغوي واضح وهو مشروع "فتح يا سامسم" الذي هو تقليد لبرنامج الأطفال الأمريكي المعروف باسم Sesame Street في المذكرة التي أعدها صناع هذا البرنامج ميزوا ثلاثة تصنيفات من الظواهر اللغوية في الفصحى: الصممات الفصيحة الأساسية التي يجب أن توضع بالرغم من اختلافها من العاميات كعلامات الإعراب، وسمات يجب استخدامها مثل الأفعال البنية للمجهول، والسمات التي يجب تجاهلها تمامًا كحرف الجر الكاف وسبع، ومن الواضح أن حلقات البرنامج قد ابتعت تلك القواعد بحذارها، علاوة على ذلك فإن المستقبليين من فيهم الأطفال الذين يتحملون عبءًا كبيرًا في فكرة البرنامج لا يكادون يرتكبون أي أخطاء في أدائهم للفصحى، وبالرغم على ذلك تجد أن تداخل عناصر العامية في فصيحى البرنامج محدودة جدًا، ومع ذلك تجد أن البرنامج
يحافظ على قدر لا باس به من الحيوية التي يحققها الممثلون من خلال تلاعبهم بنغمات الصوت وليست بإدخال سمات معجمية أو قواعد عامة على الحوار الفصيح.

بُثت برنامج "فتح يا سمسم" أنه فعلًا من الممكن أن تجد نمطاً مبسطاً من الفصحى الحديثة. نعرف أن البرنامج كان محل تقدش في بعض البلاد العربية، وخاصة في مصر، بدعوته أنه يحتوي على قدر كبير جداً من السمات العامة، ولكنه لو أعممت النظر في البرنامج فستكتشف أن هذا النقد منحاز وغير دقيق، ذلك لأن اختيار أي كلمة في محيط عربي واسع لن يرضي جميع الأطراف والمشارب وخاصة في برنامج يتم عرضه في عوالم العالم العربي، ولكن المستقبل وحده كفيل بأن يقرر ما إذا كانت فكرة تقديم نمط مبسط من الفصحى سيكتب لها الاستمرار أم لا.
الفصل الحادي عشر

الإدوارية اللغوية والتعدد اللغوي

11 - طبيعة الإدوارية اللغوية

بيدو أن عملية الاختيار بين نمط الفصحي والعاصمة في اللغة العربية المكتوبة
اختيار بسيط واضح، فالفصحي هو النمط الذي يستخدمه العرب في الكتابة عادة،
والعاصمة في مثل هذا السياق قد تظهر مشكلة في اختيار النمط، فالعديد من الناس
لا يملكون ناصية الفصحي بشكل كامل، ويعتبر النموذج الفصيح هو هدف كتابة مثل
هؤلاء الناس بالرغم من معرفتهم الضعيفة بهذا النموذج، ولذلك تجدهم يركبون
أخطاء اللغة كثيرة حال استخدام هذا النموذج في الكتابة. ونتيجة تلك المشكلة
ما نسمي بنصوص العربية الوسيلة التي تكلمنا عنها سابقاً، هناك مشكلة أخرى قد
تظهر عندما يحاول أحد الكتاب لسبب أديولوجي أو أدبي أن يكتب نصه بطريقة
مقارية للعامة، وкрат هذه الكتاب يخططون عناصر من الفصحي في نصوصهم التي
بحاول أن يكتبهم بالعامة.

يعتبر الموقف في اللغات العربية أكثر تعقيداً، يعتبر المثل الافتراضي لفرنسا
الحديثة أفضل معادل لحالة العالم المتكلم بالعربية. وفي تلك الفرضية الافتراضية تصدر
كل الصحف السيارة باللغة اللاتينية وبكل نواب البرلمان تحت القبة باللاتينية ويتكلم
الكهنة في الكنيسة باللاتينية فقط، ولكن الناس عندما يتكلمون في المقام ليستخدمون
الفرنسية التي تعرفها، وهي نفس اللغة التي يتكلمونها الناس في البيت ومع أصدقائهم،
وفي المدارس تكون اللاتينية هي لغة التعليم داخل الفصل بينما يستخدم المدرسون

215
والطلاب الفرنسيين فيما بينهم في الفصح وفي اليوم الدراسي. تعرف بطريقة الحال أن
هذا الوضع ليس الوضع القائم في فرنسا، ولكن الأحوال كانت من الممكن أن تختلف
عن حالة الكثيرة فالله لم تتغير اللغة الرسمية من اللاتينية إلى الفرنسية الدارجة
في القرن الخامس عشر والسادس عشر.

أما في العالم العربي فالأعمال القائمة فعلا تشبه تلك الحال الافتراضية التي
وصفناها توأ، تستطيع لأول ولة أن تتغير بين نمطين من أنماط العربية، هما الفصحي
والعامية (التي يسميها الناس في شمال إفريقيا "الدارجة"). تختص الأولى بالوظائف
الكتابية بينما تختص الثانية بالوظائف الشفافاتية الكلامية. تمثل العامية في هذا
الوضع اللغة الأم لكل المتكلمين، بينما يتغلب الناس الفصحي عندما يدخلون المدرسة.
في عام 1950 أطلق ويليام ماركر اسم "الذاتية اللغوية" على هذه الحال،
وهو مصطلح اقتصر من التسمية التي أطلقت على الحالة اللغوية في اليونان، وقد
أثبت أن هذا المصطلح دقيق في وصفه خاصة عندما نشر فيرجنسون (1959) مقاله
العمدة "الذاتية اللغوية"، وقارن فيرجنسون في هذا المقال بين الحالة اللغوية في
العالم العربي وفي اليونان وفي هينتى والقسم الأول من سويسرا، وخلص إلى أنه في
 المناطق اللغوية الأربعة هناك توزيع وظيفي لتمّي الفصحي والعامة، وهما تمّتان
ينتميان للغة واحدة، وأطلق فيرجنسون على النمط الفصحي اسم النمط العالي وأطلق
على العامية اسم النمط البوني.

يعكس مصطلحاً النوني والعامية موقع كل من النمطين في الجماعة اللغوية،
فالنمط البوني ليس عمومًا محل احتراز كبير في هذه الجماعة، وعادة ما تشير التسمية
التي يطلقها الناس على هذا النمط إلى هذا الموقع، علّى التسمية، قد ينعت الناس
هذا النمط البوني بعند تحقيبة مثل "السويسرة" والمرة، وعلى الجانب الآخر فإن
النمط العالي نام محترم ورفيع، فهي لغة التراث الثقافي والدیني، بل وفی بعض
الأحيان تجد أن أبناء اللغة ينكرون وجود النمط البوني ويدعون أنهم يتكلمون النمط
العالي، ولكن العامية في حقيقة الأمر هي اللغة الأم لكل الناس بينما لا يستخدم الناس
الفصحي إلا في مواقع معينة.
وكذلك الحال بالنسبة للأفكار الحالية التي صاغها فرجسون حول الوضع اللغوي في العالم العربي في ثلاث نقاط أساسية: أولاً، قصرت فكرة فرجسون الادبياتية اللغوية على الحالات التي يكون للأنماط الأدبية فيها علاقة جمالية بالأنماط العالمية، ولكن الدراسات التالية أظهرت هذا القصر، فأصبحت فكرة الادبيات اللغة تشمل التوزيع الوظيفي لأنماط اللغة، ليس من المهم أن تكون لهجات من لغة واحدة أو لغات مختلفة، فليس التوزيع الوظيفي الكائن في العالم العربي إلا نمط خاص من الادبيات اللغة التي هي تعبير عن التنوع الاجتماعي للغوي اللازم في كل الجماعات اللغوية.

ثانيًا، لا يعني وجود توزيع وظيفي بين الأدبيات اللغة أن كل المتحدثين يمتلكون نفس الكفاءة في استخدام النمطين كليهما، ففي حالات تفصيلية تجد أن معظم المتحدثين يستعملون نمطين ناصبي نمط واحد فقط، وهو النمط العامي أو النمطي، بينما يستخدم أغلبهم من الصفو نمطًا استكشافيًا ناصبي من لغة الثقافة، وغالبًا ما يكون هذا النمط نصيًا وافيًا، يوجد مثل على تلك الحالة في العالم العربي وهو مثل الجزائر قبل الاستقلال، فقد كانت أغلبية الشعب الجزائري لا تعبر إلا العربية، وكان البعض من أبناء الشعب يتكلمون فرنسيًا، ولكن كمودي صغيرة من الثقافتين تربت على النمط الفرنسي ولم تكن تعرف دي، تلك الجماعة فقدت قدرتها على الكلام باللغة كلية. وأقترح بعض العلماء من بينهم فشمان (1972 و1972 و1972 و1972) أن يفصلوا بين التوجه الاجتماعي اللغوي والتوجه النفسي اللغوي، ويستخدم هؤلاء العلماء مصطلح الادبيات اللغة في الجانب الاجتماعي اللغوي المؤثر في التوزيع الوظيفي الأنماط اللغوية فقط. أما فيما يخص الجانب النفسي اللغوي لتمكين المتحدث من نمط لغوين في أن واحد فقد استخدم تلك المجموعة من العلماء مصطلح "التحدي اللغوي"، وفي المجتمعيات التي تحتوي على الادبيات اللغة، تعود لغوي مما هناك توزيع وظيفي محدد جداً للحصول التنبئية على أكثر من نمط لغوي يرغبها أبناء الجماعة اللغة المعنية.

يختص التعديل الثالث لإطار النظر إلى الذي اقترحه فرجسون بالتمييز بين نمطين لغوين مختلفين: في تصنيف فرجسون هناك علاقة إدارية بين كل من النمطين الادبيين المشتركان في علاقة الادبيات اللغة، وعلي المتحدث أن يختار نمطًا من
التمرين دون الآخر في عملية تحويل شفرة لغوية، وفي حقيقة الأمر لا يزعزع المتكلم لاستخدام نمط دون الآخر، بل ينتقل بين أشخاص لغوي على خط من تلك الأماط لا يمثل فيه النمط العالي والنمط المنزلي إلى طرفي النقيض فقط، في مثل تلك الحالات لا تعتبر عملية تغيير الشفرة اللغوية عملية اختيار نمط بعيد، ولكن بالمثل يضيف مفروضه على خط من التنويرات اللغوية، وفي تلك العملية تلعب العوامل غير اللغوية دورًا كبيرًا في اختيار موقع المفروض على خط التنويرات هذا من البيانات أن نتصور أن أتباع خط التنويرات هذا يختلف من شخص لآخر بحسب كفاضتهم اللغوية، والتي تعتمد بدورها على تعليمهم وتربيتهم. وقسبي.

وقد تسبب استخدام مصطلح "اللغوية الإدراكية" بالمعنى الذي قدمه فرجنوس، والمعنى المعنى المحدد الذي قدمه العلماء بعده في الكثير من الاضطراب في استخدام المصطلح الموجود في الكتب الالتمانية عن هذه الظاهرة، فـ "اللغوية الإدراكية" بحسب مصطلح فرجنوس يستخدم لوصف العلاقة بين الفصحي والعامة فقط، بينما أطلق تسمية "اللغوية التعددية" على حالة التوزيع الوظيفي بين العربية والفرنسية في شمال أفريقيا، ولكننا سوف نستخدم مصطلح "اللغوية الإدراكية" في الفترات التالية بمعنى المعدل الذي يصف موقفاً لفوقاً يتقاسم فيه أنماط لغوية مختلفة مجالات التعبير اللغوي فيما بينها. وسوف نستخدم مصطلح "اللغوية التعددية" لوصف كفاءة المتكلم في أكثر من نمط لغوي واحد، وفي المجتمعات التي تحتوي على الادراكية اللغوية والتعدد اللغوي يستطيع المتكلمون جميعًا أن يتوافقوا للفون هم اللغوي على خط من التنويرات والأنماط بحسب ما تلهمه الشروط غير اللغوية التي تعتمد على سياق الخطاب، وخلقية المتكلم الاجتماعية الاقتصادية.

بذل العلماء والجهودات كثيرة لإعادة تقسيم خط التنويرات الوصل ما بين الفصحي والعامة والوقوف على الأنماط الوسطى، فتجد العلماء العرب كثيرًا ما يشيرون إلى نمط وسط بين الطرفين سميته "اللغة الوسطى" أو "لغة المثقفين"، من المفروض أن تكون تلك اللغة الوسطى شكلًا من العربية الفصحي لا يستخدم علامات الإعراب ويتبع أنماط نطق العامية ويقترب من مجمع العامية بحرية، ومع ذلك فمن
المفروض أن تحتفظ تلك اللغة ببنية الفصحي بشكل عام، ومن أفضل التقييمات التي ظهرت كان تقسيم بدو (1977) الذي أجرى في معرض دراسته الموقف الاجتماعي اللغوي المصري، لم يقبل بدو بالتقسيم الثاني الحاد الذي طرحه فرجسون زاعما أنه نمط غير متماسك مع الموقف اللغوي المصري وربما باقي العالم العربي أيضًا، وطرح بدو خمسة مستويات لغوية منفصلة، أي أن لكل منها سماته المميزة التي تفصله عن باقي المستويات على الخط.

جدول المستويات اللغوية عند بدو:

<table>
<thead>
<tr>
<th>مستوى</th>
<th>اللغة المستخدمة</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>فصحي القرآن فقط</td>
<td>تستخدم في قراءة القرآن فقط</td>
</tr>
<tr>
<td>فصحي العصر</td>
<td>تستخدم في الكتابة والحديث في المواقف الرسمية</td>
</tr>
<tr>
<td>عامة المثقفين</td>
<td>تستخدم كلاغة حديث المتعلمين الرسمية</td>
</tr>
<tr>
<td>عامة المتعلمين المتضامنة</td>
<td>تستخدم كلاً من لغة حديث المتعلمين المتضامنة ولغة المثقفين</td>
</tr>
<tr>
<td>عامة المثقفين غير المتعلمين</td>
<td>تستخدم كلاغة حديث الأعيان</td>
</tr>
</tbody>
</table>

لم;++::<br>ليست هناك دراسات تجريبية كثيرة عن توزيع مستويات الخطاب في مصر أو أي بلد عربي آخر، ولكن الدراسات الموجودة فعلاً تثبت أن نموذج فرجسون القائم على التقليدية غير واقعي، فتتجد الجبالي (1985) مثلًا يوضح وجود انسياب في النظام الاجتماعية اللغوية بين المستويات كما يفترض بدو في دراسته، ومن بين أمثلة الجبالي على العلامات المنطقية تمثل القاف والباء واستخدام سياق الجملة في الفعل المضارع وترتيب الكلمات وعلامات الأعراب، ومع ذلك فإن طرق الخط النهائين (الذان يقابلان مع المستوى الأول والخامس في تصنيف بدو) هما القطران الوحيدان اللذان يمكن اعتبارهما متماثلين منفصلين مستقلين عن بعضهما الخاصة التي تفصل كل منها عن الآخر ومن باقي المستويات، أما المنطقة الوسطى من الخط فليس يمكن تقسيمها لمستويات مستقلة، ولذا، وجد الجبالي في نتائج الاختبارات التي أجريها أن النطاق غير الرسمي لكل مستوى له نفس توزيع النطاق الرسمي في المستوى الأقل منه مباشرة.
بينما توجد بعض الدراسات التي تهتم باستخدام بعض التنويعات في بعض سياقات الكلام، فإنه لا يوجد على الإطلاق أي مادة إحصائية حول العلاقة بين بعض التنويعات اللغوية والعوامل الاقتصادية الاجتماعية، ولكن أهم الأعمال التي تهتم بالعلاقة بين العوامل الدينية والتنوع الديني هي دراسة بلانك (1964) للهجات الجماعية الدينية المختلفة في بغداد، وهناك دراسة أحدث من تلك قام بها هواز (1987) عندما حل بإسباب الأمثلة الدينية الدينية المختلفة في البحرين، ففي تلك المنطقة هناك لهجة بودية أساسية ومحترمة يتكلموا البحرينيون من أهل السنة بينما يتكلم البحارنة الشيعة لهجة حضرارية مختلفة، يؤكد هواز في تلك الدراسة على أن التنويعات اللغوية تكتسب معناي اجتماعي مختلفاً في هذا المجتمع. وكذلك أظهرت لهجة البحرينية لغوي كامل تلك المنطقة يجب أن يستمع إلى كافة أساليب التعبير اللغوي التي يمتلكها المتكلمون، من أهم النتائج التي خصص إليها هواز في تحليله أن هناك تلزماً بين الشكل اللغوي والمعنى الاجتماعي. يتضح هذا أكثر ما يتضح في الحالات التي تتشابه فيها الأشكال اللغوية البحارنة مع الفصحي أو تختلف معها، في حالة كلمة "سمكة" الفصحي مثلاً توجد أن لهجة البحارنة لهجة يستخدمها، ولذلك عندما بحثنا أي من الطريقين أن يرى كلمة لغوي فإنه سيفلجأ للشكل الفصحي ويستخدمنه، أما في حالة الكلمة العربية الفصحي "مَّغَرِب" فإن لهجة البحارنة تنطقها بينما تنطقها لهجة أهل السنة البلدية "مَغْرِب"، وفي حالة الطرق اللغوي تجد أن المتعلمين من البحارنة يستخدمون الشكل السني للكلمة، بينما ينزع المتعلمون من أهل السنة إلى استخدام الشكل الفصحي من الكلمة (هواز 1987: 170).

هناك موضوع مرتبط بمسألة لهجات الجماعات الدينية الخاصة، وهو موضوع لغة النساء ولغة الرجال. وقد أصبح هذا الموضوع من أهم الدراسات الاجتماعية اللغوية في الغرب ولكنه مهم لم يزل في علم اللغة العربية الاجتماعي، وهناك قاعدة عامة في علم اللغة الاجتماعي اللغوي وفي النساء على وجه العموم ينزعون لاستخدام النمط المحترم الرفيع أو النمط الفصيح أكثر من الرجال، وأن النساء أكثر تحفظاً من الرجال.
في التغيير اللغوي، ولكن هناك اعتراضًا على تلك القاعدة فيما يتعلق بالنساء في المجتمعات غير الغربية حيث ينزع الرجال لاستخدام الأداء عنصريًا أكثر من النساء، ففيما يتعلق بالأردن، يقول سليمان (1986) إن النساء ينص عادةً على استخدام اللغة العربية الفصحى في التواصل الاجتماعي، ومع ذلك فإن الطلاب أكثر من الطالبات تزعمًا إلى استخدام اللغة العربية الفصحى التي تمثل نظام التخطيط العام الذي لا تشارك فيه النساء بنفس قدر اشتراك الرجال فيه، ولكن التبادل بين أنماط الحديث العربية داخل المجتمعات غير الغربية سرعان ما يختفي عندما ندرك حقيقة أننا لا يجب أن نربط النمط الرفع المحترم باللغة العربية الفصحى بشكل أوماميكي، ففي حالة الطلاب الأردنيين التي تكلمنا عنها سابقًا نجد أن اللغة العربية هي النمط الرفع المحترم عند معظم الناس، بينما يعتبر الناس العربية الفصحى جزءًا من العالم الرجالي.

وقد قدمت دراسة واترز (1991) إسهامًا عظيمًا لجان دراسة التنوعات اللغوية داخل اللغة الواحدة، وكانت تلك الدراسة عبارة عن مسح موسوع لللهجة كرية التونسي. من بين التنوعات التي درسها واترز كانت صوت الفتحة الطويلة في آخر الكلمة والتي تتنقل في تلك اللهجة مماثلة في لهجة كرية هناك ثلاثة طرق لتنقل هذا التنوع: الطريقة الأولى هي نقلة مماثلة خاصة، والطريقة الثانية هي نقلة مماثلة كما هو، والطريقة الثالثة هي نقلة مماثلة وتمرير. يوضح واترز أن الشباب من الذكور أكثر استخدامًا للنمط الرفع لكنه لا يتنقل. هذا النتائج تم الشعور به من الإذاعات، غير المدرسة، وهي نتائج مهمة لأكثر من سبب واحد، فمن ناحية تبين أن استخدام النمط الرفع مرتبطة بتوليفة من عوامل الجنس والعمر والتعليم، وليس مرتبطة بعامل الجنس وحده، فالإذاعة التي استخدمت التنوع بشكله الرفع تلقين تعليمات في مدينة تونس العاصمة، ومن ناحية أخرى تبين الدراسة أن الشباب من الجنسين يستخدمون الشكل المحلي من التنوع مع بعض الأشخاص عندما يعودون إلى القرية، وهو ما يوضح أن هذا التنوع قد أصبح علامة على هوية معيث.
بما أننا لا نملك معلومات كافية لكي نقيم علاقة ريب بين العوامل الاقتصادية الاجتماعية واستخدام تطورات النمط الرفيع أو النمط البسيط في السابق لأننا أن نحاول تقديم تعريف مستقل ودقيق للجهات الاجتماعية في العالم العربي، ولكننا نعرف معلومات أكثر عن العوامل غير اللغوية التي تحدد الاختيار اللغوي والتي تكون مرتبطة بموقف الكلام نفسه، أكثر العوامل أهمية في موقف الكلام هي الخصائص والموضوع والبيئة. ويمكن أن نرى تلك العوامل على خط من الأكثر خصوصية للأكثر عمومية. ففي نهاية الخط قد نجد مشابهة، رسمياً (مثلاً وزير) يحدث في موضوع عام في سياق رسمي ( مقابلة إذاعية مثلًا)، في مثل تلك الحالات قد يجد الوزير نفسه مضطراً لأن يستخدم نمطًا لغويًا يقترب من العربية الفصحى بقدر الإمكان، ولكن على الناحية الأخرى من الخط فإن أصدقاؤه يتكلمون على مقهى في الشارع في شؤونهم الخاصة سيستخدمون عامة لا تحتوي فيها الفصحى إلا نادرًا.

يتضح تأثير تلك العوامل عندما يتغير عامل منها في موقف الكلام معين، فنما يسائل المذيع الوزير في الراديو مثلًا عن حياته الخاصة سيتغير نمط اللغة التي يستخدمها هذا الوزير من النمط الرفيع إلى نمط يتجه نحو الفصحى، ويبقى الطريقة عندما يتحول الأصدقاء على المقهى من الحديث عن شؤونهم الخاصة للحديث في السياسة فإن لهجتهم العامة ستعكس عناصر من النمط الرفيع، بما أن الاختيار اللغوي يحدث في شكل خط فإن التغييرات لن تأخذ شكل تغيير الشفرة اللغوية من نمط لنطط آخر مختلف، ولكن التغيير اللغوي سيتعكس في الحقيقة في شكل نسبة أعلى من سمات نمط عن نمط آخر.

من بين سمات مواقف الإدراز لغوية التأثير الذي يمارسه المتكلمون بعضهم على بعض (وليس لدينا أي معلومات عن هذا الموضوع، ولكننا نستطيع أن نبني اثبات ما من تسجيل ديم (1974) للحوارات الإذاعية حول كيفية تطبيق الناس للأماكن اللغوية التي يستخدمونها لتلبية مستويات من كلمتهم) فهي أحد المحاورات يتكلم المذيع مع الأمن العام لمجمع اللغة العربية في القاهرة. نجد المذيع في بداية
المحورية يستخدم تعبيرات مثل "يعني نفهم من كده إنه أد انعقاد المؤتمر السنوي بتبليغ في لجان ببحث قرارات". نلاحظ في هذا الملفوظ استخدام الهمزة مكان القاف كما يحدث في العامية. واستخدام تعبيرات عامية مثل "من كده". ولكن عندما نتكلم الأمين العام بالفصحي ويحافظ عليها نجد أن نفس المذيع يتحول في التو لاستخدام تعبيرات مثل "لأ أردنا أن نأخذ نموذجا" لذلك (ديم 1976: 76). ونلاحظ أن هذا الملفوظ فصيح في أصواته وفي تركيبه الصرفي بشكل كبير.

هناك مثل لبناني عكسي حيث يتكلم مذيع مع أحد النقاد الأدبيين: أصر المذيع على استخدام اللغة اللبنانية العامة بينما كان النقاد يستخدم تعبيرات مثل "بيورة". عملاً للкус، كان إيجابي: إيجابي لأول مرة من حيس الكبيبي وسابقاً من حيس النولي. ولكنه في نهاية الأمر لا يستطيع أن يقاوم عامية المذيع أكثر، بدأ بعد دقائق مؤبدة في الكلام بطريقة "فهية تارب" على ميت معرض بالسنة" (ديم 1974: 77).

بين المثلان أن مستوى الحديث الذي يستخدمه أي من المتحاورين في الخطاب يؤثر على مستوى حديث المخاطب الآخر. فهناك نزعة عند النكيلين لأن يطروعا مستوى حديثهم لمستوى المخاطبين، ولكن تلك النزعة ليست أنتوناتيكية ببلاحة حال من الأحوال ففي محادثات معينة قد ينزع الناس إلى استخدام مستوي في الخطاب مختلف عن المستوي الذي يستخدمه المخاطب الآخر لفترة زمنية طويلة دون إحساس بضرورة التطبيق. يعني ذلك أن عوامل الخطاب لا تعمل عملها بشكل إلى الإرادية، فالخاطبين يختاران النمط الذي يستطيعه أي منهما في موقف كلام عميق لحاج ما بالربط بين مدى درجة الموقف واختيار التنويعات اللغوية. ولكنه من الصحيح تماماً أيضاً أن نقول إن الاختيار اللغوي الذي يجريه المتكلم يعكس تقليمه لملحق الكلام، فعندما يختار المتكلم التنويعات اللغوية التي يستطيعها فإنه يرتب للمخاطب تقليمه لدوره في الخطاب ورآبته في الموضوع وغير ذلك.

تتحكم التصورات الموجودة لدى المتكلمين عن الأنماط اللغوية المستخدمة في المجتمع في تلك العلاقات المعقدة بين العوامل غير اللغوية والاختيار اللغوي. فالمتبوعي للغة عادة ما يرتبط بالفقر والأمية ومستوى منخفض من التعليم لأن النمط
الرفيق مصدرنا، أما النمط الرفيع فعادة ما يرتبط بمستوى مرتفع من التعليم والنجاح الاجتماعي والطبقة الاجتماعية المرتفعة، ذلك بالرغم من أن طباقته الرفيعة اقتصادياً واجتماعياً تستخدم العامة كنقطة الحديث اليومية غير الرسمي. وإذا نظرنا إلى المسالك بشكل مختلف فسنرى أن العامة كلها ابتعثت بالأنشطة التي يقوم بها المتحكم داخل جماعته ومرتبطة بذلك بالاجتماعية والصحية. ولكن النمط الرفيع يرتبط بالابداع الاجتماعي واللاقات الرسمية، وقد يكون استخدام العربية الفصيحة لذلك نوع من الاحتراز ولكنه في نفس الوقت قد يكون أداة لخلق نوع من التكلم، وكذلك قد يكون استخدام العامة من آيات الوقاحة ولكنه في نفس الوقت قد يكون أداة لتنويب الفوارق وخلق نوع من الحمية.

فرق بين معظم الجماعات اللغوية العربية والعالم العربي هو الهوية الكبيرة الموجودة بين العضويات العربية والفصيحي، وما يباشر المتحكم العربي لاتخاذ قرارات كثيرة بشأن استخدامه التنبؤات اللغوية أكثر مما يفعل المتحكم في الجماعات اللغوية الغربية، ولا لم تكن العضويات والفصيحي أنماط لغوية منفصلة بل نقاط بداية ونهاية لخط لغوي مستمر يمثل كل من الشكلين طرفًا نظريًا له فإن الاختيار اللغوي يشتمل على خليط من التنبؤات اللغوية التي تتمنى لطرف من الطرفين، ففي الكثير من الأحيان يكفي اختبار بعض العلامات لإظهار توجه المتحكم، فتجد أن المذيعين في برامج الإذاعة مثلًا يبدأون من نص مكتوب بالغربية الفصيحي، ولكنهم سرعان ما يجدون أنفسهم واقعين تحت تاثير الجماعة التي يتوجهون إليها بالحول، إذ تغير بيئة النص الفصيحة في البرامج الموجهة لرتب البيوت أو للمزارعين ولكن المذيعين يدخلون علامات عامة في قواتهم على فترات محسوبة، من تلك العلامات استخدامهم الزجاج، بدلاً من القاف واستخدام تركيب الإضافة التحليلية بgenden آباع أو استخدام اسم الإشارة إلى الصبر. تبين تلك العلامات اللغوية نسبة المتحكم المستخدم، وهي نية رفع الحواجز وخلق جو من الألفة بين الطرفين، بنفس الطريقة يعتبر استخدام علامات لغوية فصيحة إشارة للسبيكة والمتبني للمجهول ونوع ما من علامات الإعراب أداة يستعملها المتحكم عندما يريد أن يشعر المستمع بأهمية الموقف أو الموضوع.

224
يحدث اختيار العلامة اللغوية جزئيًا في القسم الشعوري الواقعي من العقل الإنساني، بل ويمكن تطويره لغرض تجاري على سبيل المثال، ففي لغة وسائل الإعلام وخاصة لغة الإعلانات في الإعلام المصري يتمتد المستوى اللغوي المستخدم بواسطة المنتج المؤثر تسويقية والجماعة التي يتوجهها لها الإعلان، بعض السلع الهاطقة كالأفروض وبوايسات الشاميين تبيع أرجل في غالبية الأحيان بنمط لغوي رفيع، ولكن منتجي الأغذية والمنظمات مثلًا يتوجهون لسوق من ربات البيوت وذلك يعلنون عن بضائعهم بالعامة، فعلى الجهات المعنية دائمًا أن تحافظ على التوازن صعب بين حميمية العامية والمستوى الرفيع للفصحي.

من أهم الأمثلة على الاستخدام الواقعي للتنوع اللغوي بين العامية والفصحي على المستوى السياسي موجود في الخط السياسي للرئيس الراحل عبد الناصر، فقد تعود أن يبدأ خطبه بالفصحي ويكلم ببطيئة في نقاطها بسبب الموقف الرسمي، ويتكون جمله بعد تلك البداية إلى العامية أكثر وأكثر، حتى يصل إلى نهاية الأمر إلى عامة مصرف ويرد في نهاية خطابه إلى الفصحي حيث يلقي بها عمال مستويات الفصحى في خطابه السياسي، ولكنهم لا يستطيعون على التناحلة الأخرى أن يتكلموا بالعامية بشكل كامل لأن ذلك قد يعتبر إهانة للشعب.

تصل هنا تلك النقطة إلى اعتبارات السياسة المتعلقة باختيار النمط اللغوي، فيما أن معظم العرب يعتبرون الفصحي أهم عنصر الوحدة العربية فإنها تصبح من الناحية السياسية رمزًا لكل الوحدة. معظم الأحزاب السياسية في العالم العربي تعرَّف بذلك الوحدة على الأقل عنيدًا، ولذلك فإن السياسيين العرب محظورين لاستخدام الفصحي اضطرارًا بالرغم من أن أعضاء أحزابهم وأبناء نوافذهم السياسية قد لا يفهمونها. لقد رأينا سابقًا أن اللغة العربية لعبت دوراً كبيراً منذ أواخر القرن التاسع عشر في الحركة القومية في الأقاليم العربية. وأعلنت كل نودة عربية رسمياً بعد الاستقلال التزامها الرسمي بالقومية العربية واللغة العربية، ولذا يعتبر
استخدام العامية من هذا المنظور يعبر عن الإقليمية التي هي ممّدرة لفكرة الوحدة العربية، علواً على ذلك فإن الدارجة أصبحت عنصرًا أساسيًا من عناصر الفكر الوطنية في بعض البلاد العربية.

ليس من الريب أن مصر تميز عن باقي الدول العربية باستخدام العامية بشكل واضح، فمصر تتميز دائمًا بقدر كبير من الوطنية التي ترمى لترسيخ الهوية المصرية، وطبعاً الحال تعتبر العامة المصرية مكونًا هاماً من مكونات تلك الهوية، فالخطب السياسية في مجلس الشعب المصري تؤدي بنطاق يشبه العامية، وهو ما لم نسمع به في أي بلد عربي آخر، ومن أهم الأمثلة على ذلك آخر خطاب ألقاه الرئيس الراحل أنور السادات في مجلس الشعب عام 1981، ظهر هذا الخطاب على صفحات الجرائد السيارة صبيحة اليوم التالي على أغنيائه بالعامية مصريًا بملحوظة من الناشر تقول إنه لم يكن هناك وقت كاف لترجمة الخطاب للفصحي، وانظر كذلك خطب عبد الناصر التي تكلمنا عنها سابقاً، ولكنه من الشجاعة الاعتقام أن أيا من شرطة كلام عبد الناصر العامية لم ترد في أي خطبة من خطبه التي ألقاه خارج مصر، والسبب في ذلك واضح جداً فأي علاقمة على الهوية المصرية من شأنها أن تهدد العلاقات المتوفرة أصلاً مع سوريا في الجمهورية العربية المتحدة.

يتضح القبول الحسن للعامية في مصر في كل السياقات الاجتماعية. ففي مقابلات التليفزيون وحتى في خطاب مجلس الشعب تستخدم عناصر العامية بحرية شديدة، وعلاوة على ذلك هناك اهتمام عام كبير بالعامية بنفس الطريقة التي يهتم بها الناس بالعربية في سوريا، فتجد أنه من المفيد أن تظهر سمات العامية في الكتابات الأدبية، وخاصة في الحوار ولفت الأعمال السريحة يكون الحوار دائمًا بالعربية حتى ولو كان نص الحوار قد كتب أصلاً بالفصحي، وامتدت الناس كثيراً قاموس العامية المصرية الذي نشره بديو وهيندز عام 1986، وكذلك تقدم مدارس مراكز تعليم اللغات المنتشرة في مصر فصولًا خاصة بتعليم العامية المصرية للطلاب الأجانب، لقد قام في مصر جدل حول المسألة اللغوية، ولكن هذا الجدل لم ينتج في مصر مشاكل سياسية تذكر بالرغم من أن محاولات استخدام العامية في البلاد العربية أخرى كانت محل شك كبير.
وكذلك يتضح التوجه المصري ناحية استخدام العامية في المؤتمرات العربية الدولية حيث يستخدم أعضاء الوفود المصرية عناصر من لهجتهم العامية دون تردد أو إحجام، بينما يبدل أعضاء الوفود العربية الأخرى قصائدهم جهدهم للإبعاد عن أي سمة عامة، وعادة ما تتحول المقابلات الخاصة مع السياسيين والزعماء الدينيين المصريين بعد بداية فصيحة إلى عامة مصرية كاملة، ولا يعني كل ذلك أن الآثار السلبية لاستمرار في مصر ليست موجودة أو ملموسة، ففي مصر، كما هي الحال في بلد عربي كبير، آخذ المسؤولين عن الجامعات والدراسات العلمية اللغوية للهجة المصرية لأنهم ينظرون إلى التركيز على اللهجات على أنه معول هدم للوحدة العربية.

لقد رأينا سابقا أن العلاقة بين اللهجات الإقليمية المختلفة ولهجة العاصمة عامل آخر يجب وضعه في الحساب حال دراسة الوضع اللغوي، فتجد أن نسبة متلكم للهجات الإقليمية للتسوية مع لهجة العاصمة نزهة قديمة جدًا كما رأينا سابقا في حالة خريطة لهجات الدلتا في مصر. ورأينا سابقا أن لهجة القاهرة بشكلها الحالى ربما تكون قد تكونت في أواخر القرن التاسع عشر، عندما أدى توافد المهاجرين من الريف إلى اكتشاف السمات الليفية التي ماتزال موجودة ليومنا هذا، على ذلك فإن المهاجرين الجدد للقاهرة يحاولون التقرب من لهجتها بقدر الإمكان.

تعد قوة جذب اللهجة القاهرة خارج حدود الفطر المصري ليست مقصورة على داخله فقط، فيمكن تبرير استخدام المصريين لعناصر من عاميهم في التجمعات العربية بأن لهجتهم معرفة في عموم العالم العربي بفضل الأفلام والمسلسلات الكثيرة التي تصدرها مصر العالم العربي. وقد أدى هذا الانتشار إلى أن يفهم الكثير من الناس عنصر تلك اللهجة ولو جزئيًا. ولكنه لم يؤد للحالة العكسية أي أن يفهم المصريون باتى لهجات العرب، السبب الثاني في انتشار لهجة القاهرة وجود أعداد كبيرة من المصريين بالمغرب العربي وقد الكثير من المصريين في العالم العربي. فقد وجد الكثير من المصريين الذين يعملون في دول الخليج والملكة العربية السعودية بشكل مؤقت، فقد وجدت أعداد غفيرة
المسألة اللغوية في شمال أفريقيا

11 - يعَمل الوضع الإزدواجه الذي تكلمنا عنه سابقًا في بلاد شمال أفريقيا كما يعَمل في الشرق العربي. ولكن الوضع هناك أكثر تعقيدًا بسبب وجود لغة رفيعة أخرى، وهي لغة المستعمر الفرنسي السابق. كان الباخرة يصفون الوضع اللغوي في تلك المنطقة في الكتابات الفرنسية في هذا النظام على أنه حالة من حالات التعدد اللغوي، ذلك بالطبع بسبب طبق فرنسو العامي. أما الهيكل الجديد تنسق الإزدواجه اللغوية فإنه يصف العلاقة الاجتماعية اللغوية بين العربية والفرنسية بحالة إزدواجه لغوية، أما التعدد اللغوي فهو حالة تشير إلى درجة إتقان الأفراد لكل من اللغتين. لقد اتبعت الحكومة الاستعمارية الفرنسية سياسة دمج للشعوب التي تحكمها، وهو عكس السياسات التي اتخذتها بريطانيا في مستعمراتها. وكانت وجهة النظر الرسمية أن فرنسا لم تستعمر تلك البلدان تستغلها بل لتحجل إلىهم الحضارة الفرنسية، وقد تعامل الموظون الفرنسيون مع تلك السياسة الاستعمارية على أنها مهمة فرنسا الحضارية، ولا يعني ذلك أن كل المستعمرين الفرنسيين كانوا يفرون بنفس الطريقة فقد كان منهم من يعارض التعليم في المستعمرات معارضة شديدة.

 تعرضت شعوب المستعمرات الفرنسية العربية في شمال أفريقيا طوال فترة الحكم الاستعماري (في المغرب من 1912 إلى 1956 و في الجزائر من 1830 إلى 1860 وفي تونس من 1881 إلى 1962) إلى اللغة الفرنسية والثقافة الفرنسية بشكل مستمر، بالرغم من أن هدف التعامل مع الشعوب المستعمرة كمواطنين فرنسيين لهم نفس الحقوق كان الهدف الرسمي المعلن إلا أنه لم يتحقق بشكل عملي أبدا، بل ظهر مجرد إطارا لصياغة العلاقة بين العرب والفرنسيين في الإمبراطورية، من الناحية العملية لم تتمكن إلا أقلية من الصفوة العربية في المستعمرات من تعلم الفرنسية. وقد تṣرعت
تلك المجموعة من الناس لدرجة أنهم تبنوا اللغة الفرنسية وثقافتها وأنها كلغتهم وثقافتهم وأدبهم الخاص، ولكن عندما اكتشفت تلك الطبقة أنه بالرغم من التعليم الفرنسى والثقافة الفردية فإنهن لم يتمكنن من دخول المجتمع الفرنسي كمواطنين فرنسيين حقيقين فقد كونت تلك الطبقة الصغيرة من العرب الفرنسيين بداية حركة المعارضة القومية لمواجهة سيطرة الفرنسية، أما فيما يخص عامة الشعب فقد كان قادر معقول من معرفة الفرنسية ضرورياً لتسهيل التعامل مع الموظفين الإدارة الفرنسيين، ولكن غالبية الشعب لم تتمكن من الحصول على أي قدر من التعليم المنظم المهني في الفرنسية.

وفي الفترة الاستعمارية كانت هناك بعض المحاولات غير الجادة من قبل الحكومات تتميم نوع من التعليم متعدد اللغات للأطفال العرب، ولكن المدارس القليلة التي نمت هذا النوع من التعليم وضعت اللغة العربية كمادة غير أساسية في المقرر الدراسي، واستمر هذا الوضع كما كان بشكل أو بآخر بعد الاستقلال لفترة ما، فقد ظلت الفرنسية في المدارس متعددة اللغات هي لغة تدريس المواد "اللهجة" كالرياضيات والفيزياء والاقتصاد، فيما استخدمت العربية في فصول الآداب والتاريخ والدين، بالرغم من أن العربية أطلت بعد الاستقلال لغة رسمية للبلاد إلا أن الفرنسية ظلت لغة التعليم والإدارة الأساسية، ولذلك قامت في بلاد المغرب العربي الثلاثة حملات تعريب كبيرة في مرحلة مبكرة بغرض تغيير هذا الوضع اللغوي السائد في التعليم والإدارة، بينما كانت خلفيات تلك الحملات متشابهة فإن الطرق التي سارت فيها الحملات كانت مختلفة في البلاد الثلاثة بسببها عن البعض الآخر، يمكن تبرير تلك الاختلافات بعوامل كثيرة منها طول فترة الوجود الفرنسي في الإقليم وأعداد المستعمر الفرنسيين الذين كانوا يعيشون في الإقليم ووجود أغلبية بربية وحجمها.

ترك الفرنسيون وراءهم في تونس طبقة صغيرة كبيرة من متعددى اللغة، ولم تلعب البربرية دورًا هامًا في هذا الإقليم لأنها لم تكن إلا لغة كلام خمسة بالمائة فقط من السكان الاقطان جنوب تونس، فأصبح التعريب السياسة الرسمية للبلاد بعد الاستقلال، ولكنها كانت سياسة بطيئة نسبيًا، بالرغم من أن الحبيب بورقيبة أول رئيس
للعباس كان متحمسًا لإدخال العربية حماسة حقيقية إلا أنه لم يكن يفضل النقلة المتبرعة. ففي خطاباته الشعبية كان يستخدم لغة وسيلة بين العامية التونسية والفصحي وأعلن في غير مرة أن العربية الفصحي القديمة ليست لغة الشعب التونسي، وأصبح هذا الإعلان عنصرًا مهمًا من عناصر الجدل اللغوي في القطر التونسي، فقد كانت الفكرة هي أنه لا يجوز في التدريس أن يتم إدخال العربية الفصحي في كل مجالات الحياة بشكل شامل بل يجب السماح بوجود قدر كبير من التعدد اللغوي - بل إن بعض الناس اقترحوا الاهتمام باللهجة التونسية في معرّض هذا التدريس كوسيلة تعبير عامة.

أو هي على أن أهمية التدريس كانت واضحة جدًا في الخطاب الرسمي فقد كان بعض المثقفين يخافون من أن يدخل التدريس في جوهرة الأصولية الإسلامية إلى المجتمع التونسي العلماني ومن الناحية الإدارية لم يكن التدريس منظمًا بالرغم من أن بعض الوزارات قد تعربت بشكل كبير كما حدث في حالة وزارة العدل والشنغن الداخلية التي تعربت عام 1970، ومع ذلك فإن بعض الناس مازالون يعبرون عن تفضيلهم لحالة تعدد اللغات لكي يحتفظوا بما يرون أنه إنجاز للمجتمع التونسي، وإلى جانب ذلك كان الكثير من الناس يتفقون مع الحبيب بورقيبة في تصدير أن لغة تونس هي اللهجة التونسية.

حدثت ثورة هائلة في المدارس التونسية عام 1958 الغرض منها تغيير نظام التعليم التونسي عن طريق إقامة نظاماً تنظيماً متنازلاً، ويكون مقتضياً للآباء الحرية في أن يرسلوا أولادهم لدارس عربية فقط أو لدارس فرنسية عربية. وكانت مشاكل هذا النظام مزروفة في نقص المواد التعليمية ونقص المدرسين القادرين على التدريس بالعربية وعدم اهتمام الآباء الذين كانوا راغبين في إعطاء أبنائهم أحسن الفرص في الترقي الاجتماعي، وقد كان كل ذلك يعني أن يرسل الآباء إبنهم متحداً اللغات، وبعد ذلك بعشر سنوات تخلت الحكومة رسمياً عن الدراسة متعددة اللغات، ومع ذلك فقد تحقق قدر ما من التدريس، وظلت السنوات الثلاثة الأولى في التعليم الابتدائي العربية بالكامل، وكذلك بعض المواد في المرحلة الثانية كالفلسفة والتاريخ والجغرافيا.
ولكن الموقف تغير في السنوات الأخيرة في تونس لملحق اللغة العربية. فتوجد أنه في المجال الجامعي هناك ضغط على الدرسين ليستخدموا العربية الفصحي في تدريسهم، وحتى المدرسون الذين كانوا يتصورون أنهم لا يقدرون أن يدرسوا مواد تخصصهم بالعربية تخلىوا لدى كبير من الاستخدام المطلق الفرنسي في الفصول وقاعات الدروس، مع أن ذلك كان من خصائص الأصولية الإسلامية في التسعينيات من القرن العشرين عاملاً إضافياً في ارتفاع أسهم العربية، فالآشوريون على وجه العموم معارضون لأي نظام تعليم بالفرنسية وفضلون استخدام العربية وإعطاؤها مكانها الطبيعية التي تستحقها. في بينما لم تكن عملية التدريس قبل تلك الفترة مسألة مبنية في تونس أصبحت الآن مسألة اللغة العربية مرتبطة بالمسائل الدينية بشكل كبير.

تتحكم عوامل كثيرة في الوضع اللغوي المغربي: ففي المقام الأول تقلط أكبر مجموعة أقلية من البربر في بلاد المغرب العربي، لدرجة أن بعض التقديرات الإحصائية لأعداد البربر في المملكة تصل لحوالي خمسين بالمائة من عدد السكان، ثانياً، لعبت اللغة الفرنسية في هذا الإقليم دوراً عملياً كبيراً في العلاقات التجارية الكبيرة بين المغرب وأوروبا، ثالثاً، كانت المسألة اللغوية في المغرب دائماً مرتبطة بالوضع السياسي بسبب صلتها بالعرش، وبعد انتهاء الملك محمد الخامس للملكة المغربية المستقلة عام 1956 أصبحت الملكية والإسلام واللغة العربية أضلاع مثل لا تنفصل.


231
قامت محاولات عديدة لتعريب المدارس بعد الاستقلال، ولكن خطة التدريس الشامل للمدارس الابتدائية ثم المدارس الثانوية بعدما أجريت بسبيشل الخاصة التي تتطلب في استخدام اللغة العربية في العلوم، أما الآن فإن المدارس الحكومية مصغرة حتى السنة الرابعة، والسنوات الثلاثة التالية في التعليم سنوات متعددة للغات ولكن الفئة للغة العربية بالضعف، أما في المدارس الثانوية فحذف تلك يكون نصيبي العبرية مسارياً لنصيبي الفرنسية وأحيانًا أخرى يكون نصيبي الفرنسية ضعيف نصيبي العربية، أما التعليم الجامعي فيستخدم اللغتين العربية والفرنسية ويكون التصنيف بحسب المادة، بالإضافة إلى المدارس الحكومية هناك عدد كبير جدًا من المدارس الخاصة الأجنبية أو الدينية التي لا يحكمها قيد في اختيار لغة التعليم.

ولكن حملات تعريب الإدارة في المغرب لم تكن قوية بشكل كاف أو مخلصة، ومن الناحية السياسية كان التدريس أمرًا مهمًا لفرض اللغة العربية كلغة البلاد الوحيدة، وذلك لتأهيل تأثير البربرية، ولكن من الناحية العملية ظل بعض الدوائر الحكومية حتى تاريخ هذا الكتاب تستخدم الفرنسية كلغة عمل. تقول الكثير من التقارير إن المكتب التعليمي يستخدمون الفرنسية فيما بينهم "مكتب التعريب" يستخدمون الفرنسية فيما بينهم عند مناقشة مشاكل البلاد اللغوية، ومن الجدير بالذكر أن مكتب التعريب هذا هو المكتب الموظف بحماية عملية التدريس وتوجيهها، وليس من العجيب إذ أن تكون أشكال المدن الكبرى، وخاصة الأحياء الأوروبية منها، لغة فرنسية لعد كبير فما تزال المكتبات تبيع الكتب والمجلات الفرنسية ومواقع الإذاعات بالفرنسية وما تزال الإعلانات أيضا بالفرنسية. وتطلب كذلك قهري بكafka بالفرنسية في المقاهي التي بنيت على الطراز الفرنسي.

عرفت الجزائر (ثلاث بلاد المغرب العربي) أطول فترة تواجد فرنسي وشهدت أكبر عدد من المستعمرين الفرنسيين في المغرب العربي. لقد كانت البلاد محافظة فرنسية فعليًا منذ عام 1830، وانتزع الجزائريون استقلالهم بعد حرب عنفية انتهت عام 1962، وكان وضع اللغة العربية في الجزائر الفرنسية وضعًا حرجًا ومتينًا، فقد كان هناك ضغط كبير لتسهيل استخدام العربية الفاشي في التعليم، وانتهى الأمر.
بصدر قانون يقضي بأن العربية لغة أجنبية عام 1936، أما أنواع التعليم التي قدمت بلغات غير الفرنسية فقد كانت التعليم بالبربرية والتعليم باللهجة الجزائرية. وفي عام 1961 عندما جعل دي جول العربية إجبارية في المدارس، كان ذلك قرارًا متأخرًا جداً عن موعده ولم يغير من الوضع اللغوي شيئاً تطل الجزائر الحرة العربية لغتها الرسمية و الإسلامية، بينما كانت اللغة الفرنسية تستخدم في الغالب بلاد المغرب العربي، ولكن ذلك لم يغير حقيقة أن بعض الجزائريين لم يكونوا يفقون العربية الفصحى وأن بعضهم منهم لم يكن يعرف حتى الحامية الجزائرية، ففي عام 1962، كان هناك اقتراح أن تترجم وقائع جلسات البرلمان الجزائري إلى اللغة العربية، ولكن ذلك أن المناقشات التي كانت تدور تحت قبة البرلمان كانت تدور بالفرنسية لأن معظم النواب لم يكونوا يستطيعون استخدام أي نطق من العربية، قابل البرلمان الاقتراح بموافقة عامية ولكن رئيس الوزراء ساعدته على أنه من المستحيل أن تتح الحكومة مترجمين مدنيين كافية للقيام بهذا العمل الضخم، وعلى ذلك فقد ظلت المناقشات بالفرنسية لفترة.

لقد أدرك الناس منذ البداية أن التعريب يجب أن يبدأ من التعليم، ولكن بداية برنامج التعريب كانت متواضعة على وجه العلوم، إذ كان مجموع ساعات تعلم العربية في المدرسة الابتدائية لا يتجاوز السبعة، واستدعت الحكومة ألفاً من المدرسين المصريين على الفور بسبب غياب المدرسين الوطنيين الكلي، وتبع هذا العديد حوالى ألف آخر من سوريا، وبعد الانقلاب العسكري الذي حدث عام 1965 وجلب بومدين للحكم أصبح التعريب جزءًا من سياسة مركزية وتم تعريب معظم المرحلة الابتدائية في حوالي عشر سنوات، وتتم تحقيق تقدم كبير في تعريب المرحلة الثانوية، وحتى على المستوى الجامعي ازداد الضغط على المدرسين لاستخدام العربية في التدريس.

خلقت السلطات الاستعمارية الفرنسية قبل استقلال الجزائر مجموعة من الموظفين الجزائريين ليتولوا إدارة البلاد عندما يتعين على فرنسا ترك البلاد، ودافع هؤلاء المائة ألف موظف عن مكانتهم الريفية تلك بكل قوة وعارضوا أي تغيير للوضع اللغوي في الديوان الحكومي. وفي عام 1968 أصدرت الحكومة قراراً يقضي بأن يأخذ

233
كل موظف حكومي اختبارًا لثبت كفاءته في اللغة العربية، وذلك في فترة لا تتجاوز ثلاث سنوات، ولكن تلك الخطايا لم تقل حظًا كبيرًا من النجاح، فتكررت مرة أخرى عام 1980، ولكن الحكومة أصدرت هذه اللوحة على تنفيذ قرارها، وكان الهدف من تلك الخطوة هو تعريب الإدارة بشكل كامل بحلول عام 1985، وتم للحكومة ذلك فعلاً.

فنجحت عملية تعريب الإدارة في الجزائر بشكل لم تنجح به في أي بلد مغربي آخر.

وكان إدخال اللغة العربية إلى وسائل الإعلام والمجالات العامة مرتبطًا إلى حد كبير ببطولة الحركة الإسلامية. في المغرب استولت الملكية على الشاعر الشعبي وضمتها إليها فأصبحت صنوان، وفي تونس فقد اختارت الدولة طريق العلمانية، أما في الجزائر فلم تكن الحكومة الاشتراكية تدعم الإسلام والتقليديات، وتحول إلى حركة شعبية أشتركت بقوة في المبايعات من أجل إحلال العربية محل الفرنسية. في عام 1976 وفي غضون ليلة واحدة اختفت من شوارع الجزائر العاصمة كل لافتات الشوارع والإعلانات وأسماء الشوارع المكتوبة بالفرنسية، وتبع ذلك باقي مدن البلاد العاصمة في تلك الحركة. ربما لم تكن تلك الإجراءات دائماً من فعل الدولة، وربما كان للحركة الشعبية دورها التقليدي فيها، ولقد نجح التعريب في الجزائر نجاحاً كبيراً لدرجة أن المسألة اللغوية لم تظهر على السطح خلال الحرب الأهلية التي تأثرت في التسعينيات.

لقد تحدثنا حتى الآن عن الوضع اللغوي في المغرب العربي فقط، ولكن سوريا ولبنان في الشرق العربي كانتا تحت الحكم الفرنسي أيضًا، وفي سوريا فقد محت البلاد كل أثر موجود الفرنسي، وأما لبنان فهي بلداً خاصًا بسبب وجود عدد كبير من المسيحيين العرب اليهودية. لقد كان العزلة في لبنان على اتصال بالكينيسة الفرنسية في أوروبا منذ فترة مبكرة جداً، فقد درسوا في الفاتيكان ثم في باريس ووقعوا صلة المسيحية الشرقية بالغرب. بعد اتفاق الالتزام الذي تأثر عام 1860 بين الموارنة والبروتستانتية الشرقية بفرنسا، بعد القلق الذي تأثر عام 1860 بين الموارنة والبروتستانتية الشرقية بفرنسا، بعد القلق الذي تأثر عام 1860 بين الموارنة والبروتستانتية الشرقية بفرنسا، بعد القلق الذي تأثر عام 1860 بين الموارنة والبروتستانتية الشرقية بفرنسا، بعد القلق الذي تأثر عام 1860 بين الموارنة والبروتستانتية الشرقية بفرنسا، بعد القلق الذي تأثر عام 1860 بين الموارنة والبروتستانتية الشرقية بفرنسا، بعد القلق الذي تأثر عام 1860 بين الموارنة والبروتستانتية الشرقية بفرنسا، بعد القلق الذي تأثر عام 1860 بين الموارنة والبروتستانتية الشرقية بفرنسا، بعد القلق الذي تأثر عام 1860 بين الموارنة والبروتستانتية الشرقية بفرنسا، بعد القلق الذي تأثر عام 1860 بين الموارنة والبروتستانتية الشرقية بفرنسا، بعد القلق الذي تأثر عام 1860 بين الموارنة والبروتستانتية الشرقية بفرنسا.
كبيرًا فأسوا في عام 1869 الكلية البروتستانتية التي أصبحت بعدها الجامعة الأمريكية في بيروت، وكذلك تأسست جامعة القديس يوسف الكاثوليكية عام 1875، وقد أدى تدخل القوى الأوروبية في لبنان وخاصة فرنسا إلى استخدام المتعلم اللغة الفرنسية لغة ثقافة قبل نهاية القرن التاسع عشر.

وفي الألبان الذي أصاب البلاد في فترة الاحتلال الفرنسي على لبنان بعزو عامي 1918 و1923 محاولوا الفرنسا بكل جد أن يقيموا دولة لبنان الكبرى المنفصلة عن الأمة العربية. وقدما خضعت فرنسا لطلب الاستقلال أخيرًا استمرت الموارنة في السيطرة على البلاد، بالإضافة من أنهم لم يعودوا الأغلبية الساحقة بسبب ضم مناطق جغرافية ذات أغلبية مسلمة كالباقع وجنوب لبنان، وأحس الموارنة أن فرمتهم الوحيدة تكمن في بناء نمط ليبيين خاص من الوطن يركز على التعبدية الثقافية واللغوية في القطر اللبناني.

وفي المطروحات التي سببت الحرب الأهلية اللبنانية كان الموارنة اللبنانيون ينظرون إلى تجاوز فرنسا والعربية في لبنان بعين راضيمة نشر أبو سالم في عامي 1961 و1962 مثلا مسحوا للاستخدام اللغوي ودراسة فيها حماسه الشديدة لأن تظل لبنان وحدة متعددة الثقافات كما كانت، ركزت تلك النشاطات على دور لبنان التاريخي في الوسط بين أوروبا وبلاد البحر المتوسط، وكذلك كانت تلك النشاطات تحاول تعزيز مميزات التعليم متعدد اللغات، وفي نفس الوقت بيئة الحضارات التي ساهمها أبو سالم في كتابه وجود فرق كبير بين المسلمين والمسيحيين فيما يخص إمكانية الفرنسية، ولكن الأحوال تغيرت كثيرًا بعد الحرب الأهلية لدرجة أننا يمكن أن نقول إن الجغرافية اللغوية في لبنان لم تعد كما كانت أبدا، في حقيقة الأمر لا نعرف الكثير عن وضع اللغة الراهين في لبنان ولكنه من المؤكد أن الفرنسية قد فقدت مكانتها الريفية السابقة. ففي بيروت نفسها هناك تباين كبير بين بيروت الشرقية حيث تسود الفرنسية كلفة تواصل مع المجتمع الدولي، وبيروت الغربية حيث حلت الإنجليزية محل الفرنسية.

11 - 4 الاختيار اللغوي والتوجه اللغوي في شمال أفريقيا

اكتسبت اللغة الفرنسية أثناء فترة الحكم الفرنسي قيمة رمزية كبيرة لدرجة أصبحت معها الفرنسية رمز النجاح في الحياة العملية بالرغم من أنها لغة الاستعمار
العربية قد أصبحت لغة البلاد الرسمية، وبالرغم من وجود سياسة التحفيز الرسمية التي تحاول إحلال العربية محل الفرنسية فقد كان من الصعب على الناس أن يتبعوا على فكرة أن العربية يمكن أن تستخدم في كل المجالات الرسمية منها مثل الفرنسية تمامًا، وظل الفرنسية تلعب دورًا كبيرًا في حقل الثقافة لدرجة أن تسمى الثقافات المغاربية والتونسية في بعض الأحيان ينتقلون من لغة أخرى في وسط الحداثة.

لقد تغيرت الوضع اللغوي فيما يخص إتقان الناس للغة الفرنسية، ففي العهد الاستعماري لم يلتق التعليم المبكر في المدارس الفرنسية سوى القليل جدا من أبناء الشعب، ونتج عن ذلك أن أصبحت تلك الصفوف القليلة متعددة اللغات بالفرنسية واللغة المحلية، وفي بعض الأحيان وحسب الظروف الاجتماعية في البيت ومستوى التعليم كانت الفرنسية هي اللغة الغالبة، بل إن بعض الحالات القصصية أنتجت مواطنين لا يعرفون إلا الفرنسية فقط خاصة في الجزائر، لم يكن معظم أبناء الصفوف يعرفون العربية القصصية بأي شكل من أشكالها، بعض التطور عما إذا كانوا يستخدمون اللهجة المحلية في بيترهم أو عادوا للفرنسية تمامًا، ولكن هذا الوقف اللغوي تزعزع بعد الاستقلال، بل وانتهى تماما بعد إدخال العربية القصصية إلى التعليم، وقد تجد بعض كبار السن في بلاد المغرب العربي يرفضون تعلم القصصية، ولكنهم تحت ضغط لا يقاوم لتعليمها واستخدامها في حياتهم العملية.

وإذا نحن نصفا الصفوف التي كانت محظورة بالمدارس الفرنسية، فنذكرون كل شخص كان على صلة بالفرنسية نمطًا من الفرنسية العائلية المبسطة التي تكون فيها التعامل مع السلطات الفرنسية والمستعمرين الفرنسيين، وقد طور هؤلاء الناس نوعًا من التعدد اللغوي كاستيعاب الفرنسية فيه تحتية بالمقارنة باللهجة العربية المحلية التي كانت لهجة الشعب الأم، وفي تلك الحالات كان مقدار الكلام في اللغة الفرنسية يعتمد على تعرض الناس للغة وطبيعة علاقة هؤلاء الناس بالسلطات الفرنسية والمستعمرين، واستمر هذا النوع من التعدد اللغوي قليلا بعد الاستقلال ولكن قدر الكلام بعد الاستقلال أصبح يعتمد على قدر التعليم، ولكن بعض الفترة الاستعمارية يجب على كل فرد يجهل المدرسة أن يتعلم العربية الفصحي مع الفرنسية.
لا توجد أي إحصاءات تدل على قدر معرفة الفصحي والفرنسية في المغرب العربي، ولكننا سنقدم في الجدول التالي تقديرات من عام 1968 مبنية على نسبة التخرج من مختلف المدارس:

<table>
<thead>
<tr>
<th>اللغة اللفظية</th>
<th>الجزائر</th>
<th>المغرب</th>
<th>تونس</th>
<th>التجمع العام بالمائة</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>العربية فقط</td>
<td>11111</td>
<td>34444</td>
<td>22222</td>
<td>99999</td>
</tr>
<tr>
<td>متعددة اللغات</td>
<td>77777</td>
<td>99999</td>
<td>11111</td>
<td>22222</td>
</tr>
<tr>
<td>الفرنسية فقط</td>
<td>99999</td>
<td>22222</td>
<td>11111</td>
<td>77777</td>
</tr>
<tr>
<td>المجموع العام</td>
<td>288888</td>
<td>122222</td>
<td>11111</td>
<td>188888</td>
</tr>
</tbody>
</table>

بالرغم من أنه من المؤكد أن تلك الأرقام قد تغيرت في السنوات الأخيرة تغييراً كبيراً إلا أنها تعكس حقيقة تستدوم فترة طويلة في شمال أفريقيا، فهناك تغلب اللغة الفرنسية واللغة العربية واللغة الفصحى، وقد أثر الماضي الاستعماري على التوجه اللفظي لدى المتكلمين تأثيراً كبيراً. درس بن تهيلة (1983) هذا التوجه اللفظي بتقنيات علمية، يوسف تأثير اللغة التي يسمعونها، غيمي بفضل اللغة العربية بشرط أن تكون الفرنسية المستخدمة سليمة وحسناً. فاللغة الفصحى هي اللغة الفرنسية على أنه متحضر ومثقوف ومتعلمو، ولكن نفس الأشخاص عندما يتكلمون العربية فإن اللغة الفصحى يفضلون في مسائل متعلقة بالصداقه والحرص والحياة الاجتماعية، ومن المغرب أن معظم المتكلمين في الدراسة وضعوا الشفرة واللغة الفصحى في مكانة طفيفة جداً، ومن ثم السؤال الباحث المشتركون في الدراسة عن وجهة نظرهم في التعدد اللفظي أجابوا بأنه من الميزات الكبيرة للفرد وللمجتمع وخاصة في التعليم، ومن المثير أيضاً أن معظم المشتركون في الدراسة فضلوا التعلم بشرط أن يكون النمط المستخدم نمطاً فصياً، وجاء هذا التفضيل في ظل تقضيل آخر للتعدد اللفظي، وكذلك أقر معظم المشتركون في الدراسة أن العربية لغة...
مناسبة لتدريس العلوم ولكنهم في نفس الوقت فضلاً استخدام الفرنسية لتدريس تلك العلوم. تعكس تلك النتائج الصراع الكبير بين توجهات الناس الفعلية وجهة نظرهم الرسمية في المسائل اللغوية في مرحلة ما بعد الاستعمار.

هناك معلومات متاحة عن الاختيار اللغوي القلبي في المجتمع المغربي ولكن معظم الدراسات التي تهتم بهذا المجال في شمال أفريقيا تجتمع العربية اللسانية واللهجة المحلية في تصنيف واحد في مقابل الفرنسية. بينتا دراسة بن تهيلة (1983) للاختيار اللغوي في المغرب أن المشتركون في الدراسة وهم من متعدد اللغات يتكلمون العربية وحدها مع كبار السن والقراء وفي الحيز العائلي، بينما يستخدمون الفرنسية وحدها مع الأطباء والرساموس في العمل، وعندما قيم بن تهيلة الأنماط اللغوية وتوزيعها على الوظائف اكتشف أن اللهجة المغربية تستخدم أقل مما تستخدم في مجالات التعليم وأكثر ما تستخدم في المجالات النزالية، واكتشف أيضاً أن الفرنسية تستخدم أكثر مما تستخدم في التعليم وأقل ما تستخدم بين الأصدقاء. يفضل الناس أن يستخدموا نمطًا مختلطاً من العربية والفرنسية في معرض الكلام مع الأصدقاء.

تعتبر إجابات المشتركون في الدراسة لأسئلة حول تقضيئاتهم اللغوية لوسائل الإعلام والمجلات الكتابية عنصرًا مشيرًا في تلك الدراسة. وتبين التفاعلات التي صاحبت إجابات المشتركون في الدراسة الانطباعات التي يحملها الناس لكل من النمطين. يفضل الناس الفرنسية بسبب محتوى الرسالة الفردية، ويفضلون العربية بدافع من إحساسهم بالواجب تجاه الوطن.

وفيما يتعلق بالعلاقة بين العربية القصصى واللهجة المحلية فإن هناك نزعة لظهور أخطاء السلامة الزائدة في القصصى، ومعالل لم ي Дан ذلك في أن لهذه النزعة صلة بإحساس المتكلم باللغة في منافسة وفُرَّة للغة الفرنسية. وتعمل تلك الرغبة على إجبار المتكلم على أن يحاول أن يستخدم أفضل ما عنده من القصصي في الكلام، فتشير هذه الظاهرة إلى أن المتكلم العربي في وسائل الإعلام يحاول أن يصبح لهجة العربية فيستخدم علامات الإعراب حتى في الوقوف، بالرغم من أن الإعلاميين في الشرق العربي لا يستخدمون علامات الإعراب تلك قط، وذلك تجدر تغيير النمط من القصصي العامية والعكس يعكس
لا تذكر معظم دراسات الاختيار اللغوي في المغرب العربي اللغة البربرية بذاتها.

بالرغم من أن هناك أقلية كبيرة جدًا من متعددى اللغة العربية والبربرية، ومن الممكن أن تكون الفترة الاستعمارية الفرنسية هي التي تسببت في الوضع الهمشي للهجات البربرية. ففي عام 1930 أصدرت السلطات الفرنسية قرارًا بمنع تدريس العربية في المناطق التي تتكلم البربرية. ولم تدعم الحكومة الفرنسية باللغتين الفرنسية والبربرية وحاولت المبادرة بين تعلمي اللغة العربية ومكتمي البربرية عبر بعض الإجراءات الإدارية والسياسية، بالرغم من عدم وجود أي دليل على تعوين البربر مع الحكومة الفرنسية في هذا الشأن. فإن المجتمع في هذه المنطقة يربط بين المملكة البربرية والفرات الاستعمارية الفرنسية وخاصة في الجزائر والمغرب، فقد ضعفت الحكومة في البلدين بعد الاستقلال أي دعم على الثقافة البربرية ولغاتها. وفي الجزائر حرصت الحكومة كل المطبوعات النشيرة باللغة البربرية عام 1971، ومن المؤكد أيضًا أن عملية التعريب كانت موجهة لتكوين الذين تتحم عليهم إرسال أولادهم لمدارس عربية، وقد نتج عن تلك السياسات أن معظم البربر في شمال أفريقيا باستثناء ببر الريف الداخلي متدفني اللغة العربية والبربرية.

ولكن تغيرًا كبيرًا حدث في المغرب عام 1974 عندما أصدر الملك نفسه تصريحًا يقول فيه إن اللغة البربرية وثقافتها تعتبر مع نوع من عناصر المجتمع المغربي، وذلك أمر بإدخال البربرية في التعليم في الدارس الإبتدائية، ولكنه من السابق لأوانه أن ننجز ما إذا كان تلك التطورات ستؤدي إلى تغيير حقيقي في موقع اللغة البربرية، وفي الجزائر حاولت الحكومة في السنوات الأخيرة أن تصبح المملكة البربرية في سياساتها الخاصة فتشتت في الجنوب مركزًا للدراسات البربرية، ومع ذلك فلابد أن نقول إن الحكومة ما تزال تشكو في تلك التطورات البربرية لوقوع أفضل ولا تثق بها. ولم يحاول الأصوليون أن يرتكبوا أنفسهم بتطعيمات البربرية، بل إن الأصولية تنظر البربر على أنهم مسلمون فيهم نزعة خلاف وحيد عن جادة الدين السليم.

239
تركت فترة المجاورة الطويلة للعربية والفرنسية أثارًا على التراكيب اللغوية. وقد رأت سابقا أن نمط العربية الفضيحة المستخدم في شمال أفريقيا يجعل في طياته سمات التراكيب المسبوكة الفرنسية المتقورنة. وفي اللغات العربية المختلفة هناك عدد كبير من الكلمات المقتضبة والتي دخلت تلك اللهجات، يقول هيث (1989) إن أية عملية لدمج الكلمات المقتضبة في لغة ما يجب أن تسبقها عملية طويلة من تغيير شفرة الخطاب، وإذا ما نظرنا لحالات أخرى من تغيير شفرة الخطاب فسنجد أن كل الكلمات المقتضبة في اللغات العربية يجب أن تكون راجعة لفترة كانت فيها معرفة الفرنسية في البلاد معرفة سطحية. وفي فترة أقة عندما أصبح هناك متعدد تعدد لغات حقيقية في البلاد أصبح الاقتراض اللغوي في البلاد يشمل كلمات عشوائية لا يمكن التتبع بسياقاتها و مجالاتها.

وقد ركز هيث على أن الأعراض تضمن الكلمات الفرنسية في العربية المغربية، في هذا كانت العربية تضمن الكلمات الإسبانية على أساس المصادر، ولكن الحال مختلف مع الفرنسية التي يضمها المغاربة بشكل فعال مع هيث. يقول هيث إن الأفعال الفرنسية التي تنتهي بـ 礨 قد شكلت أساساً جيداً للنقل المغربية. فتجمد اللغة المغربية قد جعلت من تلك الأفعال أفعالاً معتادة الأخرى وصرفتها بهذا الشكل كما هي الحال في الفعل "يدكرى" الذي يضعه المغربي في الماضي كما يلي: "دكرى"، وتشبه اللهجة العربية في ذلك اللهجة المغربية التي اعتمدت في الأخيرة على تصنيف الفعل المستعمل لتضمن الكلمات المقتضبة، ومن بين الأفعال المقتضبة من الفرنسية فعل "بيلس" الذي يعني بالانية "يجرح"، ومن تلك الأفعال المقتضبة يستطيع التحكم المغربي أن يستعمل اسم فعل وفعل آمناً للمجهول، فيما يتعلق بالأفعال الأساسية فإن جنسها في اللهجة المغربية يحدد وجود صوت لين قصير في الكلمة من عدمه، فكلمة مثل "دش" مذكورة لغياب صوت اللين على أخرها، ولكن كلمة مثل "أنظر" فهي مؤذنة لوجود صوت لين، ومعظم جميع الأسماء المقتضبة من الفرنسية جمعها مؤذنة سالم، فتجد كلمة "بارات" أي "حارات" مجموعة من كلمة "بار" بإضافة "اللف والثاء"، ولكن ذلك لا يعني غياب صبيغ جمع التكسير لتلك الكلمات، بل إنها صبيغ متوازنة بكرة في الحقيقة.
هناك حالة خاصة جداً من حالات تغيير شكلة الخطاب وخلطها فيما يسمى بالفرانكو أراب في المغرب العربي وليبنان، وهي حالة واردة في السياقات متعددة الثقافات في الأسر وبين جماعات الطلاب، وقد يصل الخلط بين العربية والفرنسية في تلك الأحيان إلى كل المستويات التحليلية في اللغة، ولا يسمى معظم مستخدمي الفرانكو أراب هذا النطاق مستقلة بل أن الناس لا يحبون أن يستخدمها الطلاب مثلا أبدا، ومع ذلك فإن الخلف المنظم للفرنسية بالعربية مرفوع ومحبب في بعض الأوساط الاجتماعية وخاصة نواة الشباب في سياقات جميمة نوعاً ما، ويعتبر وجود هذا النمط على الوضع القائم في البلاد فعندما يتغير الحال الاجتماعي والسياسي كما حدث في لبنان عقب الحرب الأهلية فإن استخدام الفرانكو أراب ستتوقف، ولا يمكن اعتبار هذا النمط شرارة خاصة مستقلة لأن المتكلمين ليسوا متزوجين باستخدامه في البيت ولا يعتقدون أنفسهم أنه لغة خاصة بهم، ولكن على العموم يعتبر خلط الشفرات اللغوية مسألة غير محببة، فالكثير من الناس ينظرون إلى خلط الشفرات هذا على أنه سمة مجزرة في الكفاية اللغوية ومخمر في تربية الأطفال.

تعتبر دراسة الفرانكو أراب وآليته خلق الشفرة اللغوية في هذه جدا لفهم طبيعة التعدد اللغوي، فبالرغم من أن الفرانكو أراب يبدو عشوائياً إلا أنه من الممكن جداً أن يكون في بنية تركيبه يتبع قواعد نحوية معينة، يعني ذلك أن المتكلمين يتجسسون بعض التوثيقات ويستخدمون بعضها الآخر، يقول عباسي (۱۹۹۷: ۱۲۲) مثال أن الفرانكو أراب يسمى بتراكيب مثل "الأمو " أو "мо " الذي يعني "بداية الشهر" بحيث تجتمع أسما الإشارة العربية وأدوات الإضافة التحليلية حروف الجر مع الأسماء أو الصفات الفرنسية، ولكنها من غير المقبول بنفس الدرجة أن تضع الأسما الإضافية أو حروف الجر أو أدوات الإضافة قبل اسم عربي أو صفة، هناك مفاهيم نحوية أخرى موجودة في الأبحاث اللغوية التي أجريت على الشباب المغاربة في هولندا وخلطهم بين كلمات العامية المغربية واللغة الهولندية.
الفصل الثاني عشر

اللغة العربية لغة أقلية

243

1-1 مقدمة

 أصبح بعض متكلمي العربية معزولين عن المنطقة المركزية في حقب مختلفة من التاريخ، ولا كانت تلك الجماعات العربية تعيش في وسط مجتمعات أجنبية فكان لزاماً عليها أن تستخدم لغة المجتمع الذي تعيش فيه لقيمته بمهاراتها الاجتماعية، ولكن تلك الأقلية احتفظت باللغة العربية لغة التواصل في المنزل، عادة ما يكون للغة المنزل في تلك الجزء اللغوي شأء ضئيل وحقيق، فينزع المتكلمون إلى استخدام اللغة الرسمية في تعميقات اليومية. وعادة ما تكون لغة المنزل تلك عرضة لكل أنواع الضغط اللغوي بسبب خلاف شفرة الاتصال المتكرر وكثره عدد الكلمات المقترحة من اللغة الرسمية، لذا تعتبر الجزء اللغوي أو الجبيبة اللغوية عنصرًا مهمًا جدًا في دراسة الاتصال اللغوي.

تساعد دراسة الجيوب اللغوية العربية كذلك في تعريف فهمنا لتاريخ اللغة العربية، فقد كان أثر العربية الفصحي في تلك الجيوب اللغوية أقل من نفس التأثير على لهجات العالم العربي نفسه بكثير، ولذا يمكننا أن نعتبر أن بيئة تلك الهجات تمل شكلًا قيماً من أشكال العربية المتكلمة في المناطق التي ودت منها لهجات الجيوب اللغوية، لأن تلك الهجات لم تتعرض في تاريخها لضغوط يذكر من الفصحي التي اعتبرها المتكلمون العرب في العالم العربي الأم هدفاً يسعى المتكلم لتحقيقه، ومع ذلك فليس هناك اتصال مباشر بين تلك الهجات في المرحلة التي انعكست فيها عن العالم العربي وبين تركيب تلك الهجات في عصرنا الحالي، وكذلك لم يكن أي جيب لغوي معزولاً عن
العالم العربي الأم انعزلاً تماماً باستثناء المالطة، بل إن المتكلمين في الجيوب اللغوية كانوا يحتفظون بعلاقات قوية بالشكل اللغوي الأدنى المستخدم في المراكز الحضرية العربية الإسلامية حتى ولو كان الغرض الوحيد من ذلك الاتصال هو الحفاظ على الدين الإسلامي.

سوف نناقش في هذا الفصل باختصار الوضع linguistique في الجيوب اللغوية التي تستخدم فيها العربية كلغة كلام، وسوف نناقش كذلك الوضع اللغوي بالنسبة للمهاجرين العرب في غرب أوروبا وأمريكا.

2-4 عربية مالطا

عندما فتح الأخلاقية التونسيون مالطا عام 156 هجريًا كان سكان الجزيرة من المسلمين الذين يتكلمون نوعًا من اللهجات الرومانية، تحول كل الشعب في مالطا إلى اللغة العربية في فترة الحكم العربي، وإذا صدقنا ما قاله الحميري - الجغرافي العربي (بركت 1991) فإن الجزيرة ظلت خاوية من سكانها لمدة 180 عامًا أعيد إعمارها ببعدها بسكان يتكلمون العربية، وعلى أي حال لم تترك لهجة السكان الأصليين أي أثر في اللغة المالطة.

وغزى النورديون جزيرة مالطا عام 445 هجريًا ولكن أحد المصادر المعاصرة تقول إن ثلث سكان الجزيرة في القرن الثالث عشر كانوا من المسلمين، ولكن هؤلاء المسلمين إما نفوا من الجزيرة أو تعلموا عن الإسلام في القرن التاسع، واختفت العربية الفصحى من الجزيرة باختفاء الإسلام. ولكن اللهجه العربية المحلية ظلت مستخدمة، وبالرغم من أن اللغتين اللاتينية والإيطالية قد حلتا في الجزيرة مكان العربية في الدين والثقافة على التوالي إلا أن المجتمع أصلح على استخدام اللهجه المالطة لل التواصل بين الكهنة ورعاياهم، ولم يستخدموا الإيطالية التي كانت لغة الكنيسة الرسمية.

يرجع تاريخ أقدم نص مالطي ورد إلينا إلى النصف الثاني من القرن الخامس عشر، وهو نص الكنيسة الإيطالي، ولكن كان على المالطي أن ينتظر حتى عام 1896 ليعرف
بها العالم على أنها لغة مستقلة قائمة بنفسها وليس لهجة من لغة أخرى، وكان ذلك بعد نشر ميكيل فاسالي لكتاب في نحو المالطية أسماء الكتب اللغة المالطية. وحلت الإنجليزية محل الإيطالية في موقع اللغة الرسمية عام 1814 بعد أن أصبحت الجزيرة تحت حكم الناز البريطاني، ولكن اللغة المالطية دخلت إلى المناهج التعليم في تلك الفترة، وتم الاعتراف بها لغة قومية ثانية عام 1932، وبعد الاستقلال.

أصبحت اللغة الرسمية جمهورية مالطا، وكتب بالخط اللاتيني.

بالرغم من الجهود الكبيرة التي قامت بها الحكومة المطالية في السبعينيات والثمانينيات لتوضيح شخصية المطالية العربية وتقدم اللغة العربية في المدارس كمادة إجبارية لا يحب معظم المطاليين أن يذكروا أصول لغتهم العربية. فهم لا يحبون أن يربط الناس بينهم وبين العالم العربي بل يفضلون أن يطلقوا على لغتهم لغة سامية وكتفي، لم يعد أحد يهتم بالنظريات القديمة عن نشأة اللغة المطالية ولذلك فأنقسمت العربية والمطالية في جامعتي فاليتا منفصلة تماماً.

اندمجت بعض الصوامات في اللغة ولكنها ظلت منفصلة في الكتابة من بينها صوت القاف الذي أصبح ممزقاً. وكذلك اختفت العين والغين كلياً في معظم الآسكي ولكنهما أظهرا موجودين في الكتابة يدل علىهما الرمز الكثابي غ واندمج كذلك صوت الهاء في صوت الجاء، وانتمى صوت الهاء أيضًا من معظم البينات الصوتية، وفقدت الأصوات الفخمة سمة التفعيم فيها، ولكن بالرغم من أن معظم المطاليين يعتقدون أن لغتهم لغة مستقلة عن العربية إلا أن كل محاولات إصلاح الكتابة محاولات تضع التاريخ نصب أعينها، ويعني ذلك أنها تحاول إعادة الكتابة لمرحلة قرية من الكتابة العربية وخاصة في المناطق التي دمرت فيها التطورات الصوتية الشكل الكتابي التقليدي.

الاسم المدهش في تلك اللغة وجود قدر كبير جداً من الكلمات المفترضة من الإيطالية والصقلية التي أصبحت مدمجة في تركيب بنية اللغة المطالية، بالرغم من أن هناك أسلة من لهجات عربية كثيرة تبين أنها اقتراضت كلمات ودمجتها في بنيةها إلا أن المطالية لهجة استثنائية في كمية الكلمات المفترضة من الإيطالية ومن الإنجليزية مؤخرًا.
وفي التأثير الذي سببته الكلمات المقترضة على صرف اللغة. لقد تكلمنا سابقاً عن ابتكار كلمات الأجنبية في اللهجات العربية، وهي نفسها الطريقة التي أدخلت بها المادية القديمة الكلمات إليها ومجلتها. تحمل اللهجات العربية على وضع الصوامت الأجنبية في صيغة صرفية عربية عادية. استغارت المادية من الإيطالية كلمة *serpe* جمعتها بصيغة جمع التكسير *serpa* وجعلها في السهم *serpe*.

بين معصوب (1995) أن تفوق الكلمات المقترضة على المادية كان تفوقًا كبيرًا لدرجة أنه أدى إلى تغيير في البنية الصريفية للغة، فلم تعد المادية لغة تقوم في اشتقاقها على الجزء بل على جزء الكلمة. فلم تعد الطريقة العربية القديمة لنصب الكلمات مستخدمة وأصبحت المادية تحتاج إلى طريقة جديدة. معظم الأفعال الإيطالية يتم إدماجها عن طريق استخدام فعل الأمر أو المضارع للدائم، وتنتمي تلك الأفعال في المادية بصور الفتحة القصيرة. مما سهل تلك العملية أن أكبر تصنيف للأفعال النافلة هو تصنيف الفعل المعطل الذي ينتهي بنفس الصوت، وذلك لا يستطيع أن تفرق بين الأفعال ذات الأصل الإيطالي والأفعال العربية، وتعمل نفس طريقة الافتراض تلك مع الأفعال الأطول والأكثر تعقيدًا، تشتمل سواقي المضارع المطلقة على الأفعال المقترضة من الإيطالية، فتنتمي تلك الأفعال إما كسرة أو فتحة.

حدث تطور مماثل في نظام الأسماء في المادية، ولا كانت الأسماء العربية عادة مكونة من جنور ثلاثية ومعظم أسماء الجمع تضاف بصيغة جمع التكسير، وفي اللهجة المادية يتم إدماج الكلمات المقترضة من الإيطالية عن طريق إعادة صياغة بنيانها الأصلية واضعية في الاعتبار آخر مقطعين فقط، وذلك تستقبل تلك الكلمات جمع تكسير تفعل فعلها على المقاطع الأخيرة، ونيلك الطريقة اختفى الفرق بينصرف الإيطالي الذي يعتمد على الواضح والصرف المالي الذي يعتمد على صيغة جمع التكسير، وذلك أصبح الطريق معيدًا لسلب كلمات مقترضة جديدة، وظهرت في الحقب الأخيرة نوعًا لتجنب استخدام صيغة جمع تكسير مع الكلمات المقترضة من الإنجليزية، ولكن لاقتباسها وصيغة جمعها.

246
عربية مارية قبرص

عربية مارية قبرص، فئة البيت لمجموعة صغيرة من القرويين الذين يعيشون في قرية كورماكتي في شمال غرب قبرص، يرجع تاريخ وجود الموارنة العرب في قبرص إلى الفترة لما بين القرنين التاسع والثاني عشر الميلاديين، استشر معظم أفراد تلك المجموعة في عموم الجزيرة بعد الغزو التركي في عام 1974، وخلال القرية إلا من 500 شخص، وذلك يعتبر هؤلاء الخمس مائة الفئة المارونية الوحيدة في قبرص التي يمكن اعتبارها متعددة اللغات بالعربية واليونانية، تعتبر عربية مارية قبرص مهمة جداً في معرفة الدراسة التاريخية للعديد من المنطقة السورية اللبنانية والمنطقة العراقية بالرغم من قلة عدد المتكلمين وقردها في بعض السمات، تشترك عربية قبرص في معظم سماتها مع اللهجات الحضرية السورية، ومن بين أشهر أسماء التشبيه وجود سابقة المضارع الذي ترجع في تاريخها للباء السورية على المضارع، وكذلك يذكر بورج (1985) أن هناك سمات مشتركة كثيرة بين عربية قبرص واللهجات الحضرية العراقية، من بين تلك السمات وجود أداة في المستقبلية التي تستخدم أيضاً لهذا الفرع في عربية الأناضول، ومن بين المساهمة المشتركة مع اللهجات العراقية أيضاً أداة الماضي يقول بورج إن تلك السمات المشتركة مع المجموعتين اللهجتين ترجع إلى فترة كان المنطقة ملتمتات فيها لغويًّا.

هناك ثلاث سمات تضمن على عربية قبرص طبيعتها الخاصة، وهي: تطور الأصوات الانفجارية العربية، وتخفيف الصيغة العربية، وجود كميات يونانية مقترحة كثيرة. أولاً، اختفى الفصل بين الجهر والهمس في الأصوات الانفجارية في تلك اللهجات، وربما يكون ذلك راجعاً إلى تأثير أصوات اليونانية، وأصبحت تلك الفصوصا معتمدة على البيئة الصوتية بالكامل، فانطلق مجهورًا بين أصوات اللهجات، وتنطوي مهمة في أرثين الكلمات، وتصبح الأصوات الانفجارية احتكاكية قبل أن يتحول إلى سوت انفجاري آخر، وإذا كانت هناك منزلة من ثلاثة أصوات انفجارية فإن الثانى اختفى، وهربت عربية قبرص كذلك الأصوات المفخمة، ولكنها احتفظت باثنين من الأصوات التي تخرج من بين الأسنان وهما صوتًا الثاء والظاء، ولكن صوت النابل قد تحول إلى دال أو تاء.
ثانيًا، تم تقليل عدد صيغ جمع الأسم بشكل كبير، هناك فقط خمسة صيغ تطابق مع صيغ جمع التكسير في اللغات العربية العادية، بحثت كلاحقة للمجمع محل معظم صيغ الجمع، فمثلاً، نجد جمع كلمة "بطانة" وكذلك جمع كلمة "مخات"، أما بالنسبة لأداة الإضافة التحليلية فهي للمذكر و للمؤنث و للمذكر و للمؤنث من الجمع.

ثالثًا، تجنب الكلمات المقترسة اليونانية المجالات الرسمية، ولكنها أيضاً تعتمد ذلك لتغزو مجالات الحياة اليومية الكلمة الدالة على الطائرة والطائرة والоорب وغيرها، وكذلك في الحال في الواقعة اللغوية المشابهة يصعب تحديد ما إذا كان الموقف موقف تغيير شفرة الخطاب أو كلمات مقترحة بشكل فعلي. لا تنطبق تلك الصعوبة بالطبع على سمات مقترحة من أمثال لاحقة التصغير اليونانية التي توضع على أواخر الكلمات العربية.

14 عربية الأنضول

لم تختلف آثار اللغات العربية من الأنضول بعد أن فتحها السلاجقة، فعندما أصبحت اللغة التركية لغة الإمبراطورية السلجوقية وبعد ذلك العثمانية ظلت العربيةالفضلية لغة الدين والثقافة، ولكن مكانة اللغات العربية تغيرت بالكلية، فقد تحول متكلم اللغات العربية بمرور الوقت إلى التركية أو الكردية، ولكن بعض المجتمعات في وسط الأنضول احتفظت بلهجاتها العربية كلغة كلام منزلية، وأصبح معظم هؤلاء الناس يتكلمون بذلك لغتين أو ثلاثة.

تحتل اللغات العربية في الأنضول تصنيفًا من ثلاث تحت تصنيف مجموعة اللغات العراقية التي قام بها جاسترو عام 1968، عدد متكلمي تلك اللغات لا يزيد على 140 ألف شخص يتكلمون بجوار العربية الكردية والتركية، تنقسم اللغات العربية لخمس مجموعات: مجموعة دياربكر التي تتكلمها مجموعة من السريانيين واليهود، وشاركت تلك اللغة الآن على الفناء، ومجموعة ممرين ومجموعة سيرت، ومجموعة كوزلوكيك ومجموعة ساسون. وهناك دينستان كبيرتان تتكلمان العربية هما ماردين وسيرت، ولكن الحال في سيرت تشير إلى تحل التركية محلها بالتدريج.
ابتعدت اللهجات الأناضولية عن العربية القصصية أكثر مما ابتعدت باقي اللهجات الحضارية الأخرى. هناك بعض السمات الخاصة التي تميز اللهجات الأناضولية العربية، من بين تلك السمات لاحقة النون على أثر ضمير المخاطب والغائب في كلمة “بيتكن” التي هي في القصصية "بيكم". ومن بين السمات المميزة للهجات الأناضولية أيضاً أداء الفعل المو التي تستخدم مع الفعل المضارع، ولكن تلك السمات صغيرة وتفصيلية بالمقارنة بالسمات الكبيرة المميزة للكي لهجة.

هناك تشابهات كثيرة بين اللهجات الأناضولية في النواحي الصوتية والصرفية، فقد تطورت الأصوات التي تصرر من بين الأسنان بشكل مختلف في كل لهجة عن الأخرى، فهناك أصوات النداء والذال والظاء في لهجة ماردين، وتعادلها أصوات النداء والذال والضاد في لهجة دياربكر. وتعادلها أيضاً أصوات النداء والضاد والظاء في كوزلو籍، وساسون، بين هذا التشابه أن تلك اللهجات قد سلكت طرقاً مختلفة في التطور اللغوي.

أما في النواحي الصرفية فهناك اختلافات كثيرة بين اللهجات الأناضولية، فتوجد مثلاً أن أداء الإضافات التحويلية مختلفة في كل لهجة عن الأخرى. فتجد أن بعض اللهجات تستخدم أدليلاً أو دمج بين عنصرين نحوين منفصلين أصلاً، بينما تستخدم لهجات أخرى توليفة من أثأ أو أثأ. تعتبر اللهجات الأناضولية غنية جداً بالأدوات التي تدخل على الفعل، فهي تملك أداة لجهة المضارع الحقيقي أكثر أو بأكثر، تأتي على شكل سابقة على الفعل، وتمتلك أيضاً سابقة للمستقبل وهي أثأ أو أثأ، أثأ. أو أثأ أو أثأ.

أما في التحديدات اللغوية العميزة في تلك المجموعة اللهجة تطور فعل كينية رابط مشتق من الضمير يوضع عادة بعد خبر الجملة، فتجده في لهجة قرقين مثلًا جملًا من "فتحة الدينار ضيقة". هناك تطور آخر يكمن في الاستخدام أداة إشارة رابطة مكونة أساساً من أداة الإشارة ka تجد تلك الأداة في الجملة التالية التي انتخبناها من نفس اللهجية:

"ابنها قبل أمه" (انظر جسترو 1976: 131-142). بالرغم من أن اللهجات الحضارية التي يتكلمها
مصيحيا بغداد تمتلك فعل ربط كلمات الأناضول إلا أن تنوع أنواع وزيادة وظائفها
سمعه تحتمس بها لهجات الأناضول من غيرها من اللهجات العربية.

يتميز معجم لهجات الأناضول العربية بكثرة الكلمات المقترحة من التركية
والكردية. معظم الكلمات التركية في تلك اللهجات لها علاقة بالإدارة والجزاء كما هي
الحال في كلمة "مسدس" التي هي في التركية "damanca"، بعض الكلمات
التركية في تلك اللهجات من أصل عربي وبدأت على التركية ثم منتهاه للهجات الأناضول
العربية كما هي الحال في كلمة "haqqsz" التي هي في التركية hakesz، وهي
مركبة من الجذر العربي "حق" واللاحقة التركية sz وتختص الكلمات الكردية بالمجالات
الزراعية والمنزالية، بل إنها بدأت تدخل في مجالات الكلمات الدارية كما هي الحال في
"صديق".

وقد ضمت اللهجات الأناضولية الكلمات المقترحة القديمة صوتيًّا وصرفيًّا في
بنيتها بوضعها في صيغ جمع التكسير مثلًا، في حالة تلك الكلمات نحن نعرف بشكل
يقيم أننا نتعامل مع كلمات مقترحة، ولكن المكتلين أحيانا كثيرة يستخدمون كلمات
 الأجنبية بدون تعديلها صوتيًّا لتناسب أصول اللهجة بل إن المتكلم قد يفعل ذلك وفي
لهجة مرادف كامل وحسن، يعتبر استخدام الكلمة الأجنبية في مثل تلك الحالة نتيجة
مبشرة لوضع متعدد اللغات الموجود في مناطق تلك اللهجات. يدفع ذلك الوضع
المتكلم إلى أن يغير شفرة الخطاب من لهجة خاصة للخدمة الرفيعة، يفسر ذلك الوضع
وجود الكثير من الكلمات المقترحة والتي تستخدم مرة واحدة من أمثال تلك الكلمات
المقترحة التي تظهر مرة واحدة في المادة اللغوية التي تجمعها البحوث اللغوية
البدانية من أمثال فوكا وفولندر (1982). على ذلك فإن تعداد الكلمات التي أجراء
الباحثان السابقان يشير إلى أن حوالي 24 بالمائة من مفردات عربية الأناضول كلمات
مقترحة، تختلف اللهجات من حيث اللغة التي تقترض منها بشكل أكبر، ففي لهجة
دراغوز يمثل حوالي 47 بالمائة من المعجم كلمات مقترحة أجنبية، خمسة بالمائة من
تلك النسبة مقترحة من اللغة التركية، بينما يمثل 11 بالمائة كلمات مقترحة من
الكردية، وأصول باقي النسبة غير معروفة. أما بالنسبة للهجة ماردين فهنالك 15 بالمائة

250
من كلمات المعجم المقرضة، من بينها 12 باللغة كلمات تركية، وخمسة باللغة من أصل كردي، ولا تعرف أصل باقي النسبة. لا تتسمى معظم الكلمات الأجنبية المقرضة إلى المفردات الأكثر شيوعًا لأن حوالي 5 بالغة فقط من الكلمات اليومية الدارجة من أصل عربي.

من الظواهر المشتركة استخدام تعبيرات فعلية اسمية التي تُشارك كلها في الفعل العربي تُرى، المثير في المسألة أن هذا الاستخدام يشبه استخدام الكلمات العربية المقرضة في لغات أخرى وليس كاستخدام الكلمات الأجنبية في اللهجات العربية الأنضاسية. هناك الكثير من تلك التعبيرات في العربية الأنضاسية والتي تحتوي على كلمات تركية وكردية، وليس ذلك محسوس بل تجد تراكيب من أمثال تلك تحتوي على كلمات عربية مقرضة أيضًا. وتجد مثالاً تراكيب من أمثال "سو以下の telephon" و"نَسَب" إشارة "و"سو Después محفوظة" أي "تحملي". من الممكن جداً أن تكون تلك التعبيرات تشتمل على مسبوق للتعبيرات التركية التي تبدأ بكلمة etmek للتعبيرات التركية التي تبدأ بكلمة etmek.

14 - عربي أوزبكستان وأفغانستان

ظهرت معلومات في الستينيات حول لهجة عربية يتكلمها مجموعة من الناس في جمهورية أوزبكستان السوفيتية وقت ذلك، ولم كان معترضاً على علماء العربية الغربيين أن يدخلوا تلك المنطقة وقت ذلك فقد كان العمل الميداني مترکزاً في أيدي العلماء السوفيت من أمثال فينيكوف وتسيرتي، وعرفنا من أبحاث هذين العالمين أن العربية موجودة في منطقة قشقا داريا التي كانت تحتوي ألف متكلم للعربية في عام 1982 ومنطقة بخارا التي كانت تحتوي 400 متكلم في نفس العام، معظم هؤلاء المبحوثين يتكلمون لغتين أو ثلاثة، ويتناولون بين الطاجيكية والأوزبكية اللتان تعتبران لغتي المجتمع المحيط بجزيرة العرب اللغوية، أصبح من الواضح لدينا الآن أن تلك اللغة قريبة من لهجات العراقية والأنضاسية الحضرية، ولكنها تطورت في اتجاهها الخاص، فقد عرفنا من البحث الميداني الذي أجريه فيريلي عام 1986 أن سكان قريتي جوجاري وأورابخاري يستخدمون العربية في حياتهم اليومية.
ليست الأصول العرقية للحرب الأوزبكية معرفة بشكل واضح حتى الآن. تقول بعض الروايات إن وجود العرب في تلك المنطقة وتحولها إلى الإسلام يرجع لأيام قديمة بين مسلم ولي صرمان الذي فتح بخارى وستمرت عام 487 هجرياً، وتربط بعض المصادر الأخرى بين وجود العرب في تلك المنطقة وغزوات تيمور لوط في القرن الرابع عشر، في حين ترجعها بعض مصادر أخرى للهجرات البدوية الأفغانية التي وردت للمنطقة في القرن السادس عشر، ولكن من المحتمل جداً أن تكون هناك مراحل مختلفة من التعريب حيث على تلك المنطقة، مما يبرز الرموز المختلفة للكم اللهجة.

لا يعرف الكثير أيضًا عن اللغة العربية التي يتكلمها الناس في أفغانستان. فقد ظهر أول منشور بلغة غريبة عن بقايا اللغة العربية في أفغانستان عام 1973، في تلك الأيام كان هناك حوالي 4 آلاف متكلم للعربية في محافظة بلغ في شمال أفغانستان، معظم متكلمي تلك اللغة من متوسطي اللغة في العربية والفارسية. تنتمي تلك الجماعة اللغوية لمجتمع منغلق على نفسه وتجدهم لا يتزوجون من خارج جماعتهم أبدًا. وتشعر تلك الجماعة بفخر شديد ب:`العربية`. تقول المصادر المحلية إن العرب في تلك المنطقة ينتمون لقبيلة قرش، وقد ذهبهم تيمور لوط تلك المنطقة في القرن الرابع عشر، تشبه لهجة أفغانستان العربية اللهجة العربية المستخدمة في أوزبكستان، فهما يعكسان نفس الظواهر الصوتية كاختفاء الأصوات المغامرة والصفرية ونطق الأصوات التي تخرج من بين الأسنان. تختلف لهجة أفغانستان عن لهجة أوزبكستان في أن الأوتار تحتفظ بصوتي الجام والعين.

وأما كانت لهجة أوزبكستان تنتمي للهجات الحضرية العراقية فهي تعكس الكثير من سماتها، ومع ذلك فإن هناك بعض السمات البديوية في تلك اللهجة لأن تلك اللهجة ممزقة تحتفظ بصوتي القاف المجهور في بعض كلماتها جنبًا إلى جنب مع النطق المجهور، فتشهد مثالاً كلمة `جدً` مع `قلب` في أن واحد، ومع ذلك في بعض الأحيان ترجع التصويبات إلى مناطق لهجة مختلفة، هذه هي الحال نفسه بالنسبة للأصوات التي تخرج من بين الأسنان، فقد كان الانعكاس القديم في تلك اللهجات هو اثناء والذال والظاء، وقد تحولت تلك الأصوات تحت تأثير الطاجيكية إلى السين والرأي.
وصفت زاي مغضباً، ومن الواضح أيضاً أن الأصوات المفخمة فقدت سميتها الحداثية.
ولكن في بعض الأحيان تحل الأصوات الأسئلانية محل الأصوات التي تصدر من بين
الأسماء وخاصة في أسماء الإشارة أو أنيكي أمثالاً.
اختته آداب التعريف العربية الفصحى من لهجة أوزبكستان ولحقت محلها أدآة
جديدة في أفاث اكما في الحال في لهجات العراق، صنف جموع التكسير في الأسماء مقصورة على مجموعات محدودة من الأسماء فقط، أما معظم أسماء العاقل
فهي تتنهى بالنياهة والون في الجمع كما في الحال مع "وزيرين" و"أهين"، وتنسبي الأسماء المؤنثة العاقلة وغير العاقلة بالألف والباء في الجمع كما في الحال في "أمات
و"رساس". أما المركبات الإسنمية المكونة من اسم وصفة نفيسة الصفة بالاسم لاحقة
بضغاء "shayaat-In gaaila gaail"، أين أعتل آخر اسم، كما في الحال في المركب التالي:
nussin leel، وقد تظهر نفس اللاحقة في تركيب الإضافة كما في الحال في
"منتصف الليل". لا يعرف بالضبط أصل تلك اللاحقة إلا أن هناك نظرية تقول إنه راجع
إلى كلمة "أي" العربية.

أما في النظام الفعلي فقد أصبح اسم الفاعل معبراً عن الأحداث التامة، وفقد
وظيفته الإسنمية تمامًا، وقد حدثت عملية إعادة تحليل كبيرة لأشكال اسم الفاعل مع
ضمانات الوصل، فخرج من تركيب اسم الفاعل على ضمير الفاعل تركيب جديد لاسم
الفاعل مع ضمير متصول يدل على الفاعل، وأصبح الاسم الفاعل في تلك الحالة الجديدة
يعبأ من فعل نام، فمثلاً "zaarib-In" تعني "ضاربة" و"zaarib-In-ni" تعني "ضاربة"، وإذا كان هناك غرض تعدد الفاعل فيحل ضمير الوصل
الذي يدل على الفاعل بعد ضمير الوصل الذي يدل على الفاعل متخلأ تركيبًا
مثل "zaaribin"، الذي يعني "ضاربة".

تعتبر لهجة أوزبكستان العربية فريدة بين اللهجات العربية في احتفاظها بترتيب
الكلمات: فعل'M معقول، فعل، وهو يحتفظ بالجملة العربية، من الممكن أن يكون
أصل هذا الترتيب كامن في تنوع أسلوبى على الجملة الإسنمية تقدم فيه معقول الفعل
على فعله. أصبح هذا التنوع الأسلوبى تم الترتيب الأصل الثابت بسبب وجود تلك

253
اللهجة العربية في بيئة تحيط بها اللغة الأوروبية التي هي لغة تركمانية تحتفظ بالفعل في آخر الجملة، وهذا التشابه مع لغة البيئة المحيطة هو الذي دعم ثبات هذا الترتيب الغربي على اللهجات العربية، ومنذ ما يكون الفعل ينطوي معروفًا يكون على آخر الفعل ضمير xadaaha zagir bagara findu.

والآن، نستطيع أن نقول أن تلك التطورات جملة عربى أوروبية مثل:

'أخذ الشاب الحجر في يده.

ولكن تفاصيلنا لهذا الترتيب الشاذ صحيحًا فإن تلك المسألة تعد مثلا جيدًا على تغير لغوي يحدث من تنويع أساليب في الخطاب وكسر وجود لغة مجاورة رفيعة في حالتنا هذه في الأوروبية.

٢٣ - ١ الكريولات العربية في أفريقيا: حالة الكينى

هناك حالة خاصة من الجزء اللغوي المتنزه في حالة اللهجة العربية الوحيدة الموثقة لنورع والتي تطورت من عملية تهجين لغوي وكرولة، التهجين اللغوي عملية يصبح من خلالها نمو وسيلة تواصل بين أناس ينتمون ل-svg

فيحكي أن تلك المجموعة من الناس تكتسب لغة تواصل ثانية في فترة قصيرة من الزمن وتنمو تعليم رسمي منظم، وقد تظل تلك اللغة الهجينة مستخدمة لفترة طويلة من الزمن كلغة مساعدة، ولكن عندما يترابط أبناء الجماعات اللغوية المختلفة فإنهم يتواصلون فيما بينهم تلك اللغة المساعدة في البيت وينقلون لأبنائهم الذين يتربين بـ

كلغة ألم. ومن خلال عمليات لغوية معقدة من التوسيع اللغوي والتقؤيم تصبح تلك اللغة كريولا، فتصبح لغة طبيعية جديدة قائمة ذاتها. معظم حالات التهجين اللغوي المعروف

تحتوي في مكوناتها على لغة هندية أوروبية كالإنجليزية أو الإسبانية أو البرتغالية أو الهولندية أو الفرنسية. ومعظم تلك الهجينات تحوَّل إلى كريولات بفضل المبيد الذين

جلبوا إلى العالم الجديد.

عندما حاول الجيش المصري والحملة المشتركة بين مصر والسودان بعد ذلك أن

تحت السيادتين في القرن التاسع عشر جنباً في سعي مصر وفي السودان رجلاً من القبائل المحلية، فأصبحت لغة التخطيط الوحيدة المتاحة في معسكرات الجيش في إدفو
هي اللهجة المصرية والسودانية المهجرة التي استخدمها الجنود مع الجنود التوضي، ولا لم يكن تربص الجيش المصري قد تم بالكامل قبل عام 1867 فمن الممكن أن تكون تلك العربية المهجرة راجعة لنمو كان موجودًا في المنطقة من قروين مضت واستخدمه التجار في أغراضهم في تجارة الرقيق خاصة، ومن المعروف أن التجار استخدموا تلك اللهجة المهجرة في استيراد العبيد من السودان، وعندما قامت الثورة المهجرة في السودان عام 1882 انعزل قائد الجيش المصري أمين باشا في الجنوب واضطر لأن يلتقي بالجيش البريطاني في كينيا وأوغندا، من الواضح أن الكثير من الجنود التوضي في ذلك الجيش المصري قد التحقوا بأمين باشا واستقروا في تلك المستعمرات البريطانية. وقد تزوج بعض منهم من بنت القبائل المحلية، وكانت لغة التواصل بينهم هي اللهجة المهجرة التي تلموها في معسكرات الجيش المصري في السودان، وبدأ أبناء تلك الزيجات يتكلمون تلك اللهجة ونتج عن ذلك الكرويل المستخدمة حاليًا في كينيا وأوغندا حاليًا، ومن المعروف أن عدد متكلمي تلك الكرويل أقل من خمسين ألف متكلم، ويعرف الناس في تلك المنطقة من شرق أفريقيا باسم "نوبى" أو "كينوبي".

وتعد سابقة أخرى تقع فيها لغات البانتو عادة قبل أسماء اللغات.

من الانتصارات اللغوية في تاريخ تطور تلك اللهجة تطورها في جنوب السودان، بعد انتهاء الثورة المهجرة ظلت العربية المهجرة هي لغة التواصل المشتركة في منطقة جنوب السودان التي كان الجيش المصري يتركز فيها قبل النزوح للكينيا، وتعرف تلك اللهجة الآن بعربية جويا - وجويا عاصمة جنوب السودان التي ينتشر فيها استخدام تلك اللهجة. في السنوات الأخيرة بدأت تزايد الزيجات المختلطة وبدا الأولاد يتعلمون عربية جويا كلغة أم، وتشبه تلك اللهجة الكينوبي الموجودة في أوغندا وكنينيا في الكثير من السمات اللغوية، وقد قلنا سابقاً إن التأثير المترادج الذي تمارسه العربية الفصحى وترأس لهجة الخرطوم الرفيعة قد يؤدي إلى نهاية الأمر إلى إعادة بناء عربية جويا لتصبح اللهجة عربية عامة.

تتكسر الكينوبي الكثير من سمات الكريول المعروفة في العالم كالكريول الجامبيكي الإنجليزي والكريول الفرنسي في هايتي، فقد تعرض نظام أصواتها للتقليص.
الكبير بالمقارنة باللغة التي تستخدم منها مفرداتها، وهي في أغلب الظن اللغة العربية المستخدمة في صعيد مصر، فقد اختفى صوت الجهر وصوت العين وكذلك اندمجت الأصوات المغمضة في نظرتها غير المغمضة، وتحولت النهاية والتين إلى صوت الكاف، أما فيما يتعلق بالانعكاسات صوت القاف والجيم العربية الفصحى فهي موجودة في تلك اللغة طبقًا لأصلها الصعيدي، فهناك صوت الجيم مكان القاف الفصيح وصوت الجيم المعطشة مكان الجيم الفصيح، وفي الكثير من الأوقات تسقط تلك اللبجة السواكن القائمة على أواخر الكلمات، فسجدة مثل كلمة راج بمعنى رجل وكلمة ghdum بمعنى "صندوق". وقد أخذت الكينوبي من العربية كلمات بإضافة التعرف مثل lafiılı التي تعني "الملابس" وكلمة lafiılı التي تعني "الفيل".

تتمتع الكينوبي شكلًا فعليًا واحدًا مثلها في ذلك مثل باقي الكوبويات في العالم.
وقد يكون هذا الشكل الفعلي مستمدًا من صيغة الأدب العربي فسجدة مثل كلمات من يبني الصيغ "ابن" و"ابن" ينتمي إلى هذا الشكل مع المتهم والحاطب والحاث، وكذلك يمكن توسعة وظائف هذا الفعل بإضافة الكثير من أوراق الجهة إليه. انظر المثلى التالي:

"رَجَاز"  راج
"دَنَا أَذْهَبِ" dana azheb
"دَنَا بِرَاجِ" dana biraq
"أَذْهَبُ وَأَذْهَبْ" dana gi-raq

ويمكن على ذلك الجمع بين تلك السواكن في كلمة واحدة للتعبير عن زمن مركب كالضارع المستمر أو المستقبل المستمر وما إلى ذلك.

تنتمي الكثير من الأفعال في الكينوبي بلاحقة -٢، وقد تكون تلك اللحالة بقية من أصل ضمير الوصول المفرد الفاعل على أصل الفعل، أو ربما تكون بقية من لحالة الجمع العربية العادية.

لا تفرق الأسماء بين المفرد والجمع، بالرغم من أن هناك أداة يمكن أن تكون أداة جمع وهي عبارة عن لحالة -٢ على أواخر الكلمات مثل "الحجر" التي تجمع كما

256
العجم الكانوبي مبني على أسس عربية، ولكن يحتوي في نفس الوقت على عدد كبير من الكلمات السواحيلية المقترحة والكلمات الإنجليزية التي دخلت على تلك اللغة في السنوات الأخيرة. أحيانًا توجد في اللغة مترادفات عربية وسواحيلية وهي ما يعرف تأثر متكاملي تلك اللهجة ببيئة البانتو المحيطة بها، فتتجد مثلاً أن هناك كلمة المشتقة من أصل عبري وهو "آسدا"، وفي نفس الوقت توجد تلك الكلمة مرفقة من أصل سواحيلي وهي "ستيما" والتي هي كلمة تعني "آسدا" في لغات البانتو. وهناك أيضًا فعل سواحيلي مشهور وشائع وهو "ووزا" الذي يعني "يقدر" وهو فعل شائع بالرغم من أن تلك اللهجة تمتلك مرافقًا عربياً أصيلاً هو "اغيダー".

العربية في المهجر

إن يكون أي مسح لدور اللغة العربية في العالم كاملاً أو لم نشر ولو بإيجاز للأعداد الكبيرة من متكلمي العربية التي هاجرت إلى أجزاء أخرى من العالم، فقد هاجرت جماعات عربية كبيرة من أوطانها منذ فترة مبكرة جداً إلى مناطق أخرى في العالم وتعايشت في وسط بيئات لا تتكلم العربية، أما في حالات الهجرات العربية القديمة بعد الفتح الإسلامي فقد استطاع العرب أن يجدوا الشعوب المحلية لاستخدام اللغة العربية وأصبحت تلك البلاد جزءًا من العالم المتكلم بالعربية. ولكن في أحيان أخرى أصبحت العربية مجرد لغة أقلية في البلاد التي هاجر العرب إليها. لقد تحدثنا بإيجاز عن بعض تلك الحالات في معرض الكلام عن الهجرة اللغوية العربية في الأناضول وقبرص وأوزبكستان، ولكن تلك الهجرات العربية تكررت في العصور الحديثة عندما هاجرت أعداد كبيرة من العرب إلى بعض البلدان العربية كما هي الحال في هجرة الليبيين للولايات المتحدة وأمريكا الجنوبية وهجرة المغاربة والجزائريين إلى بلاد غرب أوروبا كبريطانيا وفرنسا وهولندا وألمانيا ومن الواضح أن الهجرة بهذا الشكل لها...
تأثرها النفسية والاجتماعية على المهاجرين، ولكننا سوف نقصر اهتمامنا هنا على الأثر اللغوي للمهاجرين. توافق هؤلاء الآثار في propriétaireين من ناحية وجد المهاجرين أنفسهم مضيفين لتعلم اللغة المستخدمة في بلد المهاجر، وهو ما حدّد احتفاظهم بلغتهم المنزلية الأصلية، ومن ناحية أخرى، فقد وافقوا في استخدام لغتهم الأم وحافظوا عليها فإن عادات كلماتهم سوف تتأثر باللغة السائدة.

وقد مرت الهجرات العربية اللبنانية والهجرات العربية المغربية بمراتب تطور مختلفة في المهاجر، وقد يكون السبب في ذلك اختلاف البيئة التي حلّت بها كل من المجتمعين، ويضيفا بسبب التركيب الداخلي لجماعات المهاجرين، كان المهاجرين اللبنانيون على وجه العموم يعتمدون لطبقات اجتماعية متعددة، فعندما سافروا إلى المهاجر حصلت على وظائف بحسب عقولهم أو أسعار الطبقة المتوسطة أو اشتغلت بالتجارة، بينما كان معظم المهاجرين المغاربة عملاء يدوين في مجالات صناعية، علّقت على ذلك فكل من الهجرتين تتمتعي بمرحلتين متميزة عن الأخرى، فهجرة اللبنانين قد حدثت في معظمها في الفترة ما بين أولى القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين، بينما تمثل هجرة المغربية لغرب أوروبا ظاهرة ستينياتية وسبعينياتية.

أما في حالة المهاجرين العرب في أمريكا اللاتينية فهي حالة مستقرة إذ يعمل معظمهم في المجالات التجارية ويستقبلون البرتغالية أو الأسبانية، ولما كانت تلك الجماعات العربية جماعات تجار فقد كان عليها أن تتجمع في المجتمع بقدر كبير وازم عليها أن تتعايش مع الأرجنتينيين والبرازيليين الذين يعيشون وسطهم، احتفظت معظم الأقلية العربية بلهجة عربية مستخدمة في الكلام اليومي، بل إن بعض النشاطات الأدبية العربي قام في تلك المنطقة من العالم بلغة عربية فصيحة. وقد ثمرت العلاقات المشابهة مع المجتمع المحلي وجود عدد كبير من الكلمات المقترحة الإسبانية والبرتغالية في لهجتهم العربية، وتشتري الكلمات المقترحة في مجالات العمل ولكن هناك بعض الكلمات المقترحة في مجالات الأسرة والبيت.
وبدأ أن معظم المهاجرين العرب في أمريكا اللاتينية ممن يعرفون الكتابة والقراءة ينتمون لطبقات المتعلمين فهم يختلفون جذرياً عن المهاجرين العرب في غرب أوروبا والذين ينحدرون من أساليب ريفية ويعملون كعمال غير مهرة في أعمال بنوية. وقد ركزت الأبحاث المبكرة التي أجريت على أوضاع المهاجرين العرب اللغوي في غرب أوروبا على اكتسابهم اللغة الثانية فقد ركز العلماء على المشاكل التي تواجه المهاجرين في تعلمهم اللغة الثانية رغم منهم في تطور تطبيق هؤلاء المهاجرين، ولا يعتبر هذا النوع من البحث مفيداً في استقصاء تاريخ اللغة العربية.

أما في الدراسات الأخيرة فإن التركيز على اللهجات الأصلية التي ورد بها المهاجرين إلى المهجر وقد جرى البحث في ميدانين مهمين هما: مجال فقدان اللغة ومجالي تغيير شفرة الخطاب أو خلط شفرة الخطاب، وقد يهتم مجال فقدان اللغة بحلة كفاعة المتكلمين في لغتهم الأصلية. فكثيراً ما يشتكى المهاجرين من ضعف أبنائهم في لغتهم الأم ويقولون إن الأبناء يتكلمون لغة المهجر أفضل من لغة الأب والأم، ويمنع أبناء الجيل الثاني خلط شفرة الخطاب كثيراً في كلمهم اليومي العادي لدرجة أنه يصبح من الصعب أن يتناقشوا بالعربية الخاصة، والسؤال في الحقيقة هو هل أكتسب هؤلاء الأطفال فعلاً السمات اللغوية التي تدعى أنهم فقدوهاً؟ يبدو من الواضح أنهم لم يكتسبوا سمات لغة الأب والأم بالكامل بسبب قلة التعرض لتلك اللغة، ولذلك يمكننا أن نقول إن هذا الجيل في مرحلة تحول لغوية، ذلك لأن لغتهم الأم فقدت المللادات التقليدية التي كانت تستخدم فيها، ففي حالة معظم المهاجرين العرب إلى هولندا أصبحت اللغة العربية مقصورة على الاستخدام المنزلي، ودخلت الهولندية على العربية في هذا المجال في حالة الجيل الثالث من أبناء المهاجرين، على مستوى المثل أي يستطيع أبناء المغارة التعامل مع أبياتهم بتلك اللغة العربية، ولكن هناك قصوراً كبيراً في مستوى التقلت والإنتاج اللغوي الفعال، فتجد أن هذه الأجيال تفشل في إنتاج الأشكال اللغوية العربية السليمة، هناك دراسة حديثة تتعلق بفقدان اللغة عند المراهقين المغاربة في هولندا تقول إن النظام الصوتي العربي تلك الأجيال قد تأثر بشكل كبير جداً لدرجة أنهم أكلوا أصواتاً مكان أصوات أخرى فاستخدمون مثالاً سافّاً مكان "شاف" مجاني بذلك صوت السين مكان صوت الشين. وتقول الدراسة أيضاً إن هؤلاء المتكلمين يفشلون في
صياغة جمع الكلمات العادية ككلمة قطة مثلًا، ويعمون جمع المذكر السالم على تلك الكلمات فيقولون "قاطن"، بل إن بعض المتكلمين يستخدمون سبب الجمع الهولندي بشكل مستقر ومستمر فيقولون "gutten" عندما يضطر هؤلاء إلى استخدام العربية الغربية دون كلام لتمثيل الكلمات فإنهم يشددون لفترة طويلة بها عن كلام، ويميزون فتحتهم في تلك الحالة وجود معجم مبسط وتركيب جملة بدائي.

منه المعلوم عن عملية التحول اللغوي ووجود سياسات طورتها حكومات غرب أوروبا التعامل مع الألفاظ اللغوية الموجودة على أراضيها، تعني تلك السياسات الألفاظ اللغوية حق التعلم بلغتهم الأصلية وقد تحتوي تلك السياسات على السويد وهولندا من خلال بناء منهج تعليمي عربي كامل في المرحلتين الابتدائية والثانوية، ومنشأة للمهاجرين الغرباء في أن معظمهم من أصول عربي وذالك يصعب تحديد اللغة التي يجب أن يتلقوا تعليمها بها، علاوة على ذلك فإن هناك مشكلة أخرى وهي مشكلة النوع المستخدم في عملية التعليم هل يجب على التعليم أن يكون باللغة القصصية أو باللهجة العامية، ولكن تلك المشكلة لم تجد خلا بعد.

أصبح تغيير شفيرة الخطاب مسألة عادية في كل أبناء المهاجرين العرب في غالبية الأحوال، ويمكننا أن نقول إن هذا النمط من استخدام العربية لغة أخرى قد أصبح نمطًا مؤسسًا ثابتاً وكاملًا في أحيان كثيرة كما هو الحال في العربية فرساً مثالًا، ولكن هذا وضع طبيعي فعندما تتفاوت لغات مختلفات في المستوى في جماعة لغوية واحدة فإن هذه الأنماط لا بد أن تظهر. يصبح تغيير شفيرة الخطاب في تلك الحالات متشفياً لدرجة أنه لا يحدث بين جمل بل يحدث داخل حدود الجملة الواحدة. وهذا يحدث تغيير الشفيرة بين الفعل والمفعول داخل الجملة الواحدة كما هو الحال في "gib lui een glas water" (أحضر لي كوب ماء)، وقد يحدث الخطأ بين الفعل والفاعل، وقد يحدث الخطأ قبل حرف الجر كما هو الحال في "wandel naar de stad" التي تعني "سيخرجهم إلى المدينة". بل إن خطأ الشفيرة قد يحدث داخل مركز الأسلمة نفسه فتجد مثالًا "بالرافد" في "الفراغات كثيرة" (نورتين، 1989: 143 - 40).
وفي الأماكن الحديثة تُغيّر نمط الخطاب كالذي طرحه مير سكوتون (1992) هناك فارق بين اللغة الوظيفية التي تقدم العناصر الوظيفية في اللغة واللغة المعنوية التي تقدم المفردات المعجمية، وكذلك تلعب العناصر الترجمية دورًا كبيرًا في الطول الذي يجدها المتكلم لمشكلات التضارب بين قواعد اللغتين اللتين يحدث بينهما في تحويل شفرة الخطاب. وعلى ذلك فإن تغيير نمط الخطاب بين الفرنسية والعربية المغربية مثالًا مختلف عن تغيير نمط الخطاب بين الهولندية والعربية المغربية، عندما تكون اللغة الفرنسية هي اللغة المعنوية وتكون العربية هي اللغة الوظيفية فإن المتكلم يستخدم أداة التعريف الفرنسيًا أو يستخدم أداة عربية بدلًا منها كما يتضح من أُسلوب نورث (1994)، ومنها ما يُشير إلى "هذا القميص". تستخدم تلك الجملة أداة التعريف المؤثرة الفرنسية لأن قواعد العربية المغربية تقتضي استخدام أداة التعريف بعد اسم الإشارة أداة أداة، وقد تكون العربية هي اللغة المعنوية وتوضع كلماتها في اللغة الوظيفية فإن الكلمات العربية تحتفظ بأداة التعريف كما هي الحال في الكلمات العربية المقتصرة في اللغات الأوروبية، ولكن عندما يستخدم المتكلم العربي المغري اللغة الهولندية في تغيير نمط الخطاب فإن أداة التعريف تختفي تماماً من الملفوظات، فتشتم مثلاً تعبيراً مثل "ذاك القميص" الذي يعني "هذا التعليم". ويشير الاختلاف في استخدام الأداة الفرنسية والأداة الهولندية في الأسلوب السابق إلى اختلاف وظيفة الأداة الأصلية في كل من اللغتين، وربما تظهر الأداة في تغيير شفرة الخطاب الفرنسي العربي المغري بسبب طبيعتها الإشارة في اللغة الفرنسية، وتشتفي من تغيير نمط الخطاب الهولندي العربي المغري بسبب غياب تلك الوظيفة.

ولا يمكن أن يطور المتكلمون كل الأفعال الأجنبية لقواعد العربية المغربية بسبب تعقيد نظام الأفعال في تلك اللغة، وقد رأينا سابقاً أن المحادثة قد طورت الأفعال الإيطالية المقتصرة في بيئة اللغة بشكل كامل، وحدث نفس الشيء تماماً فيما يتعلق بالكلمات الفرنسية المقتصرة في اللهجتين العربيتين الجزائرية والعربية. ولكن الكلمات الهولندية لم تجد نفس المعاملة فلم يفضل المتكلمون تضمينها بشكل صريح في بيئة اللغة العربية، بل فضلوا استخدام مركبات فعلية كاتب تستخدمها لغات أخرى لتضمين الكلمات المقتصرة، تفضل لغات كثيرة أخرى أن تستخدم فعلًا غير ذي معنى حقيقي.
متبعًا باسم اجنبي لتجنب تضمين الفعل الأجنبي وإقامة الصرفي عليه، في تغيير شفرة الخطاب بـ "اللغة المغربية والهولوندية يستخدم الفعل العربي "يدير" متبعًا بمصدر أو باسم كما هي الحال في "حسك تديرهم" التي تعني "يجب أن تعطيهم فرصة" (بايروناز 1991)، وتضمن تلك الطريقة عملية تغيير شفرة الخطاب بشكل كبير قصص أكثر شيوعًا.

ليس مصدر اللغة العربية في المجر معروف، ليست تلك المسألة مسألة لغوية بحثية بل إن هناك عوامل سياسية وثقافية وأيديولوجية وربما عوامل دينية تتحكم في هذا المصير أيضًا، في أمريكا اللاتينية ظهر مجتمع عربي فخور بأصله العربي ويدعم الثقافة العربية والأدب العربي، وتوقع في مثل هذا السياق وجود عدد كبير من الكلمات المقترحة في اللغة المنزلي لكن في نفس الوقت توقع وجود مجهودات وعائية للحفاظ على انفصال لغة المنزل عن لغة الحياة العامة ومنع فقدان لغة المنزل.

أما في معظم الدول الأوروبية فمن الواضح أن عملية التحول اللغوي حتمية، وبالرغم من أن بعض الأفراد سيظلون يحاولون الحفاظ على لغة بلادهم القديمة فإن معظم أطفال المهاجرين سيتحولون إلى اللغة الرئيسية في البلاد حتى ولو أن هناك سياسات وعائية ورسمية لحفاظ على لغات البلاد الأصلية، ومن الممكن جدا أن تنتهي مظاهر استخدام تغيير لغة الخطاب بعد جيل أو جيلين على الأكثر لتسود لغة البلاد الرئيسية.

أما في حالة الجيب الغربي العربي كوزبكسان وأفغانستان والأناضول وقبرص فلاهناك سياسة لحفاظ على اللغة العربية، وليس لها أي وجود ربع ولذلك سوف تموت في القريب العاجل، تعتبر الكينوبوي في أوسندا مثالًا على عكس ذلك فهي تحافظ على كيانها بل وترفع لتصبح لهجة عربية قومية، ويساعد منكملي الكينوي في ذلك مكانتهم الاجتماعية الرفيعة، الحالة مختلفة تمامًا بالنسبة للهولوندية لأنها أصبحت رمزًا على كيان سياسي قومي وسياسي مستقل، وبالرغم من أن اللغة الإيطالية وإنجليزية قد بدأت تدخل على بعض وظائف المالطية فإن النزعة القومية تبدو كافية للحفاظ على تلك اللغة مستقلة ومستخدمة كلغة قومية.
الفصل الثالث عشر

اللغة العربية لغة عالمية

1- مقدمة

تستخدم حوالي 150 مليون إنسان تقريبًا نمطًا من أنماط اللغة العربية كلغة أم في العالم اليوم، ولكن تأثير العربة لا يتوقف عند حدود العالم العربي، فقد كان العرب على مر التاريخ على اتصال بشعوب أخرى تكلم لغات أخرى. وقد أدى هذا الاحتكاك إلى تأثير تركته العربية ليس فقط على مفردات تلك اللغات بل أيضًا على بنيتها الصرفية النحوية. في أي سياق من سياقات الاحتكاك اللغوي بين اللغتين يتحدث مسار التأثير اللغوي بعاملين أساسيين هما: مقدار رفعة كل من اللغتين وقوتها بالنسبة للأخرى، وتاريخ تعايش اللغتين جنبًا إلى جنب، لذلك أيضًا توجد العربية كلغة أقلية في مجتمع يتكلم لغة أخرى. رفيعة يكون التأثير والواقع هو باتجاه اللغة العربية، ويصدق ذلك الحكم على الجزء الغربي وعلى العربي في المهجر، ولكن اللغة العربية يدورها آثار على لغات أخرى في محبيتها لأنها لغة عالمية. هناك وجهان لدور العربية كلغة عالمية: الوجه الأول هو وجه العربية كلغة تجارية وخاصة في أوروبا، والوجه الثاني هو وجه العربية كلغة دين، وتمارس العربية هذا الدور في أجزاء كبيرة من أفريقيا وتركيا وإيران وماليزيا وإندونيسيا باكستان.

ظهر الإسلام في تلك الأقاليم دينًا جديدًا ليحل محل الديانات القديمة ولكن لغة العرب لم تفعل الشيء نفسه، بل ظلت اللغات المحلية كما هي، فقد كانت الفارسية مثلًا لهجة حدودية أيام الإمبراطورية الساسانية التي كانت لفتها الرسمية في اللغة
اللهوية، وما كانت اللهوية لغة جانبية بالنسبة إلى اللغة العربية في القرن الأول، بعد الفتح العربي فقد استمرت موجودة في الاستخدام حتى القرن التاسع الميلادي، فقط حين حلت الفارسية محلها في موقع اللغة القومية للإيراني تحت حكم الساسانيين، وفي ظل هذا التطور أصبحت اللغة العربية التي تنقل بها الدين الجديد إلى الشرق، وظل دور العربية في آسيا مقصورًا على كونها اللغة القرن الكريم، والكثير من الكلمات العربية المقترحة في لغات العالم الإسلامي كالأردية والإنجليزية حيث جاءت تلك المناطق عبر الوسيط الفارسي.

يعتبر تأثير العربية في عوم العالم الإسلامي تأثيرًا كبيرًا، فبفضل تركز الإسلام على اللغة، لا يمكن أن تتعلم لغة، وحتى في الحالات التي لا يتعلم المسلمون فيها أن يتكلموا العربية بشكل سليم كان نص القرآن العربي أكثر شيء تقديرًا، علاقةً على ذلك فإن تعليم الدين الإسلامي في البلاد الإسلامية يستتبع عادةً قدرًا من تعليم العربية، ويتعلم الأطفال في بعض البلدان أن ينطقوا حروف القرآن ويكتبوا بشكل سليم دونماً فهم لمعانيه، وفي البلاد أخرى هناك شبكة كبيرة من الكتب التي تتولى مهمة تعليم اللغة العربية. يعتبر تأثير اللغة العربية ملحوظًا جدًا في الناحية اللغوية في مجال المجمع حيث تكثر الكلمات العربية المقترحة، ويمكن تمييز مستويين من مستويات الكلمات العربية المقترحة في تلك اللغات الإسلامية: يمثل المستوى الأول مرحلة الاقتران الأولي إبان فترة التوسع الإسلامي، وتلك الكلمات قد تم تضمينها بشكل كامل في بنية اللغات العربية، أما المستوى الثاني فهو يمثل مرحلة اقتران كلمات جديدة، والكلمات في تلك المرحلة كلمات ثقافية قد ألفها العلماء والمثقفين من الصوفية المحلية، وترميم تلك الصوفة إلى الحفاظ على التأثرين العربي الأصلي لكلمات المقترحة.

بعد فتح أبواب كبرى من الأندلس عام 711 ميلاديًا احتل العرب بالشعوب التي تتكلمان لغات رومانية في تلك المنطقة بشكل مباشر، وهو الاحتكاك الذي دام حتى سقوط كل الأندلس عام 1492 ميلاديًا، يقول بعض العلماء إنه خلال تلك الفترة الطويلة من الاحتكاك اللغوي لم تحل العربية محل اللغات المحلية للشعوب غير المسلمة، ويشكل
شأنه عيان من القرن التاسع الميلادي وهو بولس أفالوس القرطبي من أن الشباب المسيحي مهتم بالشعر العربي أكثر من اهتمامه بلغته الرومانية، ويقول بعض العلماء أيضا إن العربية لم تفلح في حلول محل اللغات المحلية كلهاء كلام، بل إن اللاتينية قد كانت موجودة في تلك الفترة كغة ثقافة. كانت هناك بالتأكيد أثار للغة الرومانية في شبه الجزيرة الأيبيرية طوال فترة الحكم العربي، ولكن بعد سقوط طليطلة عام 1085 فقط على أهميتها في المناطق التي ظلت تحت الحكم العربي، ومن المرجح أن الوضع في فترة السيطرة العربية الإسلامية كان مشجعاً على التعدد اللغوي بقدر كبير، فتجد أن شعراء الموشحات كابن قزمان (توفي عام 1057) يستخدمون اللهجات الرومانية في خرائط موشحاتهم بنفس الطريقة التي استخدم بها شعراء الموشحات في الشرق.

كانت لهجة مملكة غرناطة الصغيرة التي استمرت حتى عام 1492 تحتوي على عدد كبير من الكلمات الرومانية المقتprise كما نعرف من شهادة بردو دو ألكالا والقوائم التي أوردها.

كان العرب في الأندلس يسمون اللهجات الرومانية "لغة العرب"، وكانوا يسمون الأسبان الذين تربوا العربية لغة للهم وانضموا للمجتمع العربيسلم المستعربين، ومن هنا جاءت تسميتهم في الإسبانية "mozarabe". وهذا حاول ميلاء الناس كتابة أدبهم الرومانسي بلغتهم كتبوا بالخط العربي، وذلك تسمى النصوص الرومانسية بالخط العربي الذي ظل محفوظا لنا من كلمة "العجمي". هناك مجموعة أخرى من النصوص الرومانسية التي كتبت بخط عربي وهي نصوص العربيوس التي كتبها العرب السلمون الذين ظلوا في إسبانيا بعد الفتوحات الفرنسانية واضطروا قصرا إلى التحول إلى الإسلام عام 1025 وحتى نقيضهم من شبه الجزيرة بعد ذلك لا يعني استخدام هؤلاء الناس الخط العربي أنهم يعرفون العربية، بل إن بعضهم كان لا يعرف سوى الرومانسية فقط.

بالقطع أثرت سنوات الحكم العربي الطوال على اللغة الرومانسية في إسبانيا تأثيراً ملحوظاً، وقد الباحثون عدد الكلمات العربية المقتprise في الإسبانية بحوالي 265
4 آلاف كلمة تغطي تلك الكلمات المعجم الإسباني كله تقريبا ولكنها تتركز في مجالات الحرب كما هي الحال في كلمة *aleazar* التي تعني "القلمة" والزراعة كما في *almacen* والتي تعني "بروق" وفي مجال التجارة كما في كلمة *abarcóque* التي تعني "المخزن" بالعربية وفي مجال البناء كما في كلمة *albani* التي تعني "البناء". معظم تلك الكلمات المقترحة من الأسماء التي اقتبرتها اللغات المحلية بعضاً أداة التعريف، ولكن ذلك لا يمنع وجود بعض الصفات المقترحة من العربية مثل كلمة *gan* التي تعني بالعربية "غدرة"، وهناك أيضاً عدد محدود من الأفعال التي تم اقتراضها من العربية مثل *dalolano* المشتق من الفعل العربي "حلق". الكلمة الإسبانية *halagar* مشتقة من الفعل العربي *حلق". الكلمة المستخدمة في تعديل العربية *ojalá* مشتقة من "فلان" العربي، وكذلك كلمة المشيئة الإسبانية *salve* من اللفظ العربي *إن شاء الله". هناك مثل على أقتراض الإسبانية للفظ عربي هو مورفيوم الذي يظهر على شكل لاحقة. وقد أصبح هذا اللفظ فاعلاً ومنتجاً في اللغة الإسبانية بدرجة معقولة. وترد تلك اللاحقة مع الكلمات المقترحة من العربية كما في كلمة *bala* المشتقة من الكلمة العربية "بلد" والتي تعني بالإسبانية "ثأفة". وقد دخلت تلك اللاحقة أيضاً على بعض الكلمات الإسبانية مثل *alfonsi* التي تعني الشيء الملوك للفينيس، ومع ذلك فليس هناك دليل على وجود تأثير عربي على نحو اللغة الإسبانية، أما من الناحية الدلالية فيمكن التعرف على التأثير العربي في الإسبانية من وجود تعبيرات كثيرة تحتوي على اسم الله.

انتقلت كلمات عربية كثيرة من أسبانيا إلى بلاد أخرى كثرت في غرب أوروبا، وقد عرفنا في الفصل الأول أن اللغة العربية كانت لغة العلوم في العصور الوسطى. ولم تكن تلك اللغة في الأندلس فقط بل تجاوزتها إلى جامعات غرب أوروبا. بعد سقوط طليطلة تمت ترجمة نصوص عربية كثيرة في المكتبات والفلق والكمب، والطب إلى اللغة اللاتينية، وفي خضم هذا العمل انتقلت مصطلحات عربية كثيرة تلك اللغة. فقد اقتربت اللغات الأوروبية من الرياضيات مثل كلمة *algorithm* من اسم العالم العربي "الخوارزمي" الذي أخيب كتابه الشهير "الجبر والمقابلة". تم تضمين في كل اللغات الأوروبية. وفي الفن كُنتت اللغات الأوروبية أسماء نحو كثيرة من اللغة العربية علوا على كلمات مثل *almanac* المشتقة من الكلمة العربية "الماناخ" وفي مجال الطب.
تعتبر مصطلحات銮تينية كثيرة ترجمة حرفيّة لمصطلحات عربية مأخوذة بدورة من اللغة الإيطالية، على ذلك فكلمة comea تترجم من الكلمة العربية "قرنيّة" وليس ترجمة مباشرة من المصطلحات الإيطالية.

ومع كل ذلك لم تكن إسبانيا هي المصدر الوحيد للكليمات العربية الداخلة على اللغات الإيطالية. فقد كانت هناك مصادر أخرى لتفrique تلك الكلمات على العالم العربي، من أهمها إيطاليا. وقد كانت إيطاليا، بعيدًا عن خلق صناعة العربية أو من خلال تجار البندقية وجنوا. بين تركيب السروتي لبعض الكلمات الطريق الذي سلكته سواء كان إسبانيا أو إيطاليا، أما الكلمات العربية التي تظهرت فقد اقتبست دون أداة التعرف، وأما الكلمات العربية المضمنة في الإسبانية فهي مصورة ببداية التعرف العربية. قام اللتان تعانيان "لقان"، contone و كلمة الإسبانية sigodon، مستقلة أو الكنتية الإيطالية، فتجد في الإسبانية الكلمة بدأ التعرف، في مثل القطن وفي كلمة القرشوف والسكر، اقتبست اللغات الإيطالية الكلمات من العربية عن طريق الإيطالية.

13 - 2 اللغة العربية في أفريقيا

تنتشر اللغة العربية في أفريقيا كله الفراف في مصر والمغرب بل في المنطقة الواسعة تحت الصحراء الكبرى وفي شرق أفريقيا، وإذا نحن الكنتيين في بيبونا وكينيا جانبًا، فستجد أن العربية لغة أم لعدد كبير جداً من السكان في السودان، ولأعداد معقولة من الأقليات في نيجيريا، وتفجر، وفي المناطق التي لم تحل فيها العربية محل اللغات المحلية تركت العربية تراجًا كبيرًا من خلال شبكات التجارة الكبيرة التي أسسها العرب في كل قرب، جلب التوسع الإسلامي ثقافات كثيرة من ثقافات النصف الشمالي من كرة الأرضية تحت تأثير الحضارة الإسلامية، وقد أدى ذلك إلى وجود من الكلمات المقترضة في مجالات الدين والثقافة والعلوم.

قام التوسع الإسلامي العربي في أفريقيا على طريقين أساسيين لإستكشاف القارة واستغلال مواردها: يمشي الطريق الأول من مصر جنوبًا إلى السودان ومن هناك يمشي إلى الغرب بجانب حزام السافانا الأفريقي بين الصحراء الكبرى في
الشمال والغابات الأفريقية في الجنوب في المنطقة التي أطلق عليها العرب تسمية "بلاد السودان"، أما الطريق الآخر فقد اتبع مرابط الصحراء إلى الجنوب، وقد آدى توزيع العرب بمجازاة حزام السافانا إلى اتصالهم بشعوب تتكلم لغات الهماوا، والههاوة لغة انتشرت من معاقلها الأساسية في نيجيريا والنيجر إلى وسط أفرقيا ككل، مشتركة بين تلك الشعوب والقبائل، وهي لغة ضمن مجموعة اللغات الأفارقة أسسية، وتعكس طبيعة الكلمات العربية في لغة الههاوا تاريخ العلاقات بين العرب وهذه الشعوب، أقدم مجموعة من تلك الكلمات العربية المقترضة تم دمجها في بنية اللغة بشكل كامل، وقد طويعت الأصوات العربية في تلك الكلمات لأساطير اللغة المحلية بشكل كبير. فحلت الفاء مكان الباء العربية في كلمة "ittaaat" وامتنعت معظم الأصوات القلبية كما هي الحال بالنسبة لصوت الهاية في الكلمة التالية "iibaara" التي تعني "الأخبار" بالعربية. توضح تلك الأمثلة التي سبقتها أيضا أن الههاوا عندما اقتربت من اللغة العربية أخذت الكلمة بآداء التعريف العربي وأضافت لها صيغة جمع محلية من الههاوا، أما الكلمات العربية الحديثة المقترضة في الههاوا فهي كلمات في مجال الدين الإسلامي والطريقة الشرعية، وحاول الناس في تلك الكلمات مراعاة التركيب الصوتي العربي الأصلي للكلمة كما هي الحال في كلمة "nahw" التي تعني "تحور"، ولما كانت تلك الكلمات تحتوي على آداء التعريف العربي فإن الناس تراوي نطقها الفصيح الذي تعني "العادة" هناك نزعة عند المتعلمين من المسلمين في تلك المناطق الأفريقية أن ينطقو الكلمات المقتبسة القديمة بطريقة مستعرة يقدر الإمكان.

معظم الكلمات العربية المقتبسة في الههاوا أسماء، ولكن أيضا هناك مجموعة من أنواع التركيب العربية في تلك اللغة، فهنالك مثل كلمة "in" الشرطية العربية التي تعني "إذن"، ومن الكلمة "idan" التي تعني "إذن"، وبالرغم من اختلاف الكبير بين النظامين السريفين في اللغتين فإن بعض الأفعال العربية اقتربت في الههاوا وضعتها اللغة ضما كاملًا من المشتق من الفعل "satama" بين تلك الأفعال المشتق من الفعل "attaaka" العربي "سلام"، وهناك طريقة أخرى في الههاوا لتضمين الكلمات العربية وهي
باستخدام مركبات فعلية اسمية تعتمد على الفعل في الهامسا الإنجليزية، يتم استخدام الفعل في الهامسا المتوسّطة باسم عربى كما هي الحال في اليهودى.

أقام العرب من شبه الجزيرة العربية وعمان علاقات تجارية على الساحل الشرقي لقارة أفريقيا مع السكان الذين يتكلمون السواحلي. ترجع تسمية سواحلي إلى الكلمة العربية "سواحل" وهي كلمة أطلقها التجار العرب على الشعوب التي تتكلم لغات البانتو والتي تأتي من قلب القارة للسكن على الساحل الشرقي حوالي العام ألف الميلاد. وجمعوا في المنطقة بين الصومال وموزمبيق، وقد أسس العرب على طول الساحل الأفريقي عددًا من المستعمرات والمدن التي كانت تستضيف الصفقات التجارية التي كانت تعقد بين العرب والبنانتو. وقد شجعت أسرة زنزيبار السماوية التي سيطرت على المنطقة منذ القرن السابع عشر الشعوب المتكلمة بالسواحيلية على البحث عن العاج والعبيد في داخل القارة. وقد أدى ذلك إلى انتشار السواحيلية في القارة غربًا حتى زانزابير.

وقد أدت الاتصالات الوثيقة بين الثقافة العربية الإسلامية والثقافة السواحيلية لظهور ثراث أدبي سواحلي تعود بهدوء الوافدين الأولي للقرن الثاني عشر بالميادين، وقد كانت تلك النصوص مكتوبة بالخط العربي وكانت بداية أدب ديني ودينيي كبير في مرحلة لاحقة خاصة في زنزابير، وظل التأثير الإنجليزي محل التأثير العربي جزيلًا في المرحلة الاستعمارية. لقد كان هناك نوع من التوتر بين السكان الأصليين السواحليين من المسلمين الذين يسكنون منطقة الساحل وفضلهم أن يقتضوا من العرب كلمةهم المتعلقة بالدين والثقافة، وفي سكان الداخل الذين لم يكونوا مسلمين، الذين كانت السواحيلية بالنسبة لهم مجرد لغة دارجة فقط، رفض سكان المناطق الداخلية تلك السيطرة الثقافية المشتركة، كما اتُهموا تأثير العربيه فتحولوا للإنجليزية. وبعد اتفاقية هيلودلاند عام 1980 وعندما أُصبحت سلطنة زنزابير محمية بريطانية تحت الإنجليزية والسواحيلية محل العربية في الكثير من المجالات في عوالم سواحل شرق أفريقيا، أما في زنزابير نفسها فقد ظلت العربية هي اللغة الرسمية حتى إعلان الجمهورية عام 1964 بل ظلت بعد ذلك تلعب دورًا كبيرًا في التعليم، وبالرغم من أن نصف سكان
يأتي شرق أفريقيا - كينيا وتنزانيا وأوغندا - من المسلمين ظلت معرفة العربية محدودة بالتعليم القرآني في مدارس التشوع، وبقدر أن تجد من يعرف العربية معرفة نشطة فاعلة.

وتوقف نسيب الكلمات العربية للغة تلك المنطقة بزوايا الطبقات الأرستقراطية القديمة ولكن السنوات الأخيرة شهدت نزعة كبيرة في كينيا وتنزانيا لإحلال الكلمات التي هي من أصل عربي محل الكلمات الإنجليزية لأن السواحلية قد أصبحت لغة رسمية في تانزانيا، وفي معظم الأحيان كانت تلك الكلمات ذات الأصل العربي موجودة كبدائل الكلمات الإنجليزية المقترحة بل وتصور الناس أنها سواحلية الأصل، وبصدق ذلك على كلمات من أمثال كورية which كلمات mahakama التي تعلمه محل molu الذي جلت محل hakl mu الذي جلت محل إيزو التي تعني قاضي، وفي مجالات العلوم أصبحت الكلمات العربية الأصل في مجالات علمية معينة أشهر من الكلمات إنجليزية الأصل كالكلمات اللاتينية على علم النفس وعلم الاجتماع، أهملت السواحلية استخدام الخط العربي في الكتابة، ولا يستخدمه الآن إلا كبار السن في مخاطباتهم الشخصية ويشكل غير منتظم، الدولة الوحيدة التي احتفلت باللغة العربية كله كله هي جمهورية جزر القمر الصغيرة، وتعتبر تلك الدولة باللغة واللغة المحلية التي تكتب بالخط العربي كلفتين رسميتين.

تقول المعاجم إن حوالي خمسين بالمائة من مفردات السواحلية من أصول عربية.

وفي سواحلية الصحافة ينخفض هذا الرقم لحوالي ثلثين بالمائة، وتقل أكثر في اللغة العامية، وانتشار التأثير العربي على المعجم السواحلية إلى مجالات كثيرة يعبر المجال الذي أهمها، ولكن امتد التأثير العربي أيضاً للمجالات السياسية والقانونية والاقتصاد والتجارة والتعليم والعلوم، وسوف نسوق هنا مثالاً واحداً لشبب اعتماد السواحلية على اللغة العربية في اقتراح كلماتها المعنية، فإذا أرادت السواحلية أن تعبر عن فكرة التقدير أو الحساب أو التفكير فإنها تستخدم الكلمات العربية، فالتفكير يعبر عنه بكلمة kidi والقياس يعبر عنه بكلمة kid وعبر عن التقدير بكلمة kidi.
يوضح أيضًا أن اسمًا عربيًا واحدًا قد يكون مصدرًا لاشتقاق أسماء أخرى وافعال، كما هو الحال في الكلمة "معلم" العربية على أنها سبأة النوع الأول من الأسماء السواحيلية، وتكون الواف في وسط الكلمة في علة الجمع في هذا النوع، وكانت العربية أيضًا مصدر الكثير من أنواع الربط وحروف الجر في السواحيلية كما هو الحال في "كما"، "قبل"، "بعد"، واستعارت السواحيلية بعض الأرقام من اللغة العربية كما فعلت كل اللغات الأفريقية التي احتت بالتجارب العربية، فأخذت السواحيلية "سعة"، وأخذت السواحيلية من العربية أيضًا أسماء الأعداد عشرين وأربعين وما إلى ذلك، ولكن السواحيلية أخذت من البانتو رقم الثمانية والعشرة.

وحتى في الحالات التي لم يكن الاجتماك بالعربية فيها قويًا حدثت عملية اقتراض لغوي واسعة النطاق كما كانت الحال في مجموعة لغات الفول الموجودة في المنطقة ما بين غينيا وتشاد، في تلك مجموعة من اللغات هناك حوالي 50 كلمة من أصل عربي وکلا تتعلق بالإسلام والتجارة، وقد تم دمجها في نسيج اللغة بشكل كبير، فتجد مستعارة بداءة التعريف، وحلل الناس المقطع abasal مثلًا كلمة يصل في تلك اللغات الأخير من تلك الكلمة على أنه علامة تصنيف الأسم في الفول، وهي العلامة التي تنتهي بها مجموعة من الأسماء مثل "يسي" التي تعني "فرع". وجمع هذا النوع من الأسماء يكون مثل "بيسي"، وذلك جمعت الكلمة العربية بهذه الطريقة ليكون.

وقد أعطت بعض الكلمات العربية المفترضة الأخرى بلواحق تصنيف الأسماء في الفول
كما هي الحال في كلمة hara، وقد أدت تلك العملية في بعض الأحيان إلى غموض أصل الكلمة تماماً كما هي الحال في كلمة jii hin التي تعني "خنزير". وقد أدى الاحتكاك بالإسلام في تلك المنطقة كما أدى في مناطق أخرى من أفريقيا إلى ظهور طبقة صغيرة ثقافية من العلماء الذين أصبحوا ضالعين في العربية الفصحى، بل وكتبوا رسائل وتعليمات على النصوص الدينية العربية، ونجد تلك الصلة باللغة العربية في نزعة هذا الفريق من العلماء إلى تعريب نطق الكلمات عربية الأصل فينطقون "ذكر" بدلاً من "ذكر".

هناك حالة خاصة من تأثير اللغة العربية هي حالة لغة اللجالالجالأسترونمورية لغة جزيرة مدغشقر الرسمية. يرجع تاريخ الاحتكاكات التجارية بالتجارة العرب لقرن خليجية، ولكنه من الواضح أن المجالات التي اقتضتها تلك اللغة فيها من العربية مجالات محدودة للغاية، وخاصة مجال التجنيد الذي يسمى "marats". وهي كلمة مأخوذة من كلمة "الإكيل" العربية وهو رأس برج العرب. ولكن من المفروض أنه قد كان في تلك اللغة تواجد مكتوب متصل باللغة العربية بطريقة ما، ذلك لأن بعض العشائر في جنوب مدغشقر تستخدم لغة سرية مكونة من مفردات عربية، وتستخدم تلك اللغة كلمات عربية "مرأة" مكان الكلمات اللجالالجالأسترونمورية "marats" مثل تكتب النصوص اللجالالجالأسترونمورية بخط عريبي معدل.

- 13 - اللغة العربية في إيران

في القرن الأول بعد الفتح العربي وسقوط الدولة الساسانية أصبحت اللغة العربية هي السائدة واللغة الرفيعة في الأقليات الفارسية، ولكن الوضع تغير بتغير الأحوال السياسية وأصبحت الفارسية هي اللغة القومية في الأقليات الشرقية من إيران وأسيا الوسطى. ولكن العربية الفصحى احتفظت بمكانها كلغة القرآن، أما الآن فهناك محافظة واحدة في إيران تستخدم العربية فيها كلغة أقلية وهي محافظة خوزستان. ومن الغريب أن الحكومة الإيرانية لا ترى تعارضًا بين معالمها للأقليات العربية التي لا تسمح لها بالحفاظ على لغتها العربية وبين تقريسهها للعربية كلمة القرآن الكريم.
كانت الاتصالات بين العرب والفرس مكثفة منذ البداية. فكمية الكلمات المقترحة من الفارسية في اللغة العربية كبيرة، وكانت الفارسية أكثر اللغات التي اتصلت بها العربية تتأثر بها وبعضها. فكمية الكلمات العربية في الفارسية ضخمة جداً ولا تقتصر فقط على المجالات الأدبية إلا أنها توجد في اللغة اليومية، وقد ظهرت في بعض الأحيان نزعة لاستبداد الكلمات العربية، وكانت تلك النزعة مدفوعة باعتباره سياسى في غالب الأحيان، ولكن العنصر العربي في اللغة الفارسية عريق ومتشعب لدرجة يصعب معها إلفاؤه.

تكتب الفارسية بالخط العربي، ولكن مع إضافة أربعة حروف خاصة، ولا كانت بعض الفونيمات العربية قد اندمجت في عملية الاقتراض فقد أصبح الخط العربي غير واضح تماما، فقد أصبح صوت الثاء والسين والشين ينطق سيناء في الفارسية، وكذلك اندمج صوتا العين والهزة لتصبحا همزت، واندمج صوتا الإطاء والمطاء ليصبحا تاء، واندمجت الناح في الهاء، ومع ذلك فكل الكلمات المقترحة من العربية مكتوبة بحسب هجاتها العربي، وهو ما يضع بعدًا جديداً على الأطفال في تعلمهم الكتابة.

معظم الكلمات المقترحة من العربية كلمات معنوية وخاصة في مجالات الدين والعلوم والأدب، يمكن رؤية التأثير العربي في تلك الكلمات المقترحة من خلال بنيتها الصرفية، فهي تحتفظ بجمعها العربي الأصلي، انظر الأمثلة التالية:

- معلم
- معلمين
- مسافر
- مسافرين
- درجة
- درجات

وقد وضعت صيغة جميع المؤنث العربي بالألف والناء على الكلمات التي لم ترد من أصل عربي كما في الحال في كلمة denat التي تجمع herzi، وكذلك أخذت الفارسية صيغ جماع التكسير مع أسمائها المفردة كما في الحال في:

- حال
- أحوال
- غذاء
- أغذية

273
أما في الفارسية الحديثة فمن العادى جداً أن تهمل صيغة جمع التكرير وتستخدم مكانها صيغة جمع فارسية كما في كلمة "خبرها" التي تعني "أخبار"، وتشكل صيغة الجمع الفارسية تلك جنبًا إلى جنب مع جمع التكرير العربي العادى، في بعض الأحيان تتعمد الفارسية الحديثة مع جمع التكرير العربي على أنها كلمات مفردة كما هي الحال في كلمة "آر밥".

وأما التركيب الصرفي للفعل العربي أقل اتساقًا مع بنية اللغة الفارسية من الاسم فقد كان من الصعب أن تندمج الأفعال العربية في الفارسية، ولذلك تستخدم توليفات من الأفعال والأسماء كوسيلة لتجنب دمج الكلمات المقتضبة من العربية، ي�عل أو فعل آخر يعني معنى kardan تحتوي معظم التوليفات على الفعل الفارسي يُنْدَب، الصيغة مثلاً "مكاسبة" كوردن التي تعنى " يقدم"، هناك أيضًا اتساق بين التوليفات المبنية للمعلوم مثل "عندم كوردن" التي تعنى "يعلن" والتوليفة التي تأتي مع فعل الإصباح كما تركيب مبني للمجهول.

وعندما تأتي تلك التوليفات مصحوبة بضمائر المفعول فإن الضمير يضاف في النهاية على آخر الاسم كما هي الحال في كلمة xabar-essan kard التي تعني "اعلمهم".

هناك إقراض كثير من اللغة العربية حتى في مجال حروف الجر، كثيرًا ما تكون حروف الجر العربية مصحوبة بعلامات فارسية كما في "بعد أز" التي تعني "بعد"، حيث توجد الكلمة العربية "بعد" متبوعة بحرف الجر الفارسي "آر"، وكذلك تصبح الفارسية أدوات ربطها من كلمات عربية كما هي الحال في كلمة vagtlik التي تعني "عندما". وقد اقتضت الفارسية من العربية كذلك مثل "بأي اللغات التي اقتضت من العربية كلمات لا تنصرف مثل "حتسا و فقط و ونسا".

13 - 4 اللغة العربية في الخلافة العثمانية وتركيا

عندما استولى السلالة على الحكم في الأناضول أصبح موقف اللغة العربية كله من الدولة الإسلامية الواحدة موقفًا ضعيفًا، استعملت الإمبراطورية التركية اللغة الفارسية
كلمة ثقافية واحتفظوا بالعربية كلهة للدين، أما في الخلافة العثمانية فقد أصبحت اللغة التركية هي لغة الدولة الرسمية بينما ظلت العربية والفارسية لغتي الثقافة. وأطلق على اللغات الثلاثة اسم "الأسن الثلاثة" وهو تعبر مكون من كلمتين عربيتين "الأسن" و"الثالث". وكانت تلك المجموعة من اللغات تشكل تركيبة الصوفية الثقافية في الخلافة. وترابط تأثير العربية والفارسية على التركية في الفترة ما بين القرنين الخامس عشر والثامن عشر بدرجة أن بعض النصوص لم يبق منها تركي غير السوابق واللغات الصوفية وفترة النص بشكل عام في حين أخذ المعجم في كلية من العربية أو الفارسية.

وفي نهاية فتره حكم الخلافة العثمانية حاولت الأقاليم العربية أن تثبت حقها في الاستقلال اللغوي وفي استخدام لغتهم كلهة رسمية. ومع ذلك، يدل هذا التوجه العربي قليلاً إلى اللغة التركية وتقليل أثره في الإسلام واللغة العربية. فلم يكن هناك مكانة خاصة للغة العربية في الجمهوريات التركية التي اتخذت خطوات كبيرة نحو العلمانية. وقد أثبت ذلك التخلص من العربية بشكل رئيسي عام 1928 بإلغاء استخدام الخط العربي لكتابة اللغة العثمانية. وهو تقليد كان متبنا لقرن طويل لغة، وقد جاب التركيز على الهوية التركية مع نزعة لتنقية التركية من الدخول عليها، ولذا كان الإصلاحيون ينظرون إلى التركية بأعتبارها أفضل لغة على وجه الأرض فقد شق عليهم أن تحتوي لغتهم على هذا الكم الكبير من المفردات العربية والفارسية.

ومن نتائج الإصلاح أن أصبحت كلمات وتركيب كثيرة شائعة في تركي العثماني نادرة وغريبة في الجمهوريات التركية، ومع ذلك فإن التركية الحديثة ماتزال تحتوي على الكثير من الكلمات المقتربة من العربية أو الفارسية أو من العربية عبر الفارسية، ويمكن دائمًا التعرف على تلك الكلمات لأنها لا تخضع لعمليات تجانس أصوات الإن الصارمة التي تشتهر بها التركية، وهي القواعد التي لا تسمح بوجود صوت لين خفيف وصوت إين أمامي في كلمة واحدة، فكلمة مثل "كتاب" تطيع هذه القواعد. أما بالنسبة لكلمة "ساعة" لم كانت تركية للكاتب استقبلت ضمير الملكية الذي يدخل على الكلمة في شكل لا حق، ولكن تلك الكلمة عربية ولذلك تكتب "ساعة" وكذلك حدثت في بعض الأحيان وسبق أن كتبها "ساعة".
بعض التغيرات الصوتية في عملية اقتراض الكلمات العربية في التركية العثمانية التي كانت تكتب بخط عربي، في تلك الكلمات كانت الأصوات المفخمة والحلقية تميز كتابتها ولكنها لا تنطق، ومنذ بداية حركة إصلاح الكتابة التركية لم تعد تلك الأصوات تميز حتى كتابة

لقد اقتضت التركية العثمانية أسماء عربية كثيرة وأخذت معها صبغ جمعها المشتقة من havaadis وجمعها hadisla الخاصة. ولذلك كان من الممكن أن تسمع كلمة الكلمة العربية "حادثة أحاديث"، ولكن جمع تلك الكلمة في التركية الحديثة هو أما بالنسبة للكلمات الشائعة فقد كانت دائما تجمع بلاحقة جمع تركية، فتوجد جمع كلمة kitap هو kitap واقتضت التركية من العربية البعض الأسماء العنيفة وتمت نقلها tafsilat وجمعها edebiyat ومعناها لكلمة tafsilat وجمعها edebiyat في صورة جمع المؤنث السالم كما هي الحال في كلمة التركية مع تلك الكلمات على أنها كلمات مجموعية من الصيغة التي تميز نثر التركية العثمانية استخدام تعبيرات مركبة من كلمات عربية في الأصل وهي التعبيرات التي تستخدم كتعبيرات مسبوكة في التركية الحديثة kuvevalunelmer kezîye إذ لم تُسِى من اللغة من بين أمثلة تلك التعبيرات كلمة المركبة من كلمتين العربية قوة - المركزية، وكلمة mukabîlebilmi الكلماتين العربيتين قوة - المركزية، وكلمة mukabîlebilmi وجمعها mukâbilâbilmi بمعنى: في كل من الكلمتين السابقتين تربط اللاحقة الفارسية 3 بين الكلمتين العربيتين، وتعبر تلك اللاحقة في الفارسية وفي الكلمات الفارسية المقترضة في اللغة العربية عن وقت أصبحت تلك التعبيرات جامدة في التركية الحديثة بعد أن كانت منتجة ومتصرفة في التركية العثمانية، وتروى التركية عند تركيب اسم وصفة من أصل عرفي قواعد المطابقة العربية كما هي الحال في مركب skitsetim الذي تعني "عقل سليم".

اقتضت التركية من العربية - كما اقتضت منها الفارسية من قبل - عددا كبيرا من الأسماء التي استخدمتها كحروف غير كما هي الحال مع كلمة ragman التي تعني "بالرغم من"، ولم تكن التركية في الأصل تمتلك أحرف أخرى ولكنها اقتضت واو العطف العربية وحورتها فصارت ve، وربما تكون قد اقتضتها عن طريق الفارسية.

276
استخدمت اللغة التركية العثمانية النسبة العربية بنفس وظيفتها الوصفية، ولذلك كنت تجد كلمة resmi تعني "رسمياً". واستخدمت أيضاً الحال بمعناه العربي كما هي الحال في كلمة resmen، التي تعني "رسمياً". أما في التركية الحديثة فقد تم استبدال الصفة العربية زائد الكلمة التركية بتراكب الحال العربي، لذلك تجد مركب olara يعني "رسمياً".

من أوجه الشبه المثيرة بين طريقتان اقتراض الفارسية من العربية والتركية: من العربية استخدام مركبات الفعل زائد الاسم، والتي تستخدم القطعان "olmak" يصبحون "etmek". انظر الأمثلة التالية:

* sebep olmak
* münasebet olmak
* refakat etmek

كانت التركية العثمانية تقوم تلك التركيب على أنها تركيب عربي، وتعني مثلاً أن مركب mekteb-i tebdilQiyaafete الكلمات العربية فيما عدا أداة الإضافة الفارسية. أما mekteb-i tebdil etmek التركية الحديثة فهي تعبر عن نفس المعنى باستخدام مركب باستخدام لاحقة المفعول به على الاسم، أما بالنسبة للمبني المجهول من تلك المركبات فيصنع من الكلمة التركية olunmak ومصدر عربي من الفعل على وزن انفعال.

13 5 اللغة العربية في شبه القارة الهندية

ترجع العلاقات بين الهند والعالم الإسلامي إلى القرن التاسع الميلادي، أي عندما زحف التجار المسلمون شرقًا للهند والصين، ولكن تحويل وادي الهند الإسلام لم تم إلا في مرحلة متاخرة عندما فتح الفرسون في القرن الحادي عشر الميلادي، كان الفرسون الذين خرجوا من أفغانستان بتمركزهم الفارسية. وكانوا كذلك يستخدمونها كلغة ثقافة كما كانت تستخدمها معظم الإمارات الإسلامية في الشرق، وكان بابور
مؤسسات الإمبراطورية المغالية في عام 1526 يكتب بلغة تركمانية، ولكن اللغة الفارسية هي التي كانت مستخدمة في البلاط المغالي، وكانت الدائرة في تلك المنطقة هي الأرمو المتحورة من شمال الهند، ومنذ بداية حكم الفارسيين في المنطقة أصبحت الأردو لغة التواصل بين المسلمين والهنود في المنطقة، بل وأصبحت لغة أدبي شعبية في أيام الإمبراطورية المغالية، ولا كانت الفارسية لغة رفيعة فقد نالت منها كلمات كثيرة على الأردو في تلك الفترة.

ويظهر الإنجليز على الساحة أضطراب العلاقة الواضحة بين اللغة الفارسية والدارة الأردو، وأصبحت مسألة اللغة مثار جدل كبير في حين قبلك الأقليم الفارسي بما فيها المسلمين استخدام الأردو بالحروف العربية الفارسية، قبل الهندوس استخدام نفس اللغة ولكن باسلوب آخر وهو "الهندي" وتكتب بخط ديفاناجاري، وأصبحت مسألة الخط هي مركز الحوار ومنطق المناقشة، وعمر الوقت استخدمت الهند الخط ديفاناجاري بينما استخدمت باكستان الخط العربي، وأضافت الأردو حروفًا جديدة على الخط العربي لتغيير عن الأصوات الموجودة فيها والتي تعزز الخط العربي، والأصوات الافتراضية تكتب بالإضافة إلى فوق الحرف أو الأصوات التي فيها اسم صغير فتكتب بهاء بعد الحرف الأصلي.

وعندما انفصلت باكستان عن الهند انتقلت النمط اللغويان بدورهما، وأصبحت الأردو هي اللغة الرسمية في باكستان ولغة المسلمين في شمال غرب الهند، واحتفظت بكلماتها العربية والفارسية المقتصرة وكتابتها العربية، وأصبحت الهندية مع الإنجليزية اللغة الرسمية في الهند، فيما أنه الهندوس حملت كبيرة لتفقيه لغتهم من الكلمات المقتصرة من العربية وإسحل كلمات من أصل سنسكريتي محملها، أفلحت الهندية الأدبية العاصرة في إبعاد الكلمات الفارسية من معجمها لحد كبير ولكن الأنماط العامة منها ما تزال بعض الكلمات الفارسية مستخدمة بها.

وأما كان تركيب قواعد الأردو والهندي واحد تقريبا فإن الفرق الوحيد بين النمطين فوقع معجمي، تجد عدداً كبيراً من أزواج المترادفات فيها، كلمات من أصل سنسكريتي تستخدمها الهندية الأدبية وكلمات من أصل عربي فيارسي تستخدمها.
النحية الدارجة والأوريوب. من الواضح أن الكلمات العربية قد مرت بطرق الفارسية قبل أن تدخل إلى الأوريوب. ويبدو أن تلك الكلمات دخلت بعثة كلمات فارسية الأصل كثيرة، تنطبق ذلك على الكلمات العربية التي أخذتها الأوريوب بصيغة المفرد والجمع، وتعامل الأوريوب الكلمات العربية المجموعة على أنها كلمات مفردة، وتتميز بين الكلمات المجموعة باللغات واللغات وجمع المؤنث والسالم وبين الكلمات الأوريوب الأصلية بـ "الكلمات العربية لا تدخل عليها علامة المفعول".

في الأوريوب، كما في الفارسية، هناك عدد كبير من حروف الجر وأدوات الربط العربية. من الواضح أن تلك الكلمات بدورها لم تدخل الأوريوب من اللغة العربية مباشرة بل كانت الفارسية هي القناة التي مرت منها إلى العالم العربي لنسب القارة الهندية، من بين أدوات الربط تلك va و لakin، وكذلك دخلت تعبيرات عربية لكلمة من الفارسية، أيضاً كما هي الحال في "الكلمة".

ليس من الواضح أن الأوريوب قد اقتَرَبَت من اللغة العربية فأعلاها، وربما يكون السبب في ذلك التعقيد الصريقي للفعل العربي، وهي الصعوبة التي تجعل دمج الفعل العربي عسير. ولكن هناك أنواعاً من مركبات الأفعال والأسماء التي تستخدم الفعل الأوريوب مصدر عربى، ويشتت المبني المجهول من تلك المركبات باستخدام الفعل karna الأوريوب، كـ khatam hona كما في hona ينتهي"، وبالرغم من أن هذه الفعلين هما الأوسع انتشاراً إلا أن الأوريوب قد تستخدم أفعالاً أخرى.

ترتبط درجة تأثير العربية والفارسية على باقي اللغات الهندية بدرجة تقليل الإسلام في مناطقها وشعبها، فتجد أن نمط البغالية المستخدم في إقليم البنغال الهندي ونواحي بنجلاديش يختلف كثيراً كبيراً في المعجم. ففي بنجلاديش هناك نزعة لإحلال الكلمات المقتَرَبة العربية والفارسية محل الكلمات السنسكريتية وخاصة في مجال الدين، أما في البنغالية العربية الأدبية فهناك كلمات مقتَرَبة قليلة جداً، ولكن الدائرة من هذا النمط اللغوي تحتوى على معادات عربية فارسية للكلمات السنسكريتية كما هي الحال في كلمة "بَرَج" والتي تعني في البنغالية "قلعة".
اللغة العربية في شرق آسيا: تأثيرها على المالاوية والإندونيسية

ترجع أقدم علاقات بين العالم الإسلامي وشرق آسيا إلى القرن الثالث عشر والرابع عشر، وآقدم شواهد على الوجود العربي ترجع تلك الفترة وتتمثل في شواهد قبر عثر عليها في الأرخبيل الإندونيسي، ولم كانت اللغة المالاوية هي لغة شبه جزيرة المالاويلغة المشتركة في كل الجزر الإندونيسية الأخرى فلم تستطع العربية أن تحتل نفس المكانة التي احتلتها في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، ولكن لا شك أنها أثرت على الوضع اللغوي المحلي تأثيراً كبيراً لأنها لغة الإسلام والقرآن، ويتجلى هذا التأثير في استخدام الملايو وبينتها الحديثة البارزة إندونيسيا كلمات عربية مقتضبة، ويتجلى التأثير أيضاً في استخدام الملايو للخط العربي، واستخدام العربية لغة دينية لمعظم السكان.

يرجع تاريخ أقدم نقوش عربية للقرن الرابع عشر، وهو عبارة عن نص قانوني وجد في شبه جزيرة الملايو مكتوبًا بالخط العربي الذي عرف بعد ذلك بالخط الجاوي. والخط الجاوي تنويهًا على الخط العربي بحروف إضافية، وكان مستخدماً في المخطوطات من بداية القرن السادس عشر. وظل هذا الخط مستخدماً في إندونيسيا حتى القرن العشرين إلى أن حل كتابة بحروف ذاتية محلها إبان فترة الحكم الهولندي إندونيسيا.

يعتبر المسلمون في إندونيسيا أكبر تجمع إسلامي خارج العالم العربي، فمعظم السكان البالغ عددهم 160 مليون نسمة من المسلمين الذين يؤمنون أن العربية هي لغتهم المقدسة، وإذا لبس من العجيب أن يكون موقع العربية كلغة دينية ثابت لا يتزعزع. فمعظم الإندونيسيين يملكون قدرًا وقوياً من معرفة العربية بفضل تعلمتهم قراءة القرآن، ولكن التعليم الحديث العلماني لا يساعد الشعب على تطوير مستواه في العربية، وبالرغم من وجود بعض المحاولات المتفرقة من السلطات أحيانًا لتحسين مستوى العربية، فإن أمر العربية متروك للمدارس المسماه بمدارس البسترين.
فهي التي تعلم من يرغب التعليم باللغة العربية، ولكن هذا النظام فشل في تحقق التعليم على الطريقة المكثفة التي تبني على أن ينقل الطالب عن معاملته نصاً دينياً أو تربائياً فيفيجيزه المعلم فيليقهه الطالب لطالب آخر، وكل ذلك دون علم حقيقي بلغة النص.

عدد الكلمات العربية في الإندونيسية الحديثة كبير جداً، تقول بعض الإحصاءات أن حوالي 2,000 كلمة يمكن ردها لأسفل عربى، وبطبيعة الحال معظم الكلمات المقترحة لها علاقة بمجال الدين، ولكن الكلمات العربية منتشرة في معظم مجالات القاموس الأخرى أيضاً السياسة والفلسفة وعلم الحيوان وعلم النبات وعلم الطبيعة والعلوم، ربما ورد معظم الكلمات العربية عبر الوسيط الفارسي كما كانت الحال بالنسبة للهودي، ففي بعض الكلمات مايزال تأثير الوسيط الفارسي واضح كما هي "سوء هضم"، والتي لم ترده من أصل عربى مباشر، إلا "hagam"، والتي لم ترده من أصل عربى مباشر، وإلا "hazam"، ولكنها في أغلب الأحيان أخذت من الكلمة الفارسية، وكذلك يصبح الوسيط الفارسي في الكلمات العربية المؤثرة التي اقترضت في اللغة بصيغة جمعها بالألف والتباء، ولم تقتصر بصيغتها المفردة، والاقتراض بجمع المؤثر هذا من سمات اقتراض الفارسية من العربية.

وإذا تراوح الكلمات العربية في الإندونيسية من تعبيرات كاملة مثل "silaturahmi" إلى لواحق مقتبسة مثل "لاحقوا الياء على أواخر الأسماء مثل abadi"، بل إن تلك الأحدث توضع على كلمات ليست عربية ومقترحة من لغات أخرى، من الممكن أن تكون العبارات الكلمة المقترحة مأخوذة من وسيلة كتابة لأن أدوات التعرف فيها كاملة. "ahlunujum" ولا يوجد فيها ظاهرة اللام الشمسية كما في الولد في المأخوذة من "أهل النجوم"، وهناك بعض تلك التعبيرات تظهر فيها اللام الشمسية وتلك "ahlussunah"، ربما تكون منقوطة شفاعة، من بين تلك التعبيرات من الناحية الصوتية اندمج صوتاً العين والمهرة في الكلمات العربية المقترحة في الإندونيسية، يشبه ذلك ما يحدث في الفارسية التي أدخلت معظم الكلمات العربية الإندونيسية تنطق الصوتين بالمهارة وتمثل لهما في الكتابة برمت واحد. وقد حل صوت
الباء الانفجارية المهمة محل صوت الفاء العربية في كلمة *palek* مثلاً، ولكن المثفعين يستخدمون صوت الفاء العربية في تلك الكلمات، وأيضًا حل صوت الدال مكان صوت الضاد المفخم.

معظم الكلمات العربية المقترحة من الأسماء ولكن الإندونيسية مثل السواحلية تمتلك قدرة كبيرة على دمج الكلمات العربية في بنيتها بسبب كثرة السواحل واللواحي، لذلك تجد أن الاسم *hukum* موجود في الإندونيسية ويمكن أن تشتق منه فعل *menghukumkan* ويستعمل الإندونيسية الركاب الإسمية في دمج الكلمات العربية. أما الأسماء المعنوية فيتم صياغتها بإضافة سابقة *tata* كما في حال القلعة، بل إن بعض الكلمات العربية أصبحت جذورًا تشق منها كلمات في الإندونيسية الحديثة مثل *pikir*.

من الظواهر الملفتة في الإندونيسية الحديثة وجود تنوع ترتيب كمية واحد من أصل عربي مثل *fikr* وتعني *pikir* في اللغة العربية *فِيْكِر* "فكر". الكلمة العربية "فرض تنويختان": الأولى *fikr* وهي "فكرة" ورفيعة تتنويئة "فكرةْ (إِبْنِهْ)"، وبين التطور الدالي للكلمات المقترحة من اللغة العربية في الإندونيسية، وتفاوت شان المصطلحات العربية وخاصة الهولندية، كلمة *tabib* تعني المعالج الشعبي القديم بينما تتعني كلمة المقترحة من الهولندية الطبيب ميعانه الحديث، ولكن في بعض الأحيان تفضل الإندونيسية استخدام مرادف عربي محل آخر عربي بسبب اتصال الأخير بفترة الاستعمار، وتشبه تلك الحال سلوك السواحلية تجاه بعض الكلمات العربية والأجنبية.